المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة القصيم

كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

قسم التاريخ



دور العز بن عبدالسلام
في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي
(٥٧٧ - ٦٦٠هـ/١١٨١ - ١٢٦٢م)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة

تهاني بنت محمد بن علي التويجري

الرقم الجامعي

٣١١٠٠٤٠٣٦

إشراف الأستاذ الدكتور

علي بن صالح المحيميد

الأستاذ بقسم التاريخ بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
قسم التاريخ



دور العز بن عبدالسـلام
في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي
(٥٧٧ - ٦٦٠هـ/١١٨١ - ١٢٦٢م)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة

تهاني بنت محمد بن علي التويجري

الرقم الجامعي

٣١١٠٠٤٠٣٦

إشراف الأستاذ الدكتور

علي بن صالح المحيميد

الأستاذ بقسم التاريخ بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

ملخص الدراسة باللغة العربية

يعد الإمام العز بن عبدالسلام أحد علماء السلف الذين كان لهم بصمة واضحة في التراث الإسلامي ، عاصر أواخر دولة الأيوبيين وأوائل دولة المماليك ، حيث كانت الدولة الإسلامية ممزقة بين الصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى فكثرت النزاعات والخلافات ، وقد قام العز بن عبدالسلام بدوره الدعوي إلى توحيد كلمة المسلمين فكان له دور سياسي كبير ، ولكن على الرغم من ذلك لم يحظ هذا الدور باهتمام كبير من الدارسين ، لذا اقتضت طبيعة الدراسة الموسومة بـــ (**دور العز بن عبدالسلام في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**) أن تحتوي على مقدمة ، وتمهيدٍ ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، وملاحق ، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرسٍ للمحتويات .

فقد شملت المقدمة على تعريفٍ بالموضوع وأهميته ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وخطة الدراسة ، وتحليلٍ لأهم مصادر الدراسة ومراجعها .

وجاء بعد ذلك التمهيد تحدثت فيه عن الحياة السياسية في عصر العز بن عبدالسلام ، وتلاه الفصل الأول الذي احتوى على ثلاثة مباحث كانت على النحو التالي :

المبحث الأول : تناولت فيه حياته من ناحية اسمه ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وطلبه للعلم ومناصبه وأخلاقه ووفاته .

المبحث الثاني : اختص بآثاره العلمية فذكرت فيه شيوخه وأثرهم فيه ، وتلاميذه وأثره فيهم ، ومؤلفاته .

المبحث الثالث : تطرقت إلى مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .

أما الفصل الثاني فقد درس دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر الأيوبي ، وتضمن ثلاثة مباحث جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الفقهاء ، فقد تناول موقفه من مبتدعي الحنابلة ومن شيوع المنكرات والمظالم ومقاومته للخارجين على الشرعية بدعوى التصوف .

المبحث الثاني : موقفه السياسي تجاه الأيوبيين بالشام ، فخصصته بموقفه عندما تنازع الأخوان الملكان الأشرف والكامل ، ودوره حينما تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين .

المبحث الثالث : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بمصر ، تناولت فيه موقف العز بن عبدالسلام من السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي ، وموقفه مع أمراء المماليك ، ودوره مع وزير الدولة معين الدين ، واستنجاد السلطان الناصر داود به سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، ودوره في معركة المنصورة .

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بعنوان دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر المملوكي ، ويتفرع منه ثلاثة مباحث ، الأول : معارضته لحكم شجرالدر ، والثاني : دور العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز عندما أراد عزل المنصور علي ودوره الرائد في معركة عين جالوت .

أما المبحث الثالث والأخير من هذا الفصل : فقد خصصته للحديث عن دوره في عهد الظاهر بيبرس عند مبايعته له وكذلك موقفه من إحياء الخلافة العباسية .

وانتهت الدراسة بخاتمة أعقبت هذه الفصول السابقة ، واشتملت على أهم النتائج التي خرجتُ بها .

summary of the study in English language

.Al imam al ezz bin abd alslam one of salafi scholar . He made a great impact in Islamic heritage .He lived in the latest peried of the Ayyubid state and first peried of the Mamluk sultanate in which was the Islamic state torn apart between Mongols and Crusaders. There were a lot of dispute and conflict in the Islamic state . Al imam al ezz bin abd alslam called for united the Muslims and played a major role in that time . Scholars and students didn’t give al imam al ezz bin abd alslam all the attention he deserved . Therefore, I made a study on al imam al ezz bin abd alslam and his role in politics between the two times of the Ayyubid state and Mamluk sultanate .the study has introduction , preparation , three chapter , closure ,list of resources, references and a list of contents .The introduction is about the definition of the title, why it's important ,cause of chosen ,earlier studies ,study plan ,analysis of the recourses of the study and its references.

After the preparation I talked about the role Al imam al ezz bin abd alslam in politics .The first chapter has three major points:

1.the life of Al imam name , birth , coming of age , his study ,his titles , ethics and his death .

The second topic: Scientific singled out its effects I mentioned the elderly and their impact in it, and his disciples and impact them, and writings.

Section III: Turning to the scientific and scholarly stature it.
The second chapter has studied the role of Al-Ezz Bin Abdulsalam political in the Ayyubian period, and included three topics which are : First topic shed a light to the position of Al-Ezz Bin Abdulsalam toward political scholars, he has dealt with . Also, cover his position on the creators of the Hanbali. This chapter talks about the prevalence of evils, injustices and resistance to coming out on the pretext of legitimacy mysticism. Second topic descripe his political stance toward the Ayyubian Baham.
The third chapter and the latter was entitled role Al-Ezz Bin Abdulsalam political in the Mamluk era, and fork to the three sections, the first: his opposition to the rule of trees Durr, and second: his role with Sultan Qutuz when he wanted to isolate the Al-Mansur Ali and his leading role in the battle named Goliath.

The third and final section of this chapter: it has appropriated to talk about his role in the reign of Zahir Baybars when you pledge allegiance to him as well as his position on the revival of the Abbasid Caliphate.

The study followed the conclusion of these previous chapters, and included the most important results that came out as a contribution of the thesis.

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى نبع الحنان ، إلى القلب العطوف ، إلى الأحضان الدافئة ، إلى الهمسات الغالية إلى والدي ووالدتي إلى من تربّع حبهم في قلبي ،،،،

أهديه إلى من شاركوني حياتهم وقاسموني أحلى لحظات عمري، وإلى من استندت إليهم عندما تظلم الدنيا بعيني أخواني وأخواتي أحباب قلبي ،،،،

أهدي هذا الجهد مغلّفاً بباقة ورد تليق بمقام كل من علّمني حرفاً ، إلى كل من دعمني بكلمات تُنير طريقي ، لكل من أرشدني ووجّهني للإبحار في أروقة العلم ، إنهم أساتذتي الأفاضل ،،،،

أهدي هذا البحث إلى الشموع التي أضاءت حياتي ورافقوني في مسيرتي وأسمعوني عبارات التشجيع ، وغمروني بحبهم صديقاتي الوفيّات ،،،،

الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد المولى جلّ شأنه وتقدّست أسماؤه وصفاته أن يسّر لي إتمام هذه المسيرة العظيمة لبحثي ووفقني لإكماله على أحسن حال ، وإظهاره بأفضل صورة والشكر بعد الله جل وعلا لوالدّي اللذين لم يتوانيا بدعمي وتذليل جميع الصعاب المادية والمعنوية لمساعدتي لإنجاز هذا العمل .

ولا يفوتني شكر أسرتي الكريمة وأخص بالشكر أولئك العظماء الذين شكّلت رسالتي جزءاً من حياتهم ووقتهم ؛ فتحملوا عناء السفر وذللوا الصعاب لتكون سهلة في طريق رسالتي العلمية فنعم الإخوة إخواني وأختي ، فلا أملك سوى الدعاء لهم بالتوفيق في حياتهم العلمية والعملية .

ولا أنسى أن أقدم بالغ شكري ويقديري لأخواتي الغاليات الأستاذة سعاد بنت محمد الزهراني والأستاذة أروى بنت محمد الجابر والأستاذة أثير بنت محمد الطبيّب عندما وقفن معي طوال فترة بحثي فأجزل الله لهن المثوبة والعطاء .

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى من دعمني من بحر علمه ، وسخّر لي من وقته وجهده ، مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور علي بن صالح المحيميد ، فمهما قلت لا أستطيع أن أوفيه حقه ، فقد وجّه فأحسن التوجيه ، فكان خير معُين ومرشد ، جزاه الله عنا خير الجزاء ، وجعل ما قدمه لنا في ميزان حسناته يوم العرض .

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى مشرفتي السابقة الدكتورة فاطمة بنت عبداللطيف الشناوي التي اقترحت علي موضوع الدراسة وأشرفت على إعداد خطة بحثي واستفدت من توجيهاتها في المراحل المبكرة من الدراسة .

والشكر موصول إلى رئيس قسم التاريخ سابقاً الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن راشد السنيدي الذي هيأ لي المِضي قدماً لمواصلة دراستي العليا ودعمني بالمصادر والمراجع

مـن مكتبتـه الخاصـة ؛ لإكمـال بحثـي ، فبـارك الله لـه في علمـه وجعلـه منـبراً مـن منـابر العلم يحتذى به .

كمـا لا يفـوتني أن أتقـدم بجزيـل الشـكر والتقـدير لجامعـة القصـيم وأخـصّ عمـادة الدراسـات العليـا وكليـة اللغـة العربيـة والدارسـات الاجتماعيـة ممثلـة في قسـم التـاريخ بجميـع أعضـائه مـن الأسـاتذة الأفاضـل والأسـتاذات الفاضـلات الـذين اسـتنرت بعلمهـم ، واستفدت من توجيهاتهم السديدة في مجالات الدراسة والبحث العلمي .

كمـا أشـكر القـائمين علـى المؤسسـات العلميـة لمـا قـدموه لي مـن تـوفير بعـض المصـادر والمراجـع طيلـة مراحـل بحثـي وفي مقـدمتهم مكتبـة الملـك سـعود العامـة في بريـدة ، ومكتبـة الملـك عبـدالعزيز ، ومكتبـة الملـك فهـد الوطنيـة ، ومكتبـة الملـك عبـدالله بـن عبـدالعزيز بجامعـة أم القـرى ، ومكتبـة الملـك سـلمان ، ومركـز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسـات الإسلامية ، وجامعة القاهرة .

ويطيـب لي في هـذا المقـام أن أتوجّـه بـوافر الشـكر والعرفـان إلى أعضـاء المناقشـة الأسـتاذ الـدكتور عبـدالعزيز بـن راشـد السـنيدي والأسـتاذ الـدكتور عبـدالباقي بـن محمـد كبير الذين تكرّموا بقبول مناقشة هذه الدراسة وقراءتها لإبداء ملاحظاتهم النيّرة .

وفي الختـام أُهـدي شـكري وامتنـاني إلى كـل مـن أسـدى لي معونـة ، أو أبـدى رأيـاً ومشورة ، أو دعمني بمساعدة يسّرت لي إنجاز هذا البحث .

وأتمـنى مـن الله عـز وجـل أن ينفعنـا بمـا قـدمنا وأن يجعـل هـذا العمـل خالصـاً لوجهـه الكريم ، وأن يكون رافداً يستنير منه الباحثون . والله ولي التوفيق .

الباحثة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أعزّنا بالإسلام ، وفضلنا على سائر الأنام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له السلطان وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، إله عزّ من اعتز به فلا يُضام ، وذل من تكبّر عن أمره ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾[1]، وأشهد أن سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - خاتم الرسل ، والأنبياء ، وإمام المجاهدين ، والأتقياء ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وثبت عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[2] .

وبعد :

فلم يخلُ عصر من عصور الإسلام من العلماء و الدعاة ، صنعتهم الشريعة الإسلامية ، وقاموا على أساسها ، لتعلو بهم راية الدين ، ويعود مجده ؛ لأنهم للمجتمع بمنزلة الروح للجسد ، وهم الذين يأخذون بيد الأمة ، ويصدعون بالحق ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وينافحون عن الدين ، ويكافحون من أجله ، يسعون جاهدين لإزالة الشكوك والأوهام والبدع والخرافات ، حريصين أشد الحرص على المصلحة العامة ، بما لا يتنافى مع أحكام الشرع ، ولا يثنيهم عن تطبيق أوامر الدين ملك ولا سلطان ، بل كانوا يناصحون الأمراء ، ويوجهون الحكام ، وبهم يستنير الجاهل ويقتدي العابد ، وكانوا حجر أساس لقيام الدولة ، وثبات الحكم ، في حقهم أنزل الله عزّ وجلّ قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

(٢) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ/٨٨٩م) : سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ، د.ت ، (٣١٧/٣) .

وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1]؛ ولأن العلماء والأمراء وولاة الأمر لهم بصمة واضحة في القرارات المهمة للدولة ، ولهم ظهور بارز في المواقف التي يمر بها عامة الناس ، فهم إما يطالبون بحقوقهم ، أو يحاولون الدفاع عنهم ، أو يشحذون هممهم للمشاركة في أمر يخص الدولة ، زخر بهم تاريخنا المجيد ، ورسموا صورة مشرقة من السلف والخلف لتاريخ هذه الأمة ، برز بينهم سلطان العلماء ليكون عنواناً أطروحتي لنيل درجة الماجستير الموسومة بـ (**دور العز بن عبدالسلام في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**) ، فهو (عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي) ، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، والمطّلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، اشتهر بدوره الفاعل في نواحٍ عديدة .

حيث عاش في الربع الأخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في الفترة مابين (٥٧٧ - ٦٦٠هـ/١١٨١ - ١٢٦٢م) ، عاصر أواخر الدولة الأيوبية وأوائل الدولة المملوكية في مصر والشام ، فشهد أحداثاً جسيمة ، في مقدمتها الاصطدام مع مبتدعي الحنابلة ، والوقوف في وجه البدع والمبتدعين .

كما أظهر تفوقاً في علمه وفقهه ، مما دفع السلطان الأيوبي "الصالح إسماعيل" حاكم دمشق (٦٣٧-٦٤٣هـ/١٢٤٠-١٢٤٥م) أن يوليه خطابة الجامع الأموي بدمشق ، وعندما عمد السلطان الصالح إسماعيل إلى قتال ابن أخيه السلطان " نجم الدين أيوب " (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) حاكم مصر ؛ من أجل انتزاع السلطة منه ، اتجه الصالح إسماعيل إلى موالاة الصليبيين ، فأعطاهم حصن الصفد والشقيف وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والتزوّد بالطعام وغيره . وهنا

---

[1] سورة النساء : آية ٥٩ .

استنكر العزّ بن عبدالسلام تصرف السلطان فصعد المنبر وخطب في الناس وبين لهم حرمة الصلح مع الصليبيين ، كما أفتى بحُرمة بيع السلاح لهم ، ثم نزل من المنبر دون الدّعاء للحاكم الصالح إسماعيل (كعادة خطباء الجمعة) ، فعدّ السلطان ذلك عصياناً وشقّاً لعصا طاعته ، ولذلك غضب على العزّ بن عبدالسلام وسجنه ، ولما غضب الناس ، واضطرب أمرهم بسبب سجن الشيخ خشي السلطان من ثورتهم ، فأخرج الشيخ من سجنه وأمر بإبعاده عن الخطابة في الجوامع ؛ فترك العز بن عبدالسلام الشام وسافر إلى بيت المقدس .

وعندما قدم "الصالح إسماعيل" إلى بيت المقدس وعلم بوجود " العز بن عبدالسلام" وأنه يُطلِع المسلمين هناك على تحالفه مع الصليبيين ؛ أمر بالقبض على الشيخ والتحفّظ عليه في خيمة قريبة منه ، وفي هذه الخيمة كان " العز بن عبدالسلام" يقرأ القرآن بصوت عالٍ ليلاً ونهاراً ، ولما اجتمع " الصالح إسماعيل " مع الصليبيين لإبرام اتفاقية معهم سمع صوت الشيخ ، فقال لهم مفتخراً :" تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن ؟ قالوا : نعم ، فقال : هذا أكبر قساوسة المسلمين ، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابة بدمشق ، وعن مناصبه ، ثم أخرجته حتى جاء القدس ، وقد جدّدت حبسه واعتقاله لأجلكم ! قالوا : لو كان هذا قسيساً لغسلنا رجليه ، وشربنا مرقتها "[(1)] فاضطر السلطان لإطلاق سراح الشيخ ؛ ولاسيما بعد معارضة الصليبيين إبرام هذا الاتفاق ؛ لأنهم كانوا على دراية بمدى قوة تأثير العلماء على المسلمين ، وهكذا أصبح للعز بن عبدالسلام دور واضح في رفض هذا الاتفاق ، بالإضافة لدوره السياسي البارز فيما بعد .

---

(1) السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت : ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ ، (٨ /٢٤٤) .

حرص الشيخ " العز بن عبدالسلام " على توضيح خطورة الموقف ، وأنه يتحتّم وحدة الصف الإسلامي للتصدي للصليبيين ؛ مما كان له عظيم الأثر في استعادة الدولة الأيوبية لوحدتها ، فثار السلطان " نجم الدين أيوب " ليجمع في قبضته بين القاهرة ودمشق وبيت المقدس ، مما ترتب عليه رد فعل عنيف من الغرب الأوروبي الذي تمثل في الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة السلطان الفرنسي " لويس التاسع " ؛ وهنا يتجدد الدور السياسي للشيخ " العز بن عبدالسلام " في معركة المنصورة حيث توفي السلطان الصالح أيوب وتسرب خبر وفاته مما أدى إلى ارتباك المصريين ، مما جعل الشيخ يقوم برفع الروح المعنوية عند المصريين الذين انقضوا على الصليبيين فهزموهم وأسروا ملك فرنسا .

وفي آخر دولة الأيوبيين تولت الحكم " شجر الدر" زوجة السلطان نجم الدين أيوب ، وكان "العزّ بن عبدالسلام" من الذين استنكروا الأمر وعارضوه جهرة ، مما أدى إلى إثارة المصريين ، ولم يدم حكم شجر الدرّ سوى ٨٠ يوماً ، إذ تنازلت عن عرشها للأمير عز الدين أيبك الذي تزوّجته وبقيت تحكم من خلاله .

وعندما انتقل حكم مصر من الأيوبيين إلى المماليك ظهر دور الشيخ العز بن عبدالسلام مرة أخرى وبخاصة في معركة " عين جالوت " عام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م تحت قيادة السلطان المملوكي "سيف الدين قطز" .

كما كان للشيخ العز بن عبدالسلام مواقف سياسية داخلية متعددة منها على سبيل المثال : أنه عندما تولى القضاء في مصر كان المماليك وهم مَمْلُكون لغيرهم يقومون بالبيع والشراء وقبض الأثمان والتزوج من الحرائر ، وهو ما يتعارض في نظر الشيخ مع الشرع الإسلامي ، إذ هم في الأصل عبيد لا يحق لهم ما يحق للأحرار. فامتنع أن يُمضي لهم بيعاً أو شراء ، فتألبوا عليه وشكوه إلى السلطان نجم الدين أيوب الذي طلب من الشيخ أن يعدل عن فتواه فلم يستجب له بل طلب من السلطان

ألا يتدخل في القضاء إذ هو ليس من شأنه ، وأدى به إنكاره لتدخل السلطان في القضاء ، أن قام فجمع أمتعته ووضعها على حماره ثم قال : ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾[1]، واستعد العلماء والصلحاء للرحيل معه ، فخرج السلطان نجم الدين يترضاه ، وطلب منه أن يعود وينفّذ حكم الشرع بعد تأكيده على عدم التدخل في أحكامه .

أما الموقف الآخر فقد كان مع السلطان "الظاهر بيبرس" عند توليه الحكم عندما استدعى الأمراء والعلماء لبيعته ، وكان من بينهم الشيخ العز بن عبدالسلام ، الذي فاجأ الظاهر بيبرس والحاضرين بقوله : يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقدار ـ أي لا تصلح بيعته ؛ لأنه ليس أهلا للتصرف ـ فما كان من الظاهر بيبرس إلا أن أحضر ما يثبت أن البندقدار قد وهبه للسلطان نجم الدين أيوب الذي أعتقه ، وهنا تقدم الشيخ فبايع بيبرس على السلطان .

هذا وقد كان للشيخ العز بن عبدالسلام دور في إحياء الخلافة العباسية في مصر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م حيث كانت الحاجة ماسة آنذاك إلى وجود خليفة يحث الناس على الجهاد في سبيل الله ، والتصدي لخطر العدوان الخارجي الذي بات يهدّد الأمة من الشرق والغرب .

وقد حرصت في بحثي هذا على إبراز الدور السياسي للعز بن عبدالسلام في الدولة الأيوبية والمملوكية حيث قلَّ تطرق الباحثين والمهتمين بالتاريخ الإسلامي لأثره في المجال السياسي ، فقد كان التركيز أكثر على الدور الفقهي الذي برع فيه .

وفي ظل الأحداث المتوتّرة بالعالم الإسلامي في تلك الحقبة ، التي كانت في أواخر عهد الأيوبيين وصراعهم مع الصليبيين ، وبداية عهد المماليك وتصديهم للمغول ،

---

(١) سورة النساء : آية ٩٧ .

جمع العز بين مهمتي : النهوض بالعلم ، وتأليف الكتب ، ومهمة الجهاد ضد الأعداء ، والحث على الوحدة للوقوف في وجه الأخطار ، ليكون بهذا قاضياً عادلاً ، ومفتياً أميناً ، ومجاهداً صادقاً ، وهذا ما نحن بأمس الحاجة إليه في هذا الزمان ، فالظروف الراهنة التي تحيط بعالمنا الإسلامي عامة ، والعالم العربي وبخاصة بلاد مصر والشام ، تشبه أحوال وظروف العصر الذي عاشها العز بن عبدالسلام ، وهذا ما جعلني اهتم بالبحث والاطلاع ومحاولة رسم صورة كاملة لشخصية العز بن عبدالسلام السياسية ، ذات الأثر المشهود في التصدي للأحداث في زمانه ؛ ولأن التاريخ يعيد نفسه ، أقدم بحثي وما يحويه من مواقف مشهودة ، وأراء سديدة ، وأفعال حميدة ، للشيخ العز بن عبدالسلام لتكون دروساً يتعلم منها علماء اليوم ، ثم يسيرون على خطاه ، ويتبعون منهجه ؛ لأن الأمة لم ينضب معينها ، ولم يجف خيرها ، ولم تنقطع بركتها .

أهمية الموضوع :

١- عدم توفر كتاب قائم بذاته في المكتبات العربية يتناول دور " العز بن عبدالسلام " في المجال السياسي .

٢- أهمية الفترة التي عاش فيها " العز بن عبدالسلام " في أواخر عهد الأيوبيين وصراعهم مع الصليبيين ، هذا فضلاً عن بداية عهد المماليك بمصر وتصديهم للمغول .

٣- عدم تطرق الباحثين لدوره السياسي وكل ما هنالك من دراسات انصبت على دوره الفقهي .

٤- توضيح موقف بعض الحكام الأيوبيين من علماء الإسلام أمثال العز بن عبدالسلام .

٥- إظهار موقفه من الحكام المسلمين حين محالفتهم الأعداء ضد ذويهم .

٦- ذكر مؤلفاته ، وبعض أقواله الفقهية ذات التأثير القوي على الجهاد ضد الغزاة الصليبيين في بلاد الشام ، واجتياح المغول أراضي الشام .

٧- مكانة العز بن عبدالسلام بين قرنائه من العلماء مما دفعهم لتلقيبه "بسلطان العلماء " و " بائع الملوك ".

خطة البحث :

حاولت بوجه عام ، جمع مادة علمية تفي بموضوع الدراسة وتُبرز الدور السياسي للعز بن عبدالسلام ، لذا تضمنت هذه الدراسة مقدمة ، وتمهيداً ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، وملاحق ، وقائمة المصادر ، والمراجع ، وفهرساً للمحتويات .

وقد شملت المقدمة تعريفاً شاملاً عن الموضوع وأهميته ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وخطة الدراسة ، وتحليلاً لأهم مصادر ومراجع الدراسة ، ثم تمهيداً تحدثت فيه عن الحياة السياسية في عصر العز بن عبدالسلام ، وتلاه الفصل الأول الذي احتوى على ثلاثة مباحث كانت على النحو التالي :

المبحث الأول : تناولت فيه حياته من ناحية اسمه ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وطلبه للعلم ومناصبه وأخلاقه ووفاته .

المبحث الثاني : اختص بآثاره العلمية فذكرت فيه شيوخه وأثرهم فيه ، وتلاميذه وأثره فيهم ، ومؤلفاته .

المبحث الثالث : تطرقت إلى مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .

أما الفصل الثاني فقد درس دور العز بن عبدالسلام السياسي مع الأيوبيين ، وتضمن ثلاثة مباحث جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الفقهاء ، فقد تناول موقفه من مبتدعي الحنابلة ومن شيوع المنكرات والمظالم ومقاومته للخارجين على الشرعية بدعوى التصوف .

المبحث الثاني : موقفه السياسي تجاه الأيوبيين بالشام ، فخصصته بموقفه عندما تنازع الأخوان الملكان الأشرف والكامل ، ودوره حينما تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين .

المبحث الثالث : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بمصر ، تناولت فيه موقف العز بن عبدالسلام من السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي ، وموقفه مع أمراء المماليك ، ودوره مع وزير الدولة معين الدين ، واستنجاد السلطان الناصر داود به سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، ودوره في معركة المنصورة .

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بعنوان دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر المملوكي ، ويتفرع منه ثلاثة مباحث ، الأول : معارضته لحكم شجرالدر ، والثاني : دور العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز عندما أراد عزل المنصور علي ودوره الرائد في معركة عين جالوت .

والمبحث الثالث والأخير من هذا الفصل : خصّصته للحديث عن دوره في عهد الظاهر بيبرس عند مبايعته له وكذلك موقفه من إحياء الخلافة العباسية .

وانتهت الدراسة بخاتمة أعقبت هذه الفصول السابقة ، واشتملت على أهم النتائج التي خرجتُ بها .

وقد ذيّلت صفحات البحث بعدد من الملاحق التي تخدم موضوع الدراسة ، ثم أعقبت ذلك بذكر المصادر والمراجع التي استقيت منها معلومات الدراسة ، وفي نهاية البحث جاء الفهرس الذي اشتمل على محتويات الرسالة .

الدراسات السابقة :

جاءت فكرة اختيار هذه الدراسة بعد التقصي والبحث في دليل الرسائل العلمية بعدد من مكتباتنا ، وجامعاتنا المحلية ، ومكتبة الملك فهد - رحمه الله - ، وفهرس الرسائل في مركز الملك فيصل - رحمه الله - للبحوث والدراسات الإسلامية .

حيث تبين أن الموضوع لم يُدرس دراسة علمية مستقلة تتسمُ بالشمولية عن دور الشيخ " العز بن عبدالسلام " السياسي ، وكل ما سبق من دراسات ذات صلة فإنها عبارة عن مقالات ، ودراسات عامة عن الشخصية تتناول دوره الفقهي والعقائدي ، وليس هناك دراسات تناولت دوره مع بعض الحكام الأيوبيين الذين استعانوا بالصليبيين أثناء صراعاتهم بالتفصيل ، وكذلك عدم تناول دوره البارز في مصر مع بدايات عصر المماليك ، وما تلاه من أقواله الجليلة لحث همم المسلمين للتصدي للمغول ، والذي توجه بدوره المشرِّف في معركة عين جالوت ، هذا فضلاً عن دراسات أخرى تتناول الأحداث بشكل عام دون توضيح دوره السياسي رغم أهميته ولعل أبرز تلك الدراسات ما يلي :

١- كتاب " **حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام** " للمؤلف / محمود شلبي ، طبعة بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م . وهو كتاب يتناول حياة شيخنا الجليل بمعلومات مختصرة للغاية لا تعدو أن تكون مقتطفات من كتابات السابقين عن الشيخ وردت بأسلوب أدبي أكثر منه تاريخي ، وهي غير مسندة بهوامش ، هذا فضلا عن تخصيص معظم الكتاب عن فتاوى الشيخ والمناسبات التي ذكرت فيها .

٢-كتاب " **العز بن عبدالسلام سلطان العلماء** " للمؤلف / عبدالمنعم الهاشمي ، الجزء الأول من مجموعة " سلسلة أعلام العلماء " طبعة بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م يُمثل كتيباً صغيراً يتناول أجزاء من أعمال هذا الشيخ باختصار شديد ، و يتناول فتاواه باستفاضة .

٣-كتاب " **العز بن عبدالسلام سلطان العلماء** " تأليف الأستاذ الدكتور/ فاروق عبدالمعطي ، طبعة بيروت ،١٩٩٣م ، وهو كتاب فقهي يتناول أحكام وفتاوى الشيخ ، وكل ما ورد بالكتاب عن دور الشيخ السياسي لا يتعدى بعض مباحث الباب الثالث باختصار وسوف تستفيد الباحثة من المعلومات التاريخية التى أوردها الدكتور قدر الإمكان .

٤-كتاب " **العز بن عبدالسلام (٥٧٧-٦٦٠هـ)** " بقلم سليم بن عيد الهلالي طبعة المملكة العربية السعودية ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . يذكر الأحداث السياسية التي عاصرها هذا الشيخ باختصار ، وأورد بعض الأحاديث التي دارت بينه وبين الحكام ، ولكن دون إسنادها لمصادرها وأفرد نصف الكتاب عن الفتاوى وأراء الشيخ ، وسيستفاد من المعلومات المتعلقة عن دور الشيخ السياسي بهذا الكتاب .

٥- رسالة ماجستير " **الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك** " بجامعة أم القرى سنة١٤٣١هـ ، للباحثة /سماح بنت سعيد باحويرث . تناولت تلك الدراسة العز بن عبدالسلام كجزء من الرسالة حيث تطرقت لأثر دوره السياسي في بعض مباحثها واستفادت من تلك الدراسة فيما يتعلق بدوره مع سلاطين المماليك .

منهج البحث :

اعتمدت الدراسة على المنهج : الوصفي والتحليلي والنقدي ؛ فاستخدمت المنهج الأول : لوصف مكانة العلماء قبل ظهور " العز بن عبدالسلام " ، ثم وصف مواقفه مع الحكام المسلمين في بلاد الشام ومصر . أما المنهج التحليلي فقد طبقته بعد مقارنة المصادر بعضها ببعض للوصول إلى أصدق الروايات وأكثرها ثقة مع تقديم رؤية نقدية لمواقف الحكام من الشيخ ، وأثر ذلك على المسلمين .

وتبعت الباحثة منهج البحث التاريخي من خلال جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية ، والمراجع المعتمدة ، والدراسات الحديثة ، والبحوث الخاصة بالعز بن عبدالسلام وعصره ثم ، رصدها واستخدامها حسب الخطة وإتباع الأسلوب العلمي لصياغة المادة التاريخية وفق فصول الدراسة ومباحثها .

وقد حرصتُ على ترجمة الأعلام والأماكن والألفاظ الغريبة الواردة بين ثنايا البحث ، واكتفيتُ بوضع بداية ونهاية تأريخ ولاية كل حاكم ، ودرءاً للاستطراد والتكرار ذكرت ذلك عند الحديث عنه في المرة الأولى ، كما عرّفت بالمصادر والمراجع عند ورودها لأول مرة ، ولكن اكتفيت بعد ذلك بذكر المصدر والمرجع مختصراً ، ووضعتُ لها تعريفاً شاملاً في قائمة المصادر والمراجع .

ومما أود الإشارة إليه أنني في توثيق المعلومات التاريخية لم أعمد إلى المنهج القائم على المصدر السابق ، والمصدر نفسه ؛ بل عمدت إلى تكرار اسم الكتاب لما في ذلك من الاختصار وتسهيلاً للقارئ في الرجوع إلى المعلومات ، أما النصوص المنقولة فقد عمدت إلى إيرادها نقلاً بنصها دون تدخل مني .

وقد اضطررت أن أدرج بين ثنايا البحث بعض الأحداث والمواقف الجليلة في أكثر من موضع ، لأثرها الكبير على حياة شيخنا العز بن عبدالسلام مراعية قدر الإمكان مناسبة الحديث عنها .

وفي أطروحتي هذه حاولت ألا أترك جانباً سياسياً من حياة العز بن عبدالسلام غامضاً ، وأن أقدم صورة متكاملة لدوره السياسي وأثره في عصره ، ولكي أتمكن من ذلك رجعت إلى جميع ما أمكنني من المصادر فواجهت عناءً كبيراً في الوصول إلى بعض المعلومات وإيجاد التسلسل والترابط بين الأحداث .

ولاشك أن الباحثة واجهت عقبات في طريق بحثها إلا أن الإصرار والعزم على مواصلة البحث بعد توفيق الله والتوكل عليه ذلّل الصعوبات التي كان من أبرزها :

* اضطراب المعلومات في بعض المصادر وتداخلها .

* صعوبة استخلاص الدور السياسي للعز بن عبدالسلام من بطون المصادر .

* قلة المصادر التي تغطي جوانب بحثي بالتفصيل .

* صعوبة الحصول على المادة العلمية الكافية لكتابة موضوع متكامل ؛ لأن أكثر الدراسات التي تناولت حياة العز بن عبدالسلام لم تتطرق لدوره السياسي الذي قام به بالتفصيل إنما اهتمت بالجوانب الدينية والاجتماعية والعلمية من حياته ، مما جعل الأمر يتطلب مضاعفة الجهد في البحث عن مادة علمية كافية تغطي جوانب البحث كافة .

* البعد عن المكتبات الزاخرة بالمصادر مثل مكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبدالعزيز .

كل هذه وتلك زادتني إصراراً على التمسك بالدراسة والمضي فيها ، فقد تناولت جوانب بحثي قدر الإمكان ، وبقدر ما تمدني به المصادر والمراجع التي تمكنت من الوصول إليها ، وكم كنت أود أن أعتمد على نفسي كثيراً ؛ لتذليل هذه المصاعب التي أرهقتني ، إلا أنني استعنت بنصائح المشرف التي خففت عليّ الكثير من الجهد والمشقة وهونت عليّ المصاعب .

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث :

في سبيل جمع المادة العلمية لأطروحتي حرصت على زيارة الكثير من المكتبات الخاصة ، والعامة والاطلاع على المصادر التي تنوعت واختلفت وذلك لتنوع المادة العلمية واهتمامات الكتَّاب بجوانب معينة من شخصية العز التي يتطلبت البحث عنها الاعتماد على عدة مصادر من التراث العربي الإسلامي في التاريخ ، والفقه ، والجغرافيا والأنساب والتراجم والطبقات والمعاجم اللغوية الذي عاصر بعض مؤلفيها الأحداث وعاش بعضهم الآخر في فترة لاحقة ليست بعيدة عن زمن وقوعها .

هـذا إلى جانـب العديـد مـن المراجـع الحديثـة الـتي احتـوت علـى معلومـات اسـتطاعت الباحثـة خلالهـا الوصـول إلى حقـائق مهمـة خـدمت الدراسـة بشـكل واضـح وذلـك مـن أجـل تحليـل المـادة التاريخيـة لخدمـة موضـوع البحـث وللوصـول إلى الحقـائق واسـتخلاص أفضل النتائج .

ومن أبرز ما رجعت إليه من مصادر ومراجع :

١- مـرآة الزمـان فـي تـاريخ الأعيـان : لأبي المظفـر يوسـف سـبط ابـن الجـوزي (ت : ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) فهـو مصـدر مهـم ؛ لأن مؤلفـه ممـن عاصـر فـترة البحـث وقـد حـوى هـذا المصـدر في جزئـه الثـامن بعـض أخبـار العـز بـن عبدالسـلام محـدداً التـاريخ والمكـان ، كمـا ذكـر بعـض المعلومـات عـن تـولّي العـز بـن عبدالسـلام مناصـب التـدريس والخطابة والقضاء .

٢- تـراجم رجـال القـرنين السـادس والسـابع المعـروف بالـذيل علـى الروضـتين : لشــهاب الــدين عبــد الــرحمن بــن إسماعيــل المقدســي المعــروف بــأبي شــامة (ت : ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) فقـد تحـدث أبـو شـامة فيـه عـن الفـترة مـن ٥٩٠هـ حـتى وفاتـه سـنة ٦٦٥هـ ، وأكثـر فيـه مـن الـتراجم للعلمـاء والفقهـاء الـذين عاشـوا في بـلاد الشـام خـلال تلـك الحقبـة ، فكـان هـذا المصـدر مـن المصـادر المفيـدة في معرفـة عمـر العـز وبيئتـه في دمشـق ؛ لأنـه تحـدث عـن المناصـب الـتي تولاهـا في دمشـق ضـابطاً التـواريخ حسـب الترتيب الزمني .

٣- تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام : لشـمس الـدين أبـو عبـدالله محمـد بـن أحمـد الـذهبي (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) يعـد هـذا المصـدر أحـد الموسـوعات التاريخيـة الكـبرى ، فقـد سـار المؤلـف علـى ترتيـب السـنوات وجمـع بـين الحـوادث والوفيـات وتحتـوي تراجمـه علـى معلومـات دقيقـة بالإضـافة إلى كتابـه الآخـر (سـير أعـلام النـبلاء)

الذي ترجم فيه لأعيان الناس من علماء وحكام وأمراء فقد ورد فيه مادة تاريخية وفيرة تشمل معلومات واسعة تخدم هذه الدراسة .

كما تعد مؤلفات الذهبي الأخرى مثل "العبر في خبر من غبر" و" تذكرة الحفاظ " ، وغيرهما من الروافد المهمة التي أعانتني على إتمام هذه الدراسة وأضفت عليها معلومات مهمة وقيمة .

٤- فوات الوفيات والذيل عليها : لمحمد بن شاكر الكتبي (ت : ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) يعد هذا المصدر من المصادر التي ورد فيها ترجمة للعز بن عبدالسلام حيث ذكر شيوخ العز وبعض صفاته ومؤلفاته وما وقع للعز فيما بينه وبين الصالح إسماعيل ، وموقفه من الوزير معين الدين وأورد فيه خبر توليه القضاء في مصر كما تناول هذا المصدر موقف الظاهر بيبرس عند سماعه بخبر وفاة العز بن عبدالسلام .

٥- طبقات الشافعية الكبرى :لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت : ٧٧١هـ/١٣٦٩م) يعد هذا الكتاب المصدر الأساس في دراسة شخصية العز بن عبدالسلام ؛ لأنه ذكر ترجمة الشيخ بتفصيل لم يرد عند أحد غيره ، وجمع كل ما يتصل به من وقائع وأحداث وانفرد بمعلومات قيمة عن حياة العز بن عبدالسلام ، فقد تحدث عن مولد الشيخ ونشأته وتعلمه وبعض من تفقه العز بن عبدالسلام عليهم من العلماء ومن روى عنه من تلاميذه وذكر مواقف سياسية عديدة للعز كقصة إنكار الشيخ على السلطان الصالح إسماعيل وخروج العز إلى مصر وواقعة بيع العز للمماليك ، وما حدث بينه وبين قطز ثم موقفه من الظاهر بيبرس كما استفدنا من هذا المصدر في معرفة إنتاج العز بن عبدالسلام العلمي ، واتجاهاته الفكرية .

وقد اعتمد اغلب الذين كتبوا عنه بعد السبكي مثل ابن عماد الحنبلي وطاش كبرى زاده وغيرهم على كتابه ليكون مصدراً تعتمد عليه الدراسات في رسم صورة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أعزّنا بالإسلام ، وفضلنا على سائر الأنام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له السلطان وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، إله عزّ من اعتز به فلا يُضام ، وذل من تكبّر عن أمره ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ** ﴾(1)، وأشهد أن سيدنا محمداً – صلى الله عليه وسلم – خاتم الرسل ، والأنبياء ، وإمام المجاهدين ، والأتقياء ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وثبت عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم : " العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "(2) .

وبعد :

فلم يخلُ عصر من عصور الإسلام من العلماء و الدعاة ، صنعتهم الشريعة الإسلامية ، وقاموا على أساسها ، لتعلو بهم راية الدين ، ويعود مجده ؛ لأنهم للمجتمع بمنزلة الروح للجسد ، وهم الذين يأخذون بيد الأمة ، ويصدعون بالحق ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وينافحون عن الدين ، ويكافحون من أجله ، يسعون جاهدين لإزالة الشكوك والأوهام والبدع والخرافات ، حريصين أشد الحرص على المصلحة العامة ، بما لا يتنافى مع أحكام الشرع ، ولا يثنيهم عن تطبيق أوامر الدين ملك ولا سلطان ، بل كانوا يناصحون الأمراء ، ويوجهون الحكام ، وبهم يستنير الجاهل ويقتدي العابد ، وكانوا حجر أساس لقيام الدولة ، وثبات الحكم ، في حقهم أنزل الله عزّ وجلّ قوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**

---

(1) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

(2) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ/٨٨٩م) : سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د.ت ، (٣١٧/٣) .

وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1]؛ ولأن العلماء والأمراء وولاة الأمر لهم بصمة واضحة في القرارات المهمة للدولة ، ولهم ظهور بارز في المواقف التي يمر بها عامة الناس ، فهم إما يطالبون بحقوقهم ، أو يحاولون الدفاع عنهم ، أو يشحذون هممهم للمشاركة في أمر يخص الدولة ، زخر بهم تاريخنا المجيد ، ورسموا صورة مشرقة من السلف والخلف لتاريخ هذه الأمة ، برز بينهم سلطان العلماء ليكون عنواناً أطروحتي لنيل درجة الماجستير الموسومة بـ (**دور العز بن عبدالسلام في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**) ، فهو (عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي) ، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ، والمطّلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها ، اشتهر بدوره الفاعل في نواحٍ عديدة .

حيث عاش في الربع الأخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي في الفترة مابين (٥٧٧ - ٦٦٠هـ/١١٨١ - ١٢٦٢م) ، عاصر أواخر الدولة الأيوبية وأوائل الدولة المملوكية في مصر والشام ، فشهد أحداثاً جسيمة ، في مقدمتها الاصطدام مع مبتدعي الحنابلة ، والوقوف في وجه البدع والمبتدعين .

كما أظهر تفوقاً في علمه وفقهه ، مما دفع السلطان الأيوبي "الصالح إسماعيل" حاكم دمشق (٦٣٧-٦٤٣هـ/١٢٤٠-١٢٤٥م) أن يوليه خطابة الجامع الأموي بدمشق ، وعندما عمد السلطان الصالح إسماعيل إلى قتال ابن أخيه السلطان " نجم الدين أيوب " (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) حاكم مصر ؛ من أجل انتزاع السلطة منه ، اتجه الصالح إسماعيل إلى موالاة الصليبيين ، فأعطاهم حصن الصفد والشقيف وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والتزوّد بالطعام وغيره . وهنا

---

[1] سورة النساء : آية ٥٩ .

استنكر العزّ بن عبدالسلام تصرف السلطان فصعد المنبر وخطب في الناس وبين لهم حرمة الصلح مع الصليبيين ، كما أفتى بحُرمة بيع السلاح لهم ، ثم نزل من المنبر دون الدّعاء للحاكم الصالح إسماعيل (كعادة خطباء الجمعة) ، فعدّ السلطان ذلك عصياناً وشقّاً لعصا طاعته ، ولذلك غضب على العزّ بن عبدالسلام وسجنه ، ولما غضب الناس ، واضطرب أمرهم بسبب سجن الشيخ خشي السلطان من ثورتهم ، فأخرج الشيخ من سجنه وأمر بإبعاده عن الخطابة في الجوامع ؛ فترك العز بن عبدالسلام الشام وسافر إلى بيت المقدس .

وعندما قدم "الصالح إسماعيل" إلى بيت المقدس وعلم بوجود " العز بن عبدالسلام" وأنه يُطلِع المسلمين هناك على تحالفه مع الصليبيين ؛ أمر بالقبض على الشيخ والتحفّظ عليه في خيمة قريبة منه ، وفي هذه الخيمة كان " العز بن عبدالسلام" يقرأ القرآن بصوت عالٍ ليلاً ونهاراً ، ولما اجتمع " الصالح إسماعيل " مع الصليبيين لإبرام اتفاقية معهم سمع صوت الشيخ ، فقال لهم مفتخراً :" تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن ؟ قالوا : نعم ، فقال : هذا أكبر قساوسة المسلمين ، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابة بدمشق ، وعن مناصبه ، ثم أخرجته حتى جاء القدس ، وقد جدّدت حبسه واعتقاله لأجلكم ! قالوا : لو كان هذا قسيساً لغسلنا رجليه ، وشربنا مرقتها "[1] فاضطر السلطان لإطلاق سراح الشيخ ؛ ولاسيما بعد معارضة الصليبيين إبرام هذا الاتفاق ؛ لأنهم كانوا على دراية بمدى قوة تأثير العلماء على المسلمين ، وهكذا أصبح للعز بن عبدالسلام دور واضح في رفض هذا الاتفاق ، بالإضافة لدوره السياسي البارز فيما بعد .

(١) السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت : ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ ، (٨ /٢٤٤) .

حـرص الشـيخ " العـز بـن عبدالسـلام " علـى توضـيح خطـورة الموقـف ، وأنـه يتحـتّم وحـدة الصـف الإسـلامي للتصـدي للصـليبيين ؛ ممـا كـان لـه عظـيم الأثـر فـي استعـادة الدولـة الأيوبيـة لوحـدتها ، فثـار السـلطان " نجـم الـدين أيـوب " ليجمـع فـي قبضـته بـين القـاهرة ودمشـق وبيـت المقـدس ، ممـا ترتـب عليـه رد فعـل عنيـف مـن الغـرب الأوروبـي الـذي تمثـل فـي الحملـة الصـليبية السـابعة علـى مصـر بقيـادة السـلطان الفرنسـي " لـويس التاسـع " ؛ وهنـا يتجـدد الـدور السياسـي للشـيخ " العـز بـن عبدالسـلام " في معركـة المنصـورة حيـث تـوفي السـلطان الصـالح أيـوب وتسـرب خـبر وفاتـه ممـا أدى إلـى ارتبـاك المصـريين ، ممـا جعـل الشيـخ يقـوم برفـع الـروح المعنويـة عنـد المصـريين الـذين انقضـوا علـى الصليبيين فهزموهم وأسروا ملك فرنسا .

وفي آخـر دولـة الأيـوبيين تولـت الحكـم " شـجر الـدر" زوجـة السـلطان نجـم الـدين أيـوب ، وكـان "العـزّ بـن عبدالسـلام" مـن الـذين اسـتنكروا الأمـر وعارضـوه جهـرة ، ممـا أدى إلى إثـارة المصـريين ، ولم يـدم حكـم شـجر الـدرّ سـوى ٨٠ يومـاً ، إذ تنازلـت عـن عرشها للأمير عز الدين أيبك الذي تزوّجته وبقيت تحكم من خلاله .

وعنـدما انتقـل حكـم مصـر مـن الأيـوبيين إلى المماليـك ظهـر دور الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام مـرة أخـرى وبخاصـة في معركـة " عـين جـالوت " عـام ٦٥٨هـ/١٢٦٠م تحـت قيادة السلطان المملوكي "سيف الدين قطز" .

كمـا كـان للشـيخ العـز بـن عبدالسـلام مواقـف سياسـية داخليـة متعـددة منهـا علـى سـبيل المثـال : أنـه عنـدما تـولى القضـاء في مصـر كـان المماليـك وهـم مَمْلُكـون لغـيرهم يقومـون بـالبيع والشـراء وقـبض الأثمـان والتـزوج مـن الحرائـر ، وهـو مـا يتعـارض في نظـر الشـيخ مـع الشـرع الإسـلامي ، إذ هـم في الأصـل عبيـد لا يحـق لهـم مـا يحـق للأحـرار. فـامتنع أن يُمضـي لهـم بيعـاً أو شـراء ، فتـألبوا عليـه وشـكوه إلى السـلطان نجـم الـدين أيـوب الـذي طلـب مـن الشـيخ أن يعـدل عـن فتـواه فلـم يسـتجب لـه بـل طلـب مـن السـلطان

ألا يتدخل في القضاء إذ هو ليس من شأنه ، وأدى به إنكاره لتدخل السلطان في القضاء ، أن قام فجمع أمتعته ووضعها على حماره ثم قال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[1]، واستعد العلماء والصلحاء للرحيل معه ، فخرج السلطان نجم الدين يترضاه ، وطلب منه أن يعود وينفّذ حكم الشرع بعد تأكيده على عدم التدخل في أحكامه .

أما الموقف الآخر فقد كان مع السلطان "الظاهر بيبرس" عند توليه الحكم عندما استدعى الأمراء والعلماء لبيعته ، وكان من بينهم الشيخ العز بن عبدالسلام ، الذي فاجأ الظاهر بيبرس والحاضرين بقوله : يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقدار ــ أي لا تصلح بيعته ؛ لأنه ليس أهلا للتصرف ــ فما كان من الظاهر بيبرس إلا أن أحضر ما يثبت أن البندقدار قد وهبه للسلطان نجم الدين أيوب الذي أعتقه ، وهنا تقدم الشيخ فبايع بيبرس على السلطان .

هذا وقد كان للشيخ العز بن عبدالسلام دور في إحياء الخلافة العباسية في مصر سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م حيث كانت الحاجة ماسة آنذاك إلى وجود خليفة يحث الناس على الجهاد في سبيل الله ، والتصدي لخطر العدوان الخارجي الذي بات يهدّد الأمة من الشرق والغرب .

وقد حرصت في بحثي هذا على إبراز الدور السياسي للعز بن عبدالسلام في الدولة الأيوبية والمملوكية حيث قلَّ تطرق الباحثين والمهتمين بالتاريخ الإسلامي لأثره في المجال السياسي ، فقد كان التركيز أكثر على الدور الفقهي الذي برع فيه .

وفي ظل الأحداث المتوتّرة بالعالم الإسلامي في تلك الحقبة ، التي كانت في أواخر عهد الأيوبيين وصراعهم مع الصليبيين ، وبداية عهد المماليك وتصديهم للمغول ،

---

(١) سورة النساء : آية ٩٧ .

جمع العز بين مهمتي : النهوض بالعلم ، وتأليف الكتب ، ومهمة الجهاد ضد الأعداء ، والحث على الوحدة للوقوف في وجه الأخطار ، ليكون بهذا قاضياً عادلاً ، ومفتياً أميناً ، ومجاهداً صادقاً ، وهذا ما نحن بأمس الحاجة إليه في هذا الزمان ، فالظروف الراهنة التي تحيط بعالمنا الإسلامي عامة ، والعالم العربي وبخاصة بلاد مصر والشام ، تشبه أحوال وظروف العصر الذي عاشها العز بن عبدالسلام ، وهذا ما جعلني اهتم بالبحث والاطلاع ومحاولة رسم صورة كاملة لشخصية العز بن عبدالسلام السياسية ، ذات الأثر المشهود في التصدي للأحداث في زمانه ؛ ولأن التاريخ يعيد نفسه ، أقدم بحثي وما يحويه من مواقف مشهودة ، وأراء سديدة ، وأفعال حميدة ، للشيخ العز بن عبدالسلام لتكون دروساً يتعلم منها علماء اليوم ، ثم يسيرون على خطاه ، ويتبعون منهجه ؛ لأن الأمة لم ينضب معينها ، ولم يجف خيرها ، ولم تنقطع بركتها .

أهمية الموضوع :

١- عدم توفر كتاب قائم بذاته في المكتبات العربية يتناول دور " العز بن عبدالسلام " في المجال السياسي .

٢- أهمية الفترة التي عاش فيها " العز بن عبدالسلام " في أواخر عهد الأيوبيين وصراعهم مع الصليبيين ، هذا فضلاً عن بداية عهد المماليك بمصر وتصديهم للمغول .

٣- عدم تطرق الباحثين لدوره السياسي وكل ما هنالك من دراسات انصبت على دوره الفقهي .

٤- توضيح موقف بعض الحكام الأيوبيين من علماء الإسلام أمثال العز بن عبدالسلام .

٥- إظهار موقفه من الحكام المسلمين حين محالفتهم الأعداء ضد ذويهم .

٦- ذكر مؤلفاته ، وبعض أقواله الفقهية ذات التأثير القوي على الجهاد ضد الغزاة الصليبيين في بلاد الشام ، واجتياح المغول أراضي الشام .

٧- مكانة العز بن عبدالسلام بين قرنائه من العلماء مما دفعهم لتلقيبه "بسلطان العلماء " و " بائع الملوك ".

خطة البحث :

حاولت بوجه عام ، جمع مادة علمية تفي بموضوع الدراسة وتُبرز الدور السياسي للعز بن عبدالسلام ، لذا تضمنت هذه الدراسة مقدمة ، وتمهيداً ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، وملاحق ، وقائمة المصادر ، والمراجع ، وفهرساً للمحتويات .

وقد شملت المقدمة تعريفاً شاملاً عن الموضوع وأهميته ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وخطة الدراسة ، وتحليلاً لأهم مصادر ومراجع الدراسة ، ثم تمهيداً تحدثت فيه عن الحياة السياسية في عصر العز بن عبدالسلام ، وتلاه الفصل الأول الذي احتوى على ثلاثة مباحث كانت على النحو التالي :

المبحث الأول : تناولت فيه حياته من ناحية اسمه ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وطلبه للعلم ومناصبه وأخلاقه ووفاته .

المبحث الثاني : اختص بآثاره العلمية فذكرت فيه شيوخه وأثرهم فيه ، وتلاميذه وأثره فيهم ، ومؤلفاته .

المبحث الثالث : تطرقت إلى مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .

أما الفصل الثاني فقد درس دور العز بن عبدالسلام السياسي مع الأيوبيين ، وتضمن ثلاثة مباحث جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الفقهاء ، فقد تناول موقفه من مبتدعي الحنابلة ومن شيوع المنكرات والمظالم ومقاومته للخارجين على الشرعية بدعوى التصوف .

المبحث الثاني : موقفه السياسي تجاه الأيوبيين بالشام ، فخصصته بموقفه عندما تنازع الأخوان الملكان الأشرف والكامل ، ودوره حينما تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين .

المبحث الثالث : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بمصر ، تناولت فيه موقف العز بن عبدالسلام من السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي ، وموقفه مع أمراء المماليك ، ودوره مع وزير الدولة معين الدين ، واستنجاد السلطان الناصر داود به سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، ودوره في معركة المنصورة .

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بعنوان دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر المملوكي ، ويتفرع منه ثلاثة مباحث ، الأول : معارضته لحكم شجرالدر ، والثاني : دور العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز عندما أراد عزل المنصور علي ودوره الرائد في معركة عين جالوت .

والمبحث الثالث والأخير من هذا الفصل : خصّصته للحديث عن دوره في عهد الظاهر بيبرس عند مبايعته له وكذلك موقفه من إحياء الخلافة العباسية .

وانتهت الدراسة بخاتمة أعقبت هذه الفصول السابقة ، واشتملت على أهم النتائج التي خرجتُ بها .

وقد ذيّلت صفحات البحث بعدد من الملاحق التي تخدم موضوع الدراسة ، ثم أعقبت ذلك بذكر المصادر والمراجع التي استقيت منها معلومات الدراسة ، وفي نهاية البحث جاء الفهرس الذي اشتمل على محتويات الرسالة .

الدراسات السابقة :

جاءت فكرة اختيار هذه الدراسة بعد التقصي والبحث في دليل الرسائل العلمية بعدد من مكتباتنا ، وجامعاتنا المحلية ، ومكتبة الملك فهد – رحمه الله – ، وفهرس الرسائل في مركز الملك فيصل – رحمه الله – للبحوث والدراسات الإسلامية .

حيث تبين أن الموضوع لم يُدرس دراسة علمية مستقلة تتسمُ بالشمولية عن دور الشيخ " العز بن عبدالسلام " السياسي ، وكل ما سبق من دراسات ذات صلة فإنها عبارة عن مقالات ، ودراسات عامة عن الشخصية تتناول دوره الفقهي والعقائدي ، وليس هناك دراسات تناولت دوره مع بعض الحكام الأيوبيين الذين استعانوا بالصليبيين أثناء صراعاتهم بالتفصيل ، وكذلك عدم تناول دوره البارز في مصر مع بدايات عصر المماليك ، وما تلاه من أقواله الجليلة لحث همم المسلمين للتصدي للمغول ، والذي توجه بدوره المشرِّف في معركة عين جالوت ، هذا فضلاً عن دراسات أخرى تتناول الأحداث بشكل عام دون توضيح دوره السياسي رغم أهميته ولعل أبرز تلك الدراسات ما يلي :

١- كتاب " **حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام** " للمؤلف / محمود شلبي ، طبعة بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م . وهو كتاب يتناول حياة شيخنا الجليل بمعلومات مختصرة للغاية لا تعدو أن تكون مقتطفات من كتابات السابقين عن الشيخ وردت بأسلوب أدبي أكثر منه تاريخي ، وهي غير مسندة بهوامش ، هذا فضلا عن تخصيص معظم الكتاب عن فتاوى الشيخ والمناسبات التي ذكرت فيها .

٢-كتاب " **العز بن عبدالسلام سلطان العلماء** " للمؤلف / عبدالمنعم الهاشمي ، الجزء الأول من مجموعة " سلسلة أعلام العلماء " طبعة بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م يُمثل كتيباً صغيراً يتناول أجزاء من أعمال هذا الشيخ باختصار شديد ، و يتناول فتاواه باستفاضة .

٣-كتاب " **العز بن عبدالسلام سلطان العلماء** " تأليف الأستاذ الدكتور/ فاروق عبدالمعطي ، طبعة بيروت ،١٩٩٣م ، وهو كتاب فقهي يتناول أحكام وفتاوى الشيخ ، وكل ما ورد بالكتاب عن دور الشيخ السياسي لا يتعدى بعض مباحث الباب الثالث باختصار وسوف تستفيد الباحثة من المعلومات التاريخية التى أوردها الدكتور قدر الإمكان .

٤-كتاب " **العز بن عبدالسلام (٥٧٧-٦٦٠هـ)** " بقلم سليم بن عيد الهلالي طبعة المملكة العربية السعودية ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م . يذكر الأحداث السياسية التي عاصرها هذا الشيخ باختصار ، وأورد بعض الأحاديث التي دارت بينه وبين الحكام ، ولكن دون إسنادها لمصادرها وأفرد نصف الكتاب عن الفتاوى وأراء الشيخ ، وسيستفاد من المعلومات المتعلقة عن دور الشيخ السياسي بهذا الكتاب .

٥- رسالة ماجستير " **الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك** " بجامعة أم القرى سنة١٤٣١هـ ، للباحثة /سماح بنت سعيد باحويرث . تناولت تلك الدراسة العز بن عبدالسلام كجزء من الرسالة حيث تطرقت لأثر دوره السياسي في بعض مباحثها واستفادت من تلك الدراسة فيما يتعلق بدوره مع سلاطين المماليك .

منهج البحث :

اعتمدت الدراسة على المنهج : الوصفي والتحليلي والنقدي ؛ فاستخدمت المنهج الأول : لوصف مكانة العلماء قبل ظهور " العز بن عبدالسلام " ، ثم وصف مواقفه مع الحكام المسلمين في بلاد الشام ومصر . أما المنهج التحليلي فقد طبقته بعد مقارنة المصادر بعضها ببعض للوصول إلى أصدق الروايات وأكثرها ثقة مع تقديم رؤية نقدية لمواقف الحكام من الشيخ ، وأثر ذلك على المسلمين .

وتبعت الباحثة منهج البحث التاريخي من خلال جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية ، والمراجع المعتمدة ، والدراسات الحديثة ، والبحوث الخاصة بالعز بن عبدالسلام وعصره ثم ، رصدها واستخدامها حسب الخطة وإتباع الأسلوب العلمي لصياغة المادة التاريخية وفق فصول الدراسة ومباحثها .

وقد حرصتُ على ترجمة الأعلام والأماكن والألفاظ الغريبة الواردة بين ثنايا البحث ، واكتفيتُ بوضع بداية ونهاية تأريخ ولاية كل حاكم ، ودرءاً للاستطراد والتكرار ذكرت ذلك عند الحديث عنه في المرة الأولى ، كما عرّفت بالمصادر والمراجع عند ورودها لأول مرة ، ولكن اكتفيت بعد ذلك بذكر المصدر والمرجع مختصراً ، ووضعتُ لها تعريفاً شاملاً في قائمة المصادر والمراجع .

ومما أود الإشارة إليه أنني في توثيق المعلومات التاريخية لم أعمد إلى المنهج القائم على المصدر السابق ، والمصدر نفسه ؛ بل عمدت إلى تكرار اسم الكتاب لما في ذلك من الاختصار وتسهيلاً للقارئ في الرجوع إلى المعلومات ، أما النصوص المنقولة فقد عمدت إلى إيرادها نقلاً بنصها دون تدخل مني .

وقد اضطررت أن أدرج بين ثنايا البحث بعض الأحداث والمواقف الجليلة في أكثر من موضع ، لأثرها الكبير على حياة شيخنا العز بن عبدالسلام مراعية قدر الإمكان مناسبة الحديث عنها .

وفي أطروحتي هذه حاولت ألا أترك جانباً سياسياً من حياة العز بن عبدالسلام غامضاً ، وأن أقدم صورة متكاملة لدوره السياسي وأثره في عصره ، ولكي أتمكن من ذلك رجعت إلى جميع ما أمكنني من المصادر فواجهت عناءً كبيراً في الوصول إلى بعض المعلومات وإيجاد التسلسل والترابط بين الأحداث .

ولاشك أن الباحثة واجهت عقبات في طريق بحثها إلا أن الإصرار والعزم على مواصلة البحث بعد توفيق الله والتوكل عليه ذلّل الصعوبات التي كان من أبرزها :

* اضطراب المعلومات في بعض المصادر وتداخلها .

* صعوبة استخلاص الدور السياسي للعز بن عبدالسلام من بطون المصادر .

* قلة المصادر التي تغطي جوانب بحثي بالتفصيل .

* صعوبة الحصول على المادة العلمية الكافية لكتابة موضوع متكامل ؛ لأن أكثر الدراسات التي تناولت حياة العز بن عبدالسلام لم تتطرق لدوره السياسي الذي قام به بالتفصيل إنما اهتمت بالجوانب الدينية والاجتماعية والعلمية من حياته ، مما جعل الأمر يتطلب مضاعفة الجهد في البحث عن مادة علمية كافية تغطي جوانب البحث كافة .

* البعد عن المكتبات الزاخرة بالمصادر مثل مكتبة الملك فهد الوطنية ومكتبة الملك عبدالعزيز .

كل هذه وتلك زادتني إصراراً على التمسك بالدراسة والمضي فيها ، فقد تناولت جوانب بحثي قدر الإمكان ، وبقدر ما تمدني به المصادر والمراجع التي تمكنت من الوصول إليها ، وكم كنت أود أن أعتمد على نفسي كثيراً ؛ لتذليل هذه المصاعب التي أرهقتني ، إلا أنني استعنت بنصائح المشرف التي خففت عليّ الكثير من الجهد والمشقة وهونت عليّ المصاعب .

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث :

في سبيل جمع المادة العلمية لأطروحتي حرصت على زيارة الكثير من المكتبات الخاصة ، والعامة والاطلاع على المصادر التي تنوعت واختلفت وذلك لتنوع المادة العلمية واهتمامات الكتّاب بجوانب معينة من شخصية العز التي يتطلبت البحث عنها الاعتماد على عدة مصادر من التراث العربي الإسلامي في التاريخ ، والفقه ، والجغرافيا والأنساب والتراجم والطبقات والمعاجم اللغوية الذي عاصر بعض مؤلفيها الأحداث وعاش بعضهم الآخر في فترة لاحقة ليست بعيدة عن زمن وقوعها .

هـذا إلى جانـب العديـد مـن المراجـع الحديثـة الـتي احتـوت علـى معلومـات اسـتطاعت الباحثـة خلالهـا الوصـول إلى حقـائق مهمـة خـدمت الدراسـة بشـكل واضـح وذلـك مـن أجـل تحليـل المـادة التاريخيـة لخدمـة موضـوع البحـث وللوصـول إلى الحقـائق واسـتخلاص أفضل النتائج .

ومن أبرز ما رجعت إليه من مصادر ومراجع :

١- مـرآة الزمـان فـي تـاريخ الأعيـان : لأبي المظفـر يوسـف سـبط ابـن الجـوزي (ت : ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) فهـو مصـدر مهـم ؛ لأن مؤلفـه ممـن عاصـر فـترة البحـث وقـد حـوى هـذا المصـدر في جزئـه الثـامن بعـض أخبـار العـز بـن عبدالسـلام محـدداً التـاريخ والمكـان ، كمـا ذكـر بعـض المعلومـات عـن تـولّي العـز بـن عبدالسـلام مناصـب التـدريس والخطابة والقضاء .

٢- تـراجم رجـال القـرنين السـادس والسـابع المعـروف بالـذيل علـى الروضـتين : لشـهاب الـدين عبـد الـرحمن بـن إسماعيـل المقدسـي المعـروف بـأبي شـامة (ت : ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) فقـد تحـدث أبـو شـامة فيـه عـن الفـترة مـن ٥٩٠هـ حـتى وفاتـه سـنة ٦٦٥هـ ، وأكثـر فيـه مـن الـتراجم للعلمـاء والفقهـاء الـذين عاشـوا في بـلاد الشـام خـلال تلـك الحقبـة ، فكـان هـذا المصـدر مـن المصـادر المفيـدة في معرفـة عمـر العـز وبيئتـه في دمشـق ؛ لأنـه تحـدث عـن المناصـب الـتي تولاهـا في دمشـق ضـابطاً التـواريخ حسـب الترتيب الزمني .

٣- تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشـاهير والأعـلام : لشـمس الـدين أبـو عبـدالله محمـد بـن أحمـد الـذهبي (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) يعـد هـذا المصـدر أحـد الموسـوعات التاريخيـة الكـبرى ، فقـد سـار المؤلـف علـى ترتيـب السـنوات وجمـع بـين الحـوادث والوفيـات وتحتـوي تراجمـه علـى معلومـات دقيقـة بالإضـافة إلى كتابـه الآخـر (سـير أعـلام النـبلاء)

الذي ترجم فيه لأعيان الناس من علماء وحكام وأمراء فقد ورد فيه مادة تاريخية وفيرة تشمل معلومات واسعة تخدم هذه الدراسة .

كما تعد مؤلفات الذهبي الأخرى مثل "العبر في خبر من غبر" و" تذكرة الحفاظ " ، وغيرهما من الروافد المهمة التي أعانتني على إتمام هذه الدراسة وأضفت عليها معلومات مهمة وقيمة .

٤- فوات الوفيات والذيل عليها : لمحمد بن شاكر الكتبي (ت : ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) يعد هذا المصدر من المصادر التي ورد فيها ترجمة للعز بن عبدالسلام حيث ذكر شيوخ العز وبعض صفاته ومؤلفاته وما وقع للعز فيما بينه وبين الصالح إسماعيل ، وموقفه من الوزير معين الدين وأورد فيه خبر توليه القضاء في مصر كما تناول هذا المصدر موقف الظاهر بيبرس عند سماعه بخبر وفاة العز بن عبدالسلام .

٥- طبقات الشافعية الكبرى :لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت : ٧٧١هـ/١٣٦٩م) يعد هذا الكتاب المصدر الأساس في دراسة شخصية العز بن عبدالسلام ؛ لأنه ذكر ترجمة الشيخ بتفصيل لم يرد عند أحد غيره ، وجمع كل ما يتصل به من وقائع وأحداث وانفرد بمعلومات قيمة عن حياة العز بن عبدالسلام ، فقد تحدث عن مولد الشيخ ونشأته وتعلمه وبعض من تفقه العز بن عبدالسلام عليهم من العلماء ومن روى عنه من تلاميذه وذكر مواقف سياسية عديدة للعز كقصة إنكار الشيخ على السلطان الصالح إسماعيل وخروج العز إلى مصر وواقعة بيع العز للمماليك ، وما حدث بينه وبين قطز ثم موقفه من الظاهر بيبرس كما استفدنا من هذا المصدر في معرفة إنتاج العز بن عبدالسلام العلمي ، واتجاهاته الفكرية .

وقد اعتمد اغلب الذين كتبوا عنه بعد السبكي مثل ابن عماد الحنبلي وطاش كبرى زاده وغيرهم على كتابه ليكون مصدراً تعتمد عليه الدراسات في رسم صورة

واضحة لحياة العز وعلى الرغم من أن الكتاب تميز بإيراد الوقائع والأحداث كما هي إلا أنه لم يذكر تواريخ الأحداث المهمة دائماً كفتنة الحنابلة وهجرته من دمشق وبيعه للمماليك ، لذلك اضطررنا للجوء إلى مصادر تاريخية أخرى لترتيب مراحل حياة العز بن عبدالسلام كأبي شامة .

٦- طبقات الشافعية : لجمال الدين عبدالرحيم الأسنوي (ت : ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) تناول هذا المصدر مولد العز ونسبه وصفاته ومناصبه وموقفه من نجم الدين أيوب ، وموقفه من الظاهر بيبرس كما تحدث عن وفاة العز بن عبدالسلام سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م .

٧- السلوك لمعرفة دول الملوك : لتقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي (ت : ٨٤٥هـ/١٤٤١م) أفاد هذا المصدر بذكر المناصب التي تولاها العز في مصر والشام وساهم بالكشف عن بعض الأحداث المهمة في حياة الشيخ حيث تميز المقريزي بإسهابه بتفصيل حادثة إسقاط عدالة الوزير معين الدين ، لكن يؤخذ عليه خطؤه عندما ذكر تاريخ وفاة العز بن عبدالسلام ، إذ قال في الجزء الأول ص٥٤٥ : " وتوفي شيخ الإسلام عز الدّين أبو محمّد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن المهذّب السلمي الشافعي عن اثنتين وستين سنة " قد يكون هذا الخطأ مطبعياً ؛ لأن العز توفي عن عمر يناهز ٨٢ أو ٨٣ حسب اختلاف الروايات .

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لجمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي (ت : ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) تميز هذا المصدر بكونه ذكر تحت سنة ٦٦٠هـ ترجمه للعز بن عبدالسلام ، حوت نسبه ومولده وتفقهه واشتغاله بالتدريس والإفتاء والقضاء ، كما ضبط هذا المصدر تواريخ الأعمال التي تولاها العز في مصر ، وسرد لنا بدقة موقف العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز عندما أراد مواجهة التتار.

٩- معجـم البلـدان : لشـهاب الـدين أبي عبـدالله يـاقوت بـن عبـدالله الحمـوي الرومـي (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وهـو معجـم جغـرافي للعـالم الإسـلامي ، يمتـاز باتسـاع مادتـه وغزارتهـا ، وهـو يجمـع بـين المـادة التاريخيـة والجغرافيـة ، وقـد أفادنـا هـذا المصـدر بتقديم تعريف عن أغلب المدن التي مرت في ثنايا الدراسة .

التمهيـد

الحياة السياسية في عصر العز بن عبدالسلام (٥٧٧ – ٦٦٠هـ) :

كان العصر الذي عاش فيه العز بن عبدالسلام من أشد العصور التي مرت على الأمه الإسلامية فقد عاش في زمن التناقضات : حيث الصلاح والفساد والتمزق ، والتكالب على السلطة ، مع بطولات نادرة ، وقيادات حكيمة[١] ، فعاصر الدولة الأيوبية (٥٦٧ – ٦٤٨هـ/١١٧١ – ١٢٥٠م) وأوائل دولة المماليك[٢] (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) في مصر والشام .

ففي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري اتجه الصليبيون إلى بلاد الإسلام وهاجموا المشرق العربي واكتسحوا بلاد الشام واحتلوا بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٣] ، وأخذوا يتوسعون في ممالكهم ، مهددين البلدان الإسلامية المجاورة لهم ، حتى تمكنوا من تغيير الخريطة السياسية لبلاد الشام بعد أن قضوا على كثير من الإمارات الإسلامية فيها لتحل محلها إمارات صليبية جديدة .

---

(١) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية المصلح القاضي الفقيه الأصولي المفسر ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٢هـ ، ص ١٨ .

(٢) المماليك : هم الترك الذين يؤسرون في الحرب ، اشتراهم نجم الدين أيوب ، من مال الدولة ، استجلبهم من أواسط آسيا وغربها ، ودربهم على الفروسية والقتال ، وبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها ، وسماهم بالمماليك البحرية ، وكان عددهم ألف مملوك ، استعملهم في خدمته وجيشه ، لما اتصفوا بالشجاعة والإقدام في الحرب . أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٩٠٧م ، (٣ /١٨٨) ؛ محمود شاكر : التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٢١هـ ، ص٢١ – ٢٢ ؛ صفوان بن طه حسن : تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار الفكر ، الأردن ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، (٧ /١١٩).

(٣) ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، (١٧ /٤٧) ؛ ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، (٤ /٤٢٤) .

وفي خضم هذه الأحداث قيض الله لأمة الإسلام القائد الفذ عماد الدين زنكي[1] أمير الموصل الذي تصدى للصليبيين واتجه إلى حلب واستعادة أمارة الرها وهو أعظم عمل قام به لكن المنية عاجلته قبل تحقيق أهدافه سنة ٥٤١هـ ، فخلفه ابنه نور الدين محمود[2] (٥٤١ – ٥٦٩هـ/ ١١٤٥ – ١١٧٣م) الذي اتسم عهده بالجهاد ضد أعداء الإسلام ، فسعى لتوحيد البلاد الإسلامية ، وكان قد بعث جيشاً إلى مصر عندما استنجد به الخليفة العبيدي (الفاطمي) العاضد[3] سنة

---

(١) عماد الدين زنكي : هو أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبدالله التركي ، ولد سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ،كان والده من السياسيين البارزين في الدولة السلجوقية ، تولى والده إمارة حلب وسار في الناس سيرة حسنة ، نشأ عماد الدين في حلب وعندما توفي والده وهو في العاشرة من عمره انتقل إلى الموصل ترعرع هناك في كنف رفاق والده وشاركهم الجهاد ضد الصليبيين في عدد من المعارك مما صقل شخصيته وأشرب حب الجهاد منذُ نعومة أظافره ، وعندما لاحظ السلطان السلجوقي محمود سلجوق ما امتاز به عماد الدين زنكي من الشجاعة والإقدام في الحروب ، أوكل إليه سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م إمارة كلّ من الموصل وحلب ، ومن هنا بدأ رحلة النضال ضد الصليبيين ، قتله بعض مماليكه وهو يحاصر قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م . ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٠م ، (٢ /٣٢٧ – ٣٢٨) ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد عثمان (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، (٢٠ /١٨٩ – ١٩١) ؛ عماد الدين خليل : عماد الدين زنكي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٣١ – ٣٧ .

(٢) نور الدين محمود : هو أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن الأمير آقسنقر التركي ، ولد سنة ٥١١هـ/١١١٧م ، تملك حلباً وحاصر دمشق وتملكها أيضاً ، وحمل أعباء الجهاد بعد وفاة والده عماد الدين زنكي ، فلاقي منه الصليبيون الأمرين ، اتصف بالعدل والشجاعة وأبطل عدداً من الضرائب ، وكان أول من بني دار العدل وخصص يوماً للجلوس بها مع القضاة للنظر في أحوال الرعية ، كما عرف عنه حبه للعلم والعلماء وتقريبه لهم ، وكثرة الصلاة والصيام كما روى الحديث وأسمعه بالإجازة ، توفي في شوال سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٠ /٥٣١ – ٥٣٣) .

(٣) العاضد : أبو محمد بن عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله عبدالمجيد بن محمد بن المستنصر العبيدي ، ولد سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م ، كان شديد التشيع بويع بالخلافة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م وعمره آنذاك تسع سنين ، وتوفي في العاشر من شهر محرم سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ =

٥٦٤هـ/١١٦٨م ضد الصليبيين الذين قصدوها بجيش كبير وحاصروا القاهرة ، فأرسل لهم جيشاً بقيادة أشجع قواده وهما أسد الدين شيركوه[1] ، وابن أخيه صلاح الدين [2] ، فلما علم الصليبيون بوصولهم تراجعوا ؛ فقد سارت الأمور على غير ما يطمحون إليه حيث ولى الخليفة الفاطمي القائد أسد الدين شيركوه وزيراً له ولم يلبث إلاّ أن توفي فخلفه على وزارة مصر (الناصر) صلاح الدين ، وقد استقرت للأخير الأمور وأحسن في ولايته ، يقول ابن شداد[3] في شأنه : " واستقرت القواعد واستتبت الأحوال على أحسن نظام ، وبذل المال وملك الرجال ... وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد " ، فلما مات الخليفة العاضد

= (٩ /٣٦٥) ؛ أبو شامة ، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت : ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقق : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م (٢ /١٨٩) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٥ /٢٠٧ – ٢١١) .

(١) هو أسد الدين شيركوه بن شاذى بن مروان ، لقب بالملك المنصور ، ولد فى قرية دُوين – بلدة من إقليم أذربيجان – أصله من قبيلة الروادية ، إحدى قبائل الأكراد ، نشأ بقلعة تكريت ، توفي في جمادى الآخرة ٥٦٤هـ/ مارس ١١٦٩م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ (٩ /٣٤٢) .

(٢) صلاح الدين : هو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان ، ولد سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م ، بقلعة تكريت ،كان والده والياً بها ، كان إماماً عادلاً تقياً ورعاً رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث ، يحب العلماء ويكرمهم ويجلهم ، قهر الصليبيين ، توفي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م . الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد حامد (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : الفتح القسي في الفتح المقدسي ، تحقيق : محمد محمود صبح ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م ، ص ٣٢٧ ؛ ابن شداد ، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت : ٦٣٢هـ/١٢٣٨م) : سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ص ١٣ ، ٣٦٢– ٣٦٣ .

(٣) النوادر السلطانية ، ص ٨١ .

سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، أنهى صلاح الدين حكم الفاطميين بعد أن حكمت مصر أكثر من قرنين من الزمان[١] .

واستقل بحكم مصر نيابة عن نور الدين فأخذ في إصلاح البلاد ورفع الظلم عن العباد ، وحكم بالعدل حتى أحبه شعبه ودعوا له[٢] ، وبعد موت نور الدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م انفرد صلاح الدين بحكم مصر والشام[٣] وواصل فتوحاته وانتصر على الصليبيين في معارك كثيرة من أشهرها معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م[٤] التي تُعد نقطة تحول في الصراع مع الصليبيين إذ إنها فتحت الباب للجيش الإسلامي للسيطرة على بيت المقدس وفتح المدن الساحلية مثل جبلة[٥] وعكا[٦] ، وكان من أعظم الإنجازات التي سجلها له التاريخ هو استرداد بيت المقدس سنة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (٩ /٣٦٥ – ٣٦٦) ؛ أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين (٢ /١٨٩ – ١٩١) .

(٢) ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت : ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٣٢م ، (٦ /٧ – ٨) ؛ السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ/١٥٠٥م) : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧ م ، (٢ /٢٠) .

(٣) ابن إياس ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت : ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد بن مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، (١ /٢٤٠ – ٢٤١) .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /٢٤ – ٢٦) ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص١٢٦ – ١٢٩.

(٥) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام قرب اللاذقية . ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، (٢ /١٠٥). وتبعد عن اللاذقية ٢٨كم . أكرم الساطع وفؤاد الساطع : الدليل الأخضر للسياحة والآثار في سورية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ ، ص ١٠٣ .

(٦) عكا : ويقال عكة ولكن عكا أكثر سماعاً ، وهي مدينة على ساحل بحر الشام . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ /١٤٣ – ١٤٤) . وهي أحد موانئ فلسطين الحالية .

٥٨٣هـ/١١٨٧م ، بعد أن ظلت في أيدي الصليبيين إحدى وتسعين سنه[1] ، وبعد هذه الانتصارات العظيمة التي أعزت الإسلام والمسلمين وافته المنية سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م[2] .

غير أنه بعد وفاة صلاح الدين حدث خلاف بين أبناء البيت الأيوبي ودخلوا في صراعات ، فانفرد كل واحد من أبنائه وإخوته بحكم جزء من البلاد التي كان والياً عليها فكان ابنه العزيز[3] على مصر (٥٨٩ – ٥٩٥هـ/١١٩٣ – ١١٩٨م) ، وابنه الأفضل[4] على دمشق (٥٨٩ – ٥٩٢هـ/١١٩٣ – ١١٩٦م) ، وابنه الظاهر غازي[5] على حلب وشمال الشام (٥٨٩ – ٦١٣هـ/١١٩٣ – ١٢١٥م) وأخوه

---

(١) الأصفهاني : الفتح القسي ، ص ٧١ – ٧٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠/٣٣ – ٣٨) ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٤ – ١٣٦ .

(٢) الأصفهاني : الفتح القسي ، ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .

(٣) العزيز : هو أبو الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين ولد سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، تملك مصر بعد وفاة والده ، وكان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم محسناً إلى الناس ، توفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م . المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم (ت : ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، (١ /٣٢٠) ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ /٢٥١) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢١ /٢٩١ – ٢٩٣) .

(٤) الأفضل : هو أبو الحسن علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولد سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م بالقاهرة ، كان ولي عهد أبيه ، وتوفي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م في سميساط . أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تحقيق : محمد الكوثري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص ٩٤ ؛ ابن خلكان :وفيات الأعيان (٣ /٢٥١) .

(٥) الظاهر غازي : هو أبو منصور بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولد سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م بمصر ، كان ملكا مهيباً حازماً متيقظاً كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، عالي الهمة حسن التدبير والسياسة ومحباً للعلماء ، توفي سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٤٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ /٦ – ٧) .

السلطان العادل[1] بالكرك والشوبك والبلاد الشرقية ، وأخوه سيف الإسلام طغتكين[2] في اليمن[3] وحصل الخلاف والخصام بينهم ، واستقل كلٌ منهم عن الآخر ، وانقسمت الدولة الأيوبية إلى دويلات يتآمر بعضهم على بعض ، ويحارب بعضهم الآخر .

فالسلطان الأفضل علي عندما ملك دمشق اتخذ ضياء الدين نصر الله ابن محمد ابن الأثير وزيراً له[4] ، فأشار عليه بإبعاد الأمراء الأكابر الذين كانوا من أعيان الدولة عند أبيه مثل : فخر الدين جهاركس[5] ، والقاضي

(١) السلطان العادل : هو سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب بن شاذي ، ولد سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م ببعلبك ، اكتسب خبرة واسعة في مجال الحروب والسياسة من أخيه صلاح الدين الأيوبي بحكم قربه منه ومساعدته له ، تولي حكم حلب ، وكان سفيراً لأخيه صلاح الدين في المفاوضات مع ريتشارد قلب الأسد إبان محاولة الصليبيين السيطرة على بيت المقدس ، فذاع صيته في الغرب الأوربي ، عرف عنه العدل والحلم والذكاء وحسن التدبير ، وكان يحب العلماء ويقربهم ، توفي سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م إثر استيلاء الصليبيين على برج السلسلة بدمياط حزناً على ذلك . المنذري : التكملة لوفيات النقلة (٢ /٤٣٠) ؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين ، ص ١١١ – ١١٢ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (٢٢ /١٥٥ — ١٢٠) ؛ الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت : ٨٧٦هـ/١٤٧١م) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق : ناظم رشيد ، وزارة الثقافة والفنون ، العراق ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤ — ٢٨ .

(٢) سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بن شاذي ، بعثه أخوه صلاح الدين إلى اليمن سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م فتملكها كلها وادعى أنه أموي ورام الخلافة وحارب الزيدية ، توفي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م . المنذري : التكملة لوفيات النقلة (١/٢٨٩) ؛ ابن خلكان :وفيات الأعيان (٢ /٥٢٣ – ٥٢٤) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢١ /٣٣٣) .

(٣) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت : ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، دار إحياء التراث القديم ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، (٣ / ٣ — ٤) .

(٤) ابن الأثير : الكامل (١٠ /١٢٠ — ١٢١) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١٠) .

(٥) فخر الدين جهاركس : هو أبو المنصور جهاركس بن عبدالله الناصرى الصلاحي الملقب بفخر الدين كان من أمراء الدولة الصلاحية ، كان كريماً نبيل القدر عالي الهمة ، بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه ، توفى سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م بدمشق ودفن في جبل الصالحية. أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٧٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (١ /٣٨١) .

الفاضل[1] وغيرهم فخرج هؤلاء إلى مصر فأكرمهم أخوه العزيز عثمان وأحسن إليهم وجعلهم في دولته[2] ولم تكن تلك المشورة إلا بداية لذهاب ملكه[3] ، فقد شب الخلاف بين الأخوين الأفضل علي والعزيز عثمان وكان الأمراء الذين أخرجهم الأفضل قد نقلوا إلى السلطان العزيز ما آلت إليه ولاية أخيه في بلاد الشام وتحكم الوزير ضياء الدين فيه وحرضوه على انتزاع دمشق وأعمالها فعزم على ذلك[4] ، فسار بجيشه لأخذ دمشق سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م وحاصرها[5] وأسرع الأفضل بطلب النجدة من عمه العادل فخرج إليه بالجيوش ، وأخذ معه السلطان الظاهر غازي صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين صاحب حماة ، وتوجه هؤلاء إلى دمشق ، واتفق الجميع على حفظها واستقر الأمر على الصلح بين الجانبين على أن يضم السلطان العزيز عثمان بيت المقدس وأعمالها ويكون الأفضل على دمشق وأعمالها[6] .

بيد أن ذلك لم يدم طويلاً فقد عاد الصراع بين الأخوين حتى تمكن السلطان العزيز عثمان من السيطرة على دمشق[7] ودخلها بصحبة عمه العادل ، فلما دخل

---

(١) القاضي الفاضل : أبو علي عبد الرحيم علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج اللخمي الشامي البيساني الأصل العسقلاني المولد المصري الدار ، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين ولد سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م وزر للسلطان الناصر صلاح الدين ، وتمكن منه غاية التمكن ، وبرز في صناعة الإنشاء ، توفي سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م بالقاهرة . المنذري : التكملة لوفيات النقلة (١ /٣٥١) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣ /١٥٨ – ١٦٢) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢١ /٣٣٨ – ٣٤٢) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١١)

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١٠) .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١٤ – ١٥) .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /١٢٩) .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /١٢٩ – ١٣٠) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /٣١ ، ٣٥ - ٣٦)

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /٦٢ – ٦٣)

دمشق أحسن إلى الناس وطيب قلوبهم وأظهر العدل وأبطل المكوس ، ومن ثم استخلف عمه العادل عليها وعاد إلى القاهرة ، هذا وقد خرج السلطان الأفضل علي ملتجئًا إلى قلعة صرخد[1] .

الجدير بالذكر في هذا السياق هو أن السلطان العزيز عثمان أقام مملكة قوية بمصر وأجزاء كبيرة من بلاد الشام ، لكن سرعان ما وافته المنية سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) وخلفه ابنه السلطان المنصور محمد ، الذي كان طفلاً لا يتجاوز عمره تسع سنين ، فاجتمع الأمراء ، وكاتبوا السلطان الأفضل علي في شأن حكم السلطان الصغير ، فقدم عليهم وأخذ الملك وأصلح الأمور ، وفي السنة ذاتها حاول الأفضل المسير إلى دمشق لأخذها من عمه العادل غير أنه لم يتمكن من ذلك[2] ، مما دفع عمه للمسير إلى مصر ودخولها والسيطرة على مقاليد الأمور فيها بعد الهزيمة التي مني بها الأفضل فخرج من القاهرة متوجهًا إلى سميساط[3] .

وقد سعى السلطان العادل إلى بسط نفوذه على مصر والشام وذلك في محاولة لإعادة توحيد الجبهة الإسلامية التي فقدت وحدتها بعد وفاة السلطان صلاح الدين

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /١٤٠ – ١٤١) ؛ سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت : ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م ، (٨ /٤٤٣) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين (٤ /٤٣٠ – ٤٣١) . صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٣ /٤٠١) . وهي بلدة سورية تتبع جبل الدروز . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م (٤ /٢٦٥) .

(٢) ابن الأثير : الكامل (١٠ /١٥٧ – ١٦٠) .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /١٦٩ – ١٧٠) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١٠٨ – ١٠٩) . وسميساط : مدينة على شاطئ الفرات ، في طرف بلاد الروم غربي الفرات ، ولها قلعة يسكن شقاً منها الأرمن . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٣ /٢٥٨) . وتقوم اليوم موضعها قرية سميساط الكردية . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي (٣ /٥٠٢) .

ونشوب الخلافات بين أبنائه على الحكم[(١)] ، وحاول السلطان الأفضل علي الوقوف في وجه عمه العادل وانتزاع مصر منه ، فاتفق مع أخيه السلطان الظاهر على أخذ دمشق ، فلما علم العادل بما عزم عليه الأخوان سار بجيشه إلى الشام لمنعهم من دخول دمشق ، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين الأخوين حول من يأخذ دمشق إذا تمت السيطرة عليها[(٢)] .

وفي الوقت الذي ظل فيه الصراع قائماً بين أبناء البيت الأيوبي استغل الصلبييون ذلك واجتمعوا في عكا سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) وشنوا الحملة الصليبية الخامسة وذلك في محاولة لاستعادة القدس[(٣)] ، فقام السلطان العادل بتجهيز الجيوش لصد هذا الزحف الصليبي ، وتوجه بنفسه لمراقبة الأحداث عن قرب[(٤)] ، فغيرت هذه الحملة خط سيرها شطر مصر وشددت الحصار على ثغر دمياط الحصين[(٥)].

وحينما علم السلطان العادل بخبر قرب سقوط دمياط غضب غضباً شديداً ومرض وهو معسكر بجيشه في مرج الصفر ، فحمل إلى دمشق وتوفي أثر ذلك سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م[(٦)] ، وقد وقع السلطان في خطأ جسيم عندما قسم البلاد في حياته بين أولاده فأعطى ابنه المعظم عيسى[(٧)] دمشق وبعض مدن الشام ، وجعل

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١٠٨ – ١١٣) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /١٢٣ – ١٢٦) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /٢٥٤) .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /٣٠٢ – ٣٠٤) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٣ /٢٥٤ – ٢٥٦).

(٥) ابن الأثير الكامل في التاريخ (١٠ /٣٠٤ – ٣٠٥) .

(٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ (١٠ / ٣٠٥) .

(٧) المعظم عيسى : هو شرف الدين عيسى بن العادل بن أبي بكر بن أيوب ، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، درس الفقه على المذهب الحنفي ودرس اللغة العربية والحديث ، عرف عنه الشجاعة والكرم وحب العلم ، توفي سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م . ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /٤٢٥) ؛ المنذري : التكملة لوفيات النقلة (٣ /٢١٢) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٢ /١٢٠ – ١٢٢) .

بعض ديار الجزيرة وميافارقين[1] وخلاط[2] وأعمالها لابنه الأشرف موسى[3] ، وعين ابنه الكامل محمداً[4] على مصر ، وهكذا فعل ببقية البلاد[5] .

وتضامن أبناء السلطان العادل بعد وفاة أبيهم واتفقوا على قتال الصليبيين كما يقول ابن الأثير[6] : " اتفقوا اتفاقاً حسناً ولم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة أن يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم بل كانوا كالنفس الواحدة ... ولعمري إنهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذب عن الإسلام ... "

ولما بسط المعظم عيسى حكمه على دمشق – وكان سابقاً نائبها – استولى على جميع ما كان له من الأموال والجواهر والعتاد والخيول[7] وبقي في حكمها حتى سنة

---

(١) ميّافارقين : أشهر مدينة بديار بكر ، فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد فتوح الشام . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٥ /٢٣٥) .

(٢) خلاط : هي قصبة أرمينية الوسطى ، بلدة عامرة مشهورة ، ذات خيرات واسعة ، وبها بحيرة ليس لها نظير. ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢ /٣٨٠) .

(٣) الأشرف موسى : مظفر الدين أبو الفتح موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولد سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، كان محبوباً إلى رعيته موصوفاً بالشجاعة لم تكسر له راية قط فكان سلطاناً كريماً وواسع الصدر كثير العطاء ، لا يوجد في خزنته شيء من المال مع اتساع مملكته ، توفي بدمشق يوم الخميس الرابع من محرم سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، بعد مرض ألم به . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٧١١ – ٧١٦) ؛ المنذري : التكملة لوفيات النقلة (٣ /٤٦٥) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٦٥ .

(٤) الكامل محمد : ناصر الدين أبو المعالي محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولد سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م ، كان أكبر إخوته ، عهد إليه والده بالحكم بعده ، توفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م . المنذري : التكملة لوفيات النقلة (٣ /٤٨٥) ؛ ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت : ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، (١ /٤٩٤) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٦٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /٣٢٧) .

(٦) الكامل في التاريخ (١٠ /٣٢٨) .

(٧) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٥٩٦ – ٥٩٧) .

٦٢٤هـ/١٢٢٦م[١] وبعد سقوط دمياط قام بتخريب أسوار بيت المقدس وذلك خشية أن يأخذه الصليبيون[٢] كما خرب بعض الحصون المجاورة له مثل بانياس وتبنين للسبب نفسه[٣] .

وفي سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م طلب السلطان الكامل النجدات من الممالك الأيوبية لمساعدته في إخراج الصليبيين من دمياط ، وكان المعظم عيسى من أحرص الناس على خلاص دمياط من أيدي الصليبيين ، فلبى النداء وكان معه جيوش الشام وسار بها إلى مصر لقتال الصليبيين واسترداد دمياط[٤] .

ومما يتعين ذكره أن تلك الوحدة التي تحققت بين سلاطين الأيوبيين والتي استطاعوا من خلالها استعادة دمياط لم تدم طويلاً ، فقد دب الخلاف بينهم[٥] في الوقت الذي كانوا في حاجة ماسة إلى الاتحاد أكثر من ذي قبل ، وبخاصة بعد ظهور خطر الخوارزمية[٦] الذي هدد منطقة الشرق الأدنى

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٢ .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٦٠١) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق: حسنين محمد ربيع ، دارالكتب ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، (٤ /٣٢) .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٦٠١) ؛ ابن أيبك الدواداري : أبو بكر عبدالله أيبك (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ،كنز الدرر وجامع الغرر ، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : سعيد بن عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م ، (٧ /٣٢٠ – ٣٢١) .

(٤) ابن نظيف الحموي ، أبو الفضائل محمد بن علي (ت : ٦٣٧هـ/١٢٣٩م) : التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ، تحقيق : أبو العيد دودو ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٩٨١م ، ص٩٢ – ٩٣ ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٢٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٤ /٩٢ – ٩٣) .

(٥) سعيد بن عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، (٢ /٩٥٤) .

(٦) الخوارزمية : تنتمي إلى محمد بن أنوش تكين ، وكان والده مملوكاً لأحد أمراء البيت السلجوقي ، وقد رباه رباه والده فأحسن تأديبه فارتفعت منزلته في الدولة حتى أسند إليه حكم مدينة خوارزم سنة٤٨٩هـ/١٠٩٥م ، ولقب (خوارزم شاه) وخلفه في أبنائه وأحفاده . ولمعرفة المزيد عن الخوارزمية انظر :

بأجمعها[1] حتى وصل إقليم جورجيا الذي كان بالقرب من ممتلكات الأشرف موسى فاستنجد الأخير بأخيه السلطان المعظم عيسى في دمشق[2] ، لكن المعظم استهان بالأمر ولم يلب نداء أخيه ، بل وصل به الأمر إلى أن دخل في صراع عنيف ضد أخويه ، مما جعل الأشرف يتحد مع أخيه الكامل ضد أخيهم المعظم عيسى[3]، وهذا النزاع الذي قام بين أبناء السلطان العادل شكل خطراً واضحاً على استقرار وحدة العالم الإسلامي[4]، ويتبين ذلك الخطر جلياً وبخاصة إذا عرفنا أن الفريقين المتنازعين استعانا بقوة خارجية ، فقد استنجد السلطان المعظم بالخوارزمية في حين استنجد السلطان الكامل بإمبرطور ألمانيا فردريك الثاني[5] (٦١٧- ٦٤٨هـ/١٢٢٠ –

الأصفهاني : تاريخ = = دولة آل سلجوق ، شركة طبع الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م ، ص ٦٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٤ /٣٢٢ – ٣٢٥) ؛ أسامة زيد : الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ٣٠ ، ١٩٨٢م ، ص٢٦٤ .

(١) ظهر خطر الخوارزمية نتيجة لحركة توسع المغول بعد أن دمر جنكيز خان دولتهم سنة ٦١٧ – ٦١٨هـ/١٢٢٠- ١٢٢١م ، مما أدى إلى فرار السلطان جلال الدين إلى بلاد فارس حيث التف حوله الأتراك الخوارزمية من جديد فاستطاع إحياء دولة الخوارزمية تارة أخرى متخذاً من إصفهان عاصمة له ، وبدل أن يواجه خطر المغول ليحمي العالم الإسلامي من شرهم هاجم الخليفة العباسي الناصر لدين الله في العراق سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ، ثم توجه لمهاجمة إقليم جورجيا . المقريزي ، تقي الدين ، أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت : ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ ، (١ /٣٣٩) ؛ فاروق بن عمر فوزي : الخلافة العباسية السقوط والانهيار ، دار الشروق ، عمان- الأردن ، ١٩٩٨م ، (٢/٢٣٠) .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /٤١٠ – ٤١١) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٤٨ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٤ /١٧٩ – ١٨٥) .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٦٢١ – ٦٢٢) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٣١.

(٤) سعيد بن عبدالفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ١٠٢ .

(٥) إمبرطور ألمانيا فردريك الثاني : كان عالماً متبحراً في علم الهندسة والرياضيات ، وهو الذي وجه المسائل الصقليات إلى ابن سبعين ، وفي بلاطه عاش كثير من العلماء وترجموا كثيراً من الكتب العربية ، وقد كان

١٢٥٠م) ووعده أن يعطيه بيت المقدس وبعض مدن الساحل في سبيل الوقوف معه ضد أخيه[1] ، أما السلطان المعظم عندما علم بما فعله أخوه الكامل أرسل إلى السلطان جلال الدين الخوارزمي ووعده أن يخطب له في دمشق ، وأن يسك العملة باسمه ، وأقدم على قطع الخطبة عن أخيه الكامل وحاصر السلطان جلال الدين خلاط مقر مملكة السلطان الأشرف موسى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م[2] .

لم ينتهِ الأمر عند هذا الحد فقد جاءت رسل الإمبراطور فرديك الثاني إلى السلطان المعظم عيسى بدمشق يطلبون منه تسليم بيت المقدس ، فقابل المعظم عيسى رسول الإمبراطور بقوله : " قل لصاحبك ما أنا مثل العزيز ما له عندي إلا السيف "[3] ، ولم يمضِ وقت طويلٌ حتى توفي السلطان المعظم سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م فخلفه ابنه السلطان الناصر داود[4] ، وتجدد الصراع بينه وبين عمه الكامل ، وسلم الكامل بيت المقدس إلى الإمبراطور فردريك وعقد معه صلح يافا سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، ثم توجه إلى دمشق وحاصرها وضيق عليه ، واتفق الكامل مع أخيه الأشرف على أخذ

الإمبراطور نفسه يتكلم العربية ؛ لأن قاضي صقلية هو الذي رباه . للتفاصيل انظر : زيغريد هونكه : = شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، مراجعة : مارون بن عيسى الخوري ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص٤٢٣ .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب (٤ /٢٠٦) ؛ أبو الفداء : المختصر (٢ /٢٣٥ – ٢٣٦) .

(٢) المقريزي : السلوك (١ /٣٤٥) .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥١ .

(٤) الناصر داود : هو ابن المعظم عيسى بن العادل ، ولد في دمشق سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٧م ، وقد تولاها بعد وفاة والده سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م لكنه سرعان ما تنازل عنها لعمه الأشرف موسى وعوضه عنها بالكرك والأغوار ونابلس وأقام فيها إمارات عرفت بإمارة الكرك الأيوبية ، توفي بدمشق سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، ودفن بتربة والده في سفح جبل قاسيون . ابن الأثير : الكامل في التاريخ (١٠ /٤٣٥) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٠ ؛ ابن العميد ، المكين جرجس ابن العميد (ت : ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) : أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٥ ؛ يوسف بن حسن غوانمة : إمارة الكرك الأيوبية : بحث في العلاقات بين صلاح الدين وأرناط ودور الكرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٢م ، ص ٢٣١ – ٢٣٣.

أمـلاك ابـن أخيهمـا السـلطان الناصـر داود وتقاسمهـا[1] ، وبعـد طـول الحصـار تنـازل الناصـر داود عـن حكمهـا سـنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م ، وعـوض بـدل عنهـا بإمـارة الكـرك[2]، وقـد تمكـن الناصـر داود وهـو عليهـا أن يسـتنقذ بيـت المقـدس مـن الصـليبيين سـنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م[3] ، ثم عمـل علـى إعـادة المدينـة بالطـابع الإسـلامي بعـد إخـراجهم ، وفي معـرض ذلـك ذكـر اللقيمـي[4] أن الناصـر داود اهـتم بإعـادة الشـعائر إلى مـا كانـت عليـه أيـام عمـه صـلاح الـدين[5] ، فحمـد لـه المسـلمون هـذا العمـل العظـيم ، واعتـبروه خليفـة عمـه صـلاح الـدين في فـتح بيـت المقـدس[6] ويشـير يوسـف حسـن غوانمـة[7] معلقـاً معلقـاً علـى هـذا التطـور بقولـه : " وفي خضـم هـذا الانحـلال والتفكـك الأيـوبي ، تلـوح بـادرة خـير وأمـل لهـذه الأمـة " وأوافقـه الـرأي علـى أن هـذا بـادرة خـير وأمـل ؛ ولكـن هـذه

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : (١٠ /٤٣٥ – ٤٣٦) ؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٥٤ – ١٥٦ .

(٢) ابـن الأثـير : الكامـل في التـاريخ (١٠ /٤٣٦) ؛ ابـن واصـل : مفـرج الكـروب (٤ /٢٥٦ – ٢٥٧) . والكـرك : قلعـة حصـينة جدّا في طـرف الشـام مـن نـواحي البلقـاء بـين جبـال أيلـه والبحـر الميـت وبيـت المقـدس وهـي علـى مرتفـع تحـيط بهـا الأوديـة العاليـة . يـاقوت الحمـوي : معجـم البلـدان (٤ /٤٥٣) . تبعـد عـن عمـان ١٣٠كـم جنوبـاً . منـيرة الـذيب : معجـم أسمـاء المـدن والقـرى في بـلاد الشـام الجنوبيـة ((سـوريا – الأردن)) دراسـات لغويـة تاريخيـة إحصـائية جغرافيـة ، دار العـرب للدراسـات ودار نـور للدراسـات ، دمشـق ٢٠١١م ، ص ٢٦٦ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٦٥٧) .

(٤) مصـطفى أسـعد (ت : ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) : لطـايف أنـس الجليـل في تحـائف القـدس والخليـل ، تحقيـق : خالـد عبـد الكـريم الهمشـري ، رسـالة ماجسـتير ، جامعـة النجـاح الوطنيـة ، نـابلس – فلسـطين ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ١٢٤ .

(٥) لم يـذكر اللقيمـي بالتفصيل تلـك الأعمـال الـتي قـام بهـا الناصـر داود في بيت المقـدس ، وبـذلك خرجـت مـن أيـدي الصـليبيين بعـد أن ظلـت في أيـديهم منـذ أن سـلمها السـلطان الكامـل لهـم سـنة (٦٢٦ – ٦٣٧هـ/ ١٢٢٩ – ١٢٣٩م) . ثريـا بنـت محمـد الغـانمي : بيـت المقـدس في العصـر الأيـوبي (٥٨٣ – ٦٤٨هـ/ ١١٨٧ – ١٢٥٠م) رسالة دكتوراه ، كلية التربية بجدة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ١٤٦ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٢٤٧) .

(٧) معاهـدات الصـلح والسـلام بـين المسـلمين والفـرنج خطـاب جديـد في العجـز الإسـلامي والعـربي والمشـروع النهضوي العربي الوحدوي ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٩٥م ، ص٧٢.

البادرة لم يتح لها الاستمرار ؛ لأننا سنرى بيت المقدس تعود مجدداً بسبب الصراعات الأيوبية عندما يسارع بعض الحكام بعروض التنازل عنها وعن غيرها من المدن والقلاع للصليبيين مقابل الحصول على تحالف معهم ضد إخوانهم وأبناء عمومتهم الأيوبيين وسيتضح لنا ذلك فيما بعد .

ومهما يكن من أمر فإن الأحوال بين أبناء البيت الأيوبي لم تكن على ما يرام على الرغم من جميع المخاطر التي كانت تهدد المسلمين في ذلك الوقت وقد حدث أن توفي الأشرف موسى سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م وخلفه في الحكم أخوه الصالح إسماعيل[(١)] صاحب بصرى[(٢)] ، ثم توفي السلطان الكامل في السنة نفسها بعد أن حكم مصر حكماً راسخاً دام قرابة عشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً[(٣)]، وقد أجمع المؤرخون على الثناء عليه فوصفه أبو الفداء[(٤)] بإنه كان : " ملكاً جليلاً مهيباً حازماً حسن التدبير " ، وقد جاءت وفاته لتكون نذيراً بانهيار الدولة الأيوبية ، وعادت بعدها

---

(١) الصالح إسماعيل : عماد الدين أبو الجيش إسماعيل بن السلطان العادل محمد بن أيوب بن شاذي ، ولد سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م ، سادس ملوك الأيوبيين في دمشق وبصرى ، وخامسهم في بعلبك ، كان سيء السيرة توفي بمصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م . ابن واصل : مفرج الكروب (٢٧٥/٣) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٢ /١٣٤) ؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق وتقديم : فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ ، (١ /١٢٨) ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ، ص٢٧٩- ٢٨٠.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /١٤٧) . بصرى : في الشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . ياقوت الحموي : معجم البلدان (١ /٤٤١) . تمتد من دمشق شمالاً حتى البتراء وبيسان جنوباً . منيرة الذيب : معجم أسماء المدن ، ص ٥٩.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (١٥٥/٥) ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت : ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ ، (٢٢٧/٢٩) ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٣٠٣/٦) .

(٤) المختصر (١٦١/٣) .

الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الأيوبية للتوسع ، واستمرت هذه الصراعات حتى زوال الدولة .

يذكر سبط ابن الجوزي[1] وهو مؤرخ معاصر لتلك الأحداث أنه بعد وفاة السلطان الكامل اختلف الأمراء فيمن يولون ، فاجتمع بدار المسرة في دمشق كبار رجال الدولة الأيوبية - الأمراء وقادة العسكر - وعلى رأسهم سيف الدين علي بن قليج ، وعز الدين أيبك ، وعماد الدين - بصفته وزيراً للكامل - وفخر الدين ابن شيخ الشيوخ ، واتفقوا على مبايعة السلطان العادل الثاني ابن الكامل[2] سلطاناً على مصر والشام بعد وفاة أبيه سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧ م) ، على الرغم من وجود أخيه نجم الدين أيوب[3] الأكبر سناً ، وتمت هذه المبايعة لكونه ينوب عن والده في حكم مصر ، وعمل هؤلاء الرجال على اختيار ابن عمه السلطان الجواد مظفر الدين[4] نائباً عن

(١) مرآة الزمان (٨ /٧٠٧) .

(٢) السلطان العادل : أبو بكر بن السلطان الكامل محمد بن السلطان العادل أبي بكر بن الأمير نجم الدين أيّوب الأيوبي المصريّ ، ولد بالمنصورة في شهر ذي الحجة سنة ٦١٧هـ/١٢٢١م ، تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه وظل حاكماً عليها حتى سيطر عليها السلطان نجم الدين واعتقله في شهر ذي القعدة سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م ، وتوفي في الاعتقال سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م . ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٣٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٥/٨٤)؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦/٣٠٣) .

(٣) نجم الدين : الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، لقب بأبي الفتوح ، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م ، وتوفي بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٦/٢٥٩) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٨٠ – ٨١) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣/١٨٨) .

(٤) الجواد مظفّر الدين : يونس بن ممدود بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب ، توفي سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م ودفن بقاسيون بتربة المعظم . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /١٨٤) ؛ الكتبي: فوات الوفيات (٤ /٣٩٦) .

سلطان مصر في دمشق ، وكان حينذاك نجم الدين أيوب نائب أبيه على الشرق وإقليم ديار بكر[1] .

ولما بلغ نجم الدين أيوب خبر اختيار أخيه الأصغر – الذي لم يتجاوز عمره آنذاك العشرين سنة – سلطاناً على مصر والشام ، عظم عليه كونه الأخ الأكبر ، فخطط للسير بقواته نحو دمشق ، وفي ذلك الوقت أراد العادل عزل الجواد عن نيابة دمشق مقابل منحه إقطاعاً في مصر[2] إلا أنه امتنع عن ذلك ، فهدده بالزحف نحوها ، ولما علم الجواد على تصميم العادل على انتزاع دمشق وأنها لن تبقى له فضلاً عن أنه لا طاقة له بمقاومته – وإن سلم دمشق إليه – لم يعطه إلا حيزاً قليلاً بالديار المصرية[3]، وحتى لا تفوته الفرصه أرسل إلى نجم الدين أيوب الشيخ كمال الدين بن طلحة وعرض عليه أن يسلمه دمشق مقابل تعويضه بعض البلاد مثل سنجار[4] وعانة[5] ، فقبل نجم الدين هذا العرض وحالف على الوفاء له ، وبعد الاتفاق بينهم توجه نجم الدين أيوب إلى دمشق ليتسلمها من الجواد ، ودخلها في جمادى الآخرة سنة

(١) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدودها من غرب دجلة إلى نصيبين ، ومن أعمالها حصن كيفا وآمد وميافارقين .ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤٩٤/٢) . وهي مدينة تقع على الحدود التركية بالأناضول وعلى الضفة الغربية من نهر دجلة في مجراه الأعلى وهي ذات أهمية استراتيجية . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي (٢ / ٤١٣) .

(٢) المقريزي : السلوك (٣٩٠/١) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٠٠/٥) .

(٤) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل مسيرة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢٦٢/٣) . وهي بلدة عراقية تقع مأبين دجلة ورافد الخأبور المتفرع من الفرات وهي اليوم مركز قضاء سنجار في لواء الموصل . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي (٣ / ٥١٣) ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١٢٩ .

(٥) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد من أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٧٢/٤) .

(٦٣٦هـ - ١٢٣٩م)[1] وزينت دمشق وخرج الجواد لاستقباله فدخل القلعة وخطب الجواد باسمه في دمشق ، وضربت السكة باسمه ، ثم ندم على ما فعل وخاف ألا يفي نجم الدين أيوب بوعده فأراد التراجع عن اتفاقه معه ، لكنه لم يستطع لسوء سيرته مع أهل دمشق ، كما أن عجزه عن القيام بأمور القيادة قد ظهر[2] . وفي معرض هذا قال الذهبي[3]: " ثم أكل الجواد يديه ندماً " . وأوفى له نجم الدين بما وعده ، فغادر الجواد دمشق متجهاً إلى الشرق وتسلم سنجار والبلاد التي عينت له[4].

وبعد حصول نجم الدين أيوب على دمشق ، بدأ يتطلع إلى الاستيلاء على مصر ، فكاتب عمه السلطان الصالح إسماعيل - صاحب بعلبك - طالباً مساعدته والمضي معه إلى الديار المصرية ، وانتزاعها من أخيه السلطان العادل فوافقه ، ثم سار نجم الدين بقواته إلى نابلس فاستولى عليها وعلى بلاد الناصر داود الذي ذهب إلى مصر ودخل في خدمة السلطان العادل وطمع في الاستيلاء على مصر والقضاء على العادل الذي أكرمه ، فمكث نجم الدين في نابلس ينتظر مجيء عمه الصالح إسماعيل ليتجها معاً إلى مصر حسب اتفاقهما ، فأرسل إليه رسولاً يطلبه ، واعتذر الصالح إسماعيل وسيّر إليه ابنه المنصور نور الدين نائباً عنه ، وهو في الباطن يسعى طامعاً إلى أخذ دمشق[5] ، و في خضم هذه الأحداث كانت هناك مبادرة صلح بين الأخوين

---

(١) ابن واصل مفرج الكروب (٢٠٣/٥) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٣٠٥/٦) ؛ فايد بن حماد عاشور : الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص٣٤١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٠٠/٥-٢٠٢) ؛ المقريزي : السلوك (٢٧٩/١-٢٨٠) .

(٣) الذهبي : دول الإسلام ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد بن مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، (٢ /١٤١) .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٠٤/٥) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٢١٩ — ٢٢٠) ؛ النويري : نهاية الأرب (٢٥٨/٢٩) .

سعى فيها الخليفة العباسي المستنصر بالله[1] (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) وأرسل من أجل تلك المهمة محي الدين بن الجوزي[2] رسولاً إلى نجم الدين أيوب ، محاولاً إرضاء جميع الأطراف ، فتكون دمشق وبلادها التي كانت مضافة إليها في زمن السلطان الأشرف بن العادل إلى نجم الدين أيوب ، ويرد إلى الناصر داود ما أخذ منه من بلاد ، وتكون الديار المصرية للعادل الثاني ، وتنتهي الصراعات بينهم[3] .

لكن هذه المبادرة لم تتم على الرغم من محاولته للتوصل إلى الحلول وقيامه بدور كبير في إقرار هذه المصالحة ، فقد كان الصالح إسماعيل يكاتب ويراسل السلطان العادل ويقويه ويقول له أنا نائبُ لك على دمشق وساعده على ذلك خروج

---

(١) المستنصر بالله : أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي الهاشمي العباسي البغدادي ولد سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، كان عاقلاً حازماً ذا رأي ودهاء ونهوض بأعباء الملك ، فنشر العدل وبذل الإنصاف في القضايا ، وأكرم أهل العلم والدين وقربهم ، وبنى المساجد والمدارس والمستشفيات ، توفي سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م . ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣١٥ – ٣١٨) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /١٥٥ – ١٦٧) .

(٢) محيي الدين بن الجوزي : هو أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي ، ولد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ، ونشأ شاباً حسناً ، وكان واعظاً مشهوراً ولي حسبة بغداد ورسول الخلافة وتولى تدريس الحنابلة بالمستنصريَّة ببغداد في سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م ، وكانت له مدارس أخرى ، وبنى المدرسة الجوزية بدمشق وأوقف عليها ، توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٧م وعمره ٧٦ سنه . ابن الجوزي : صيد الخاطر، تحقيق : حسن المساحي سويدان ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ص ١٧ ؛ المقريزي : السلوك (١/٥٠٢) ؛ العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت : ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، (١ /١٨٤ – ١٨٥) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٥/٢١٨ – ٢١٩) .

نجـم الـدين أيـوب منهـا ، فـاتفق مـع المجاهـد أسـد الـدين شـيركوه[1] صـاحب حمـص[2] علـى الإسـتيلاء عليهـا ، علـى أن تكـون الـبلاد بينهمـا منـاصفة ، فدخـلاها بالحيلـة في حـين غفلـة مـن نـواب نجـم الـدين أيـوب يـوم الثلاثـاء (٢٧/٢/٦٣٧هـ – ٢٨/٩/١٢٣٩م) فتوجه إليهـا الصـالح إسماعيـل مـن جهـة عقبـة دمّـر[3] ، أمـا شـيركوه مـن ثنيـة العقـاب[4] ، ودخلـوا القلعـة مـن ناحيـة بـاب الفـرج ثم قبضـوا علـى المغيـث عمـر[5] ابـن نجـم الـدين واعتقلـوه بـالبرج ولم تسـتطع حاميـة دمشـق الـدفاع عـن القلعـة فاضـطرت للاستسـلام ، ولمـا وصـل الخبر إلى نجـم الـدين أن دمشـق أصبحت بيـد عمـه وأسـد الـدين شـيركوه وبلغـه مـا فعـل بهـا ، أدى ذلـك إلى اضـطراب جنـوده[6] حيـث قـالوا لـه : لا يمكننـا المقـام معـك هاهنـا ، فـإن أهلنـا وأولادنـا بدمشـق ، فـأذن لنـا بالرحيـل إليهـا [7]

---

(١) المجاهد أسد الدين شيركوه : أبو الحارث المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شادي ولد بمصر سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ، وتوفي بحمص سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٦٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٣٩/٢٣ – ٤٠) .

(٢) حمص : بلد مشهور قديم كبير مسوّر ، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلّ عالٍ كبير ، وهي بين دمشق وحلب في منتصف الطريق . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢ /٣٠٢) . وحمص تبعد اليوم عن مدينة دمشق (١٦٢)كم شمالاً . أكرم الساطع وفؤاد الساطع : الدليل الأخضر ، ص ٧٣ .

(٣) عقبة دمّر : مكان مشرف على غوطة دمشق ، من جهة الشمال في طريق بعلبكّ . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤٦٣/٢) .

(٤) ثنية العقاب : هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق من ناحية حمص . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٨٥/٢) .

(٥) المغيث عمر : هو المغيث فتح الدين عمر بن نجم الدين أيوب توفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م بقلعة دمشق عندما حبسه عم والده السلطان الصالح إسماعيل . ابن واصل مفرج الكروب (٥ /٣٤٦) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، (١٣٣/٤٧) .

(٦) النويري : نهاية الأرب (٢٦٠/٢٩ – ٢٦١) ؛ ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر (٧ /٣٣٦) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٣٠٦/٦) ؛ محمد بن سهيل طقوش : تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ص٣٥٦ .

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٣٣/٥) .

فـأذن لهـم ولم يبـق معـه إلا دون المائـة مـن مماليكـه في نـابلس ، وظـل السـلطان الصـالح إسماعيـل في دمشـق نيابـة عـن السـلطان العـادل الثـاني ، وأوصـى أهلهـا بالـدعاء للسـلطان العادل ، فقال أنا نائبه وغلامه [1] .

أمـا الناصـر داوود فقـد عـاد إلى الكـرك مسـتغلاً تفـرق أصـحاب نجـم الـدين أيـوب عنـه مما جعلـه يسـتدعيه ويرسـل إليـه مـن يأخـذه مـن نـابلس ، فقـبض عليـه في ربيـع الأول سـنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)[2] ، واعتقلــه عنــده ســبعة أشــهر ، وحــين علــم الســلطان العــادل الثـاني مـا جـرى علـى أخيـه نجـم الـدين أيـوب ، أظهـر الفـرح والسـرور ، وعـرض علـى الناصـر داوود أن يسـلمه أخـاه مقابـل مئـة ألـف دينـار ، كمـا طلـب الصـالح إسماعيـل وصـاحب حمـص إرسـاله إلى دمشـق مقابـل أن يعطيـاه ربـع المدينـة ، فـرفض الناصـر داوود تسليمه لأيٍ منهم[3] .

يلاحــظ ممــا ســبق أن رفــض الناصــر داوود للعــروض المغريــة يعــود إلى شــعوره بأهميــة ومكانـة نجـم الـدين في الأسـرة الأيوبيـة كمـا يـرى أن السـلطان العـادل الثـاني لـيس كفـؤاً لتحمل المسؤوليات ، حيث كان صبياً وميالاً إلى اللهو .

وقـد اتفـق مـع نجـم الـدين أيـوب وهـو في السـجن علـى أن يـدخلا مصـر ويحكمهـا نجـم الـدين أيـوب ، وكـان الناصـر داوود قـد أحسـن معاملتـه في فـترة اعتقالـه ، وجعـل أولاده في خدمتــه ، ويحضــرون لــه مــا يشــتهي مــن الطعــام والشــراب والملــبس وكــان لا يفتقـد إلا الملـك ، مقابـل أن يمنحـه حكـم بـلاد الشـام والجزيـرة ، فوافـق نجـم الـدين علـى هـذا واضـطر أن يحلـف لـه ليـتخلص مـن السـجن ، فـأفرج عنـه في أواخـر رمضـان ، ثم اتجها إلى غزة [4] .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٢٩/٥) .

(٢) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص٢٩ .

(٣) النويري : نهاية الأرب (٢٦٤/٢٩-٢٦٥) ؛ ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر (٣٣٨/٧) .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٥٧/٥ – ٢٥٩) ؛ ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر (٣٣٩/٧) .

وصلت هذه الأخبار إلى السلطان العادل الثاني فأرسل إلى الصالح إسماعيل يخبره بقدومهما ، واستعد الطرفان للمواجهة العسكرية ، فخرج العادل الثاني بقواته إلى بلبيس[(١)] في شهر ذي القعدة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، بينما خرج الصالح إسماعيل بقواته من دمشق إلى الفوار ، لمواجهة نجم الدين أيوب والناصر داوود ، اللذين خافا من التقاء عساكر مصر والشام عليهما ، واضطرا للرجوع من غزة إلى نابلس[(٢)] .

بعد ذلك ذهبا إلى الكرك ليتحصنا بها ، وكان الوضع في مصر يزداد تدهوراً بسبب غلظة السلطان العادل الثاني وسوء تدبيره ، وإسرافه في اللهو ، حتى حصل انقلاب ضده ، فانتهز أمراؤه من المماليك الأشرفية هذه الفرصة للتخلص منه ، فأحاطوا بمعسكره وقبضوا عليه ليلة الجمعة (٨/١١/٦٣٧هـ) وكانت مدة حكمه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوما[(٣)]، ثم استدعوا نجم الدين أيوب الذي اشتهر بحسن تدبيره ، ليصبح سلطاناً على مصر ، فسار إليها بصحبة الناصر داوود ، وجلس على كرسي الحكم في أواخر شهر ذي القعدة (٦٣٧هـ/١٢٤٠م)[(٤)] وأُعتُبر آخر عظماء سلاطين بني أيوب[(٥)] ، ثم دخل القاهرة واستولى على القلعة واعتقل أخاه العادل فيها ونزل الناصر داود بدار الوزارة في القاهرة[(٦)] .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٥٩/٥)

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٦٠/٥) ، فايد بن حماد عاشور : الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في العصر الأيوبي ، ص٣٤٤ .

(٣) النويري : نهاية الأرب (٢٥٦/٢٩) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٢٦٣/٥ – ٢٦٦) .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب (١٦٦/٥) ؛ أبو الفداء : المختصر (١٦٦/٣) ؛ ذكر ابن خلكان أن الصالح نجم الدين دخل مصر في (٢٧/ ذي القعدة /٦٣٧هـ – ١٩ / يونيو /١٢٤٠م) ، وفيات الأعيان (٨٥/٥) .

(٥) محمد العروسي المطوي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١١٧ .

(٦) المقريزي : السلوك (٤٠٣/١) .

ووفقاً لتغير الظروف السياسية لم يفِ نجم الدين أيوب بوعده للناصر داوود الذي قطعه له أثناء فترة اعتقاله ، وأما عن حلفه فقد حلف مكرهاً ؛ لأنه كان في قبضته ، وقال : " حلفني على شيء ما تقدر عليه ملوك الأرض ، أن آخذ له دمشق ، وحمص ، وحماة وحلب ، والجزيرة والموصل وديار بكر ، وغيرها ، وأن يكون له نصف الديار المصرية ، ونصف ما فى الخزائن من الأموال والجواهر والخيول والثياب وغيرها فحلفت من تحت القهر والسيف "[1] ، وقد استوحش الناصر فطلب الإذن بالرحيل إلى الكرك فخرج من القاهرة[2] .

بعد أن استقر نجم الدين أيوب سلطاناً على مصر طهّر الجيش من العناصر المتمردة ، وأمر بالقبض على الذين اعتقلوا أخاه العادل واستصفى أموالهم وحبس بعضهم وقتل عدَّة مِنهم ، لأنه لم يعد يأمنهم[3]، وبدّلهم بالمماليك الأتراك الذين عنُي بالإكثار من شرائهم ، حتى صار معظم جيشه منهم ، وذلك لما اتصفوا به من الشجاعة ، والإقدام في الحرب[4] ، ثم شرع في بناء قلعة الجزيرة – المعروفة بالروضة – – سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) فشيد أسوارها وبنى فيها أبنية بديعة لم يبن ملك من ملوك الإسلام مثله ، فبنى الدور والقصور وعمل لها ستين برجاً وبنى بها جامعاً وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأزواد والأقوات خشية من محاصرة الصليبيين ؛ لإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر فبالغ في إتقانها وأنفق عليها أموالاً جمة واتخذها مسكناً لنفسه وأهله ومماليكه بعد الانتهاء من بنائها ، وكانت الجزيرة قبل ذلك منتزهاً للسلطان الكامل[5] .

---

(١) النويري : نهاية الأرب (٢٦٦/٢٩) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، (٣٤/٤٦) .

(٢) المقريزي : السلوك (٤٠٣/١) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٧٥/٥ – ٢٧٦) ؛ المقريزي : السلوك (٤٠٥/١) .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب (٣٣٩/٢)

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب (٢٧٨/٥) ؛ أبو الفداء : المختصر (١٦٧/٣) ؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ ، (٣ /٣٢١) .

وبعد أن أصبح نجم الدين أيوب حاكماً على مصر كثرت الخلافات بين الأسرة الأيوبية حيث التحول المفاجئ الذي ضايق السلطان الصالح إسماعيل فخاف أن يتحرك نجم الدين أيوب ضده نظراً لسوء علاقتهم ، واتفق مع السلطان المنصور إبراهيم[١] على محاربة سلطان مصر والناصر داود في الأردن وخاصة بعد أن اتفق الآخيران أن تكون مصر لسلطان نجم الدين أيوب والشام والشرق للسلطان الناصر داوود[٢] وبناء على هذا الاتفاق خرج الصالح إسماعيل بدون أملاك في مصر والشام مما دفعه إلى الاستعانة بالصليبيين ضد نجم الدين أيوب للحد من نفوذه[٣] ، غير أن نجم الدين أيوب استطاع أن يتغلب على ذلك التحالف وانتصر عليهم في سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م[٤].

لكن سرعان ما دب النزاع تارة أخرى بين نجم الدين أيوب في مصر وعمه الصالح إسماعيل في دمشق وساند الأخير الناصر داوود في الأردن فقد استعان الصالح إسماعيل بالصليبيين مرة أخرى ضد نجم الدين[٥] في حين استعان نجم الدين هذه المرة بالخوارزميين الذين سرعان ما استجابوا لنجدة نجم الدين أيوب واقتحموا بيت المقدس سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ، واستولوا على المدينة بسهولة[٦] ، ولم يقف الأمر عند عند هذا الحد فقد انتهى باستيلاء السلطان نجم الدين أيوب على دمشق السنة

---

(١) المنصور إبراهيم : ناصر الدين إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه ، كان فارساً وشجاعاً وافر الهيبة ، توفي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧٨ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٢١/٢٣)

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٢٥٩) .

(٣) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٣١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٠١ – ٣٠٢) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦ /٣٢٢ – ٣٢٣) .

(٤) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر (٧ /٣٤٤) ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦ /٣٢٢ – ٣٢٣) .

(٥) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٣٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٣٢) .

(٦) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٣٢ –٣٣ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٣٦ – ٣٣٧) .

٦٤٣هـ/١٢٤٥م[١] وهكذا استعادت الدولة الأيوبية وحدتها وصار السلطان نجم الدين أيوب يجمع في قبضته حكم مصر ودمشق وبيت المقدس[٢] .

غير أن ذلك لم يدم طويلاً فقد انقلب الخوارزمية على نجم الدين أيوب ؛ لأنهم لم يحصلوا على ما كانوا يطمحون إليه ، فهم ظنوا أنهم بعد أن ساعدوه في التغلب على خصومه وفي تملك بلاد الشام سوف يقاسمهم الغنائم ويشاطرهم الملك ؛ لكن ظنهم خاب عندما منعهم دخول دمشق وأقطعهم بلاد الساحل ، فتغيرت نياتهم واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان ، وأعلنوا الثورة وسارع الناصر داود ، والسلطان الصالح إسماعيل بالانضمام إليهم ، وزحفوا جميعاً على دمشق وحاصروها وقطعوا عنها الإمدادات ، فاشتد الغلاء بها ، ومات كثير من الناس جوعاً ، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر ، وهنا أظهر نجم الدين أيوب صبراً ومهارة فلجأ إلى أعمال الحيلة والتدبير ، فاستدرج المنصور حاكم حمص على الانضمام إليه فضلاً عن استمالة الحلبيين ، كما تحايل على بعض الأمراء وفك التحالف وبفضل الله ثم هذه الإجراءات تمكن نجم الدين من إنزال الهزيمة بالخوارزمية بالقرب من حمص في أول المحرم سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م وتبدد شملهم ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ، ثم قام نجم الدين أيوب برحلة إلى الشام ليقف على ما ناله من نصر ، وليعزز مركزه ، فتوجه إلى دمشق حيث لقي بها استقبالاً حافلاً ، ثم سار إلى بعلبك وبصرى وبيت المقدس[٣] ، ثم عمر ما تخرب من المباني ، وأقام عمائر جديدة في البلاد التي خضعت له[٤].

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧٦؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٤٨ – ٣٤٩) .

(٢) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٢٦ ؛ نهى حسام الدين سيد : العز بن عبدالسلام ودور العلماء في عصر الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية (٥٧٧ – ٦٦٠هـ/١١٨٢ – ١٢٦٢م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة حلوان ، كلية الآداب ، ٢٠٠٨م ، ص ٤٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٥٨ – ٣٥٩ ، ٣٧٢ – ٣٧٣) ؛ المقريزي : السلوك (١ /٤٢٧ – ٤٢٩) .

(٤) عرب دعكور : الدولة الأيوبية تاريخها السياسي والحضاري ، دار المواسم ، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٣٨.

وبعد أن وحد نجم الدين أيوب مصر والشام تحت سيطرته وافته المنية سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤م ، ثم حدث صراع أدى إلى سقوط الدولة الأيوبية[١] حيث برزت قوة جديدة أخذت دورها في الأحداث وهي قوة المماليك التي أثبتت قدرتها على التصدي للصليبيين في مصر ، بل حسمت كثيراً من الأمور التي كانت تمر بها الدولة الأيوبية ، وأصبح متيسراً للمماليك أن يشغلوا دوراً مهماً في التاريخ العسكري والسياسي ، وكانوا عماد الجيش وقوته الضاربة مما زاد من فعالياتهم وتأثيرهم على الساحة السياسية خلال تلك الحقبة الزمنية ، وكان ذلك فرصة لقيام دولتهم سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وقد واجهوا أخطاراً تتمثل بسادتهم السابقين الأيوبيين ومن ثم الصليبيين ، فضلاً عن ظهور قوة جديدة أشد خطراً وقساوة منهما وهم المغول[٢]، الذين زحفوا بإتجاه العالم الإسلامي واسقطوا مركز الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) كما اجتاحوا العديد من المدن والبلدان الإسلامية حيث إن الشرق الإسلامي كان في حالة شديدة من الضعف والتخاذل ، وخاصة بعد أن انقسم الحكام والأمراء وتنازعوا بعضهم مع بعض ولم يشغل تفكير هؤلاء إلا البحث عن الأهواء والمصالح الشخصية ولم يختلف هذا الحال بالنسبة لمعظم الدول الإسلامية ، حيث سهل سوء أوضاعهم في ذلك الوقت مهمة المغول وأهدافهم التوسعية ، فقد استطاعوا في مدة قصيرة أن يستولوا على معظم أقاليم العالم

---

(١) إضافة إلى ما سبق من الأحداث آنفة الذكر قدمت الحملة السابعة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م إلى مصر بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع التي سنذكر طرفاً منها في الفصل الثاني .

(٢) المغول : هم شعب من أواسط آسيا ، وموطنهم منغوليا بأطراف الصين ، ويشكلون مجموعات كبيرة من القبائل المتفرقة كانوا يعيشون في الصحراء معروفون بالشر والغدر ، اندلعت فيما بينهم حروب طاحنة ، ويعبدون الأوثان والكواكب والشمس . للمزيد انظر الجويني : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت : ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ، تاريخ فتح العالم ، نقله من الفارسية : محمد التونجي ، دار الملاحة للطباعة ، د.م ، ١٩٨٥م ، (١ /٦٠ – ٦٩) ؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد : المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص٢٥ – ٣٢ ؛ محمد التونجي : بلاد الشام إبان الغزو المغولي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص ٢٣ – ٢٤ ؛ علي بن صالح المحيميد : المغول في آسيا الصغرى ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، ص ١٠ – ١٢ .

الإسلامي المعروفة في ذلك الوقت ، حتى واصلوا الزحف على الشام وأخضعوه بأسره ، ولم يبق أمامهم إلا مصر آخر معقل للإسلام في الشرق.

وكان قطز[1] آنذاك نائب سلطان[2] المماليك في مصر قد تسلم رسالة من هولاكو[3] يهدده فيها ويطلب منه الاستسلام[4] ، إلا أنه لم يعبأ بتلك التهديدات وأصر على مواجهتهم والخروج لمقابلتهم وكان ذلك بالفعل حيث التقى الجيشان في

---

(١) قطز : سيف الدين قُطز بن عبدالله المعزي ، تولى السلطنة المملوكية سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م ، روي أن اسمه محمود بن ممدود وأنه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدين ، عُرف بالشجاعة والإقدام في الحروب ، كسر المغول في عين جالوت ودحر قواهم ، لكنه لم يهنأ بهذا النصر فقد قتل وهو في طريقه للقاهرة في ١٦ ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٣ ، ٢١١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /٢٠٠ – ٢٠١) ؛ ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت :٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق : سعيد عاشور ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، مكة المكرمة ، د.ت ، ص ٥٩.

(٢) فقد كان السلطان المنصور علي بن المعز أيبك صبياً صغيراً لا يعرف تدبير أمور السلطنه . ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدميري ، طرابلس ، ٢٠٠٤م ، (٦ /٢٦٢) .

(٣) هو هولاكو بن تولي قان بن جنكز خان ، ملك التّتار ومقدمهم ، كان طاغية من أعظم ملوك التتار ، وكان شجاعاً حازماً مدبراً ذا همةٍ عالية وسطوة ومهابة وخبرة بالحروب ومحبة في العلوم العقلية من غير أن يتعقل منها شيئاً ، استولى على الممالك في أيسر مدة ، وفتح بلاد خراسان وفارس وأذربيجان وعراق العجم وعراق العرب والشام والجزيرة والروم وديار بكر ، وقتل الخليفة المستعصم وأمراء العراق وصاحب الشام وصاحب ميافارقين ، توفي هولاكو بعلة الصرع وأخفوا موته وجعلوه في تأبوت سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٥٦م . الذهبي : تاريخ الإسلام (١٥ /١٠٥) ؛ الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت : ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، (٤ /٢٤٠ – ٢٤١) .

(٤) القلقشندي : أحمد بن علي (ت : ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م ، (٨ /٦٤) حيث ورد فيه نص الرسائل المتبادلة بين قطز وهولاكو .

عـين جـالوت[1] سـنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، وانتصـر فيهـا المسـلمون وقتـل قائـد التتـار كتبغـا[2] ، ولا شـك أن هـذه المعركـة كانـت نقطـة تحـول خطـيرة في التـاريخ ، بـالرغم مـن مقتـل قطـز وهـو في طريقـه للقـاهرة بـدافع الحقـد والغـيرة والتنـافس فخلـف مـن بعـده الحكـم الظاهر بيبرس[3] الذي بقي في الحكم حتى بعد وفاة العز بن عبدالسلام .

نستخلص مما تقـدم أنـه بعـد وفـاة صـلاح الـدين حـدث فـراغ سياسـي كبـير في مصـر والشـام ، إذ إن الصـراع بـين أفـراد أسـرته أضـعف الدولـة وآليـات الوراثـة في الحكـم ، فكانـت النتيجـة التفكـك السياسـي لدولـة صـلاح الـدين إلى إمـارات متنازعـة ومنفصـلة وبـدا كـأن جهـود نـور الـدين وقبلـه عمـاد الـدين ثم بعـده صـلاح الـدين قـد ذهبـت أدراج

---

(١) عـين جـالوت : تقـع بـين بيسـان ونـابلس . يـاقوت الحمـوي : معجـم البلـدان (٤ /١٧٧) . بلـدة تقـع في الشـمال الغـربي مـن مدينـة بيسـان علـى مسـافة عشـرة كيلـومترات ، علـى نهـر الجـالود بجـور عـين مـاء يطلـق عليهـا الاسـم نفسـه . مجموعـة مـن المـؤلفين : الموسـوعة الفلسـطينية ، هيئـة الموسـوعة الفلسـطينية ، دمشـق ، ١٩٨٤م ، (٣ /٣٦٨) . وهـي قريبـة جـداً مـن معسـكر جنـين الآن . راغـب السـرجاني : قصـة التتـار مـن البداية إلى عين جالوت ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص ٣٠٧ .

(٢) ابـن أيبـك الـدواداري : كنـز الـدر (٨ /٤٩ – ٥٠) . كتبغـا نـوين مقـدم عسـاكر التتـار كـان عظيمـاً عنـدهم ويعتمـدون عليـه لرأيـه وشـجاعته وصـرامته ، فكـان شـجاعاً بطـلاً مقـداماً مـدبراً خبـيراً بـالحروب والحصـارات وافتتـاح الحصـون والمعاقـل والاسـتيلاء علـى الممالـك وهـو الـذي افتـتح معظـم بـلاد العجـم والعـراق ، وكـان شـيخا مُسِـنًّا يميـل إلى النّصـرانيّة . اليـونيني ، قطـب الـدين موسـى بـن محمـد (ت : ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) : ذيـل مـرآة الزمـان ، دار الكتـاب الإسـلامي ، القـاهرة ، ١٩٩٢م ، (٢ /٣٣) ؛ الـذهبي : تـاريخ الإسـلام (٤٨ /٣٥٥) .

(٣) الظـاهر بيـبرس : ركـن الـدين أبـو الفـتح بيـبرس بـن عبـدالله الصـالحي النجمـي البندقـداري ، مـن أبـرز المماليـك البحريـة ، بويـع بالسـلطنة في ذي القعـدة سـنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م ، اسـتمر يحكـم مصـر والشـام بعـد توحيـدهما علـى يديـه إلى أن تـوفي سـنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م ، اتصـف بالشـهامة والشـجاعة وعلـو الهمـة بعيـد الغـور ، ومقـداماً جسـوراً معتنيـاً بـأمر السـلطنة ، لـه أعمـال داخليـة وخارجيـة في محاربـة الصـليبيين ، تـولى الحكـم بعـده ابنـه الملـك السـعيد بركـة خـان . ابـن عبـد الظـاهر ، أبـو الفضـل محـي الـدين عبـدالله بـن رشـيد الـدين (ت : ٦٢٩هـ/١٢٩٢م) : الـروض الزاهـر في سـيرة الملـك الظـاهر ، تحقيـق : عبـد العزيـز الخـويطر ، الريـاض ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص ٤٦ – ٥٠ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص٦٦ – ٨٤ .

الرياح ؛ لكن السلطان العادل حاول أن يفرض نوعاً من الوحدة الأيوبية بعد أن مزقها الصراع والانقسام .

وبعد وفاة السلطان الكامل شهدت الجبهة الإسلامية مزيداً من التفكك مما دفع أمراء البيت الأيوبي إلى محاولات لفرض سلطانهم والتوسع على حساب ممتلكات بعضهم مما أدى إلى صراع وحروب مستمرة فيما بينهم ، وفي ظل هذه النزاعات الأيوبية الداخلية والفوضى ، كان لابد لكل أمير أن ينشئ لنفسه قوة خاصة يعتمد عليها في الاحتفاظ بأماراته ولتتحقق أهدافه أكثر من شراء المماليك وشكل منهم قوة عسكرية تم دمجها مع الجيش الأيوبي حرصاً منه على حماية أملاكه من التعرض لأي عداء وليكونوا سنداً له في مواجهة التحديات ، كما أظهر بعض الأمراء تعاونهم مع القوى الخارجية من خلال تشكيل تحالفات سياسية يلجأون إليهم في دعم معسكراتهم وفي حروبهم وهذا ما فعله الأمراء أثناء التجائهم إلى الصليبيين في حين استند الصالح نجم الدين إلى الخوارزميين[1] .

والخلاصة من ذلك كله أن الفترة التي عاصرها العز بن عبدالسلام شهدت انتصارات صلاح الدين الأيوبي واسترداده لبيت المقدس من أيدي الصليبيين ، وتصدي المماليك لجيش المغول في عين جالوت ، كما عايش الفترة العصيبة التي اضطربت فيها الأحداث السياسية واشتدت الخصومات والنزاعات بين السلاطين في مصر والشام .

لقد شاهد العز كل هذه الأحداث فأثرت في نفسه ، فلم يكن سلبياً تجاهها بل كان إيجابياً متفاعلاً معها ، متأثراً بها ومؤثراً فيها .

---

(١) محمد بن يونس فلح : الملك الصالح نجم الدين أيوب وعلاقته بالقوى السياسية (٦٣٨ – ٦٤٧هـ/١٢٥٠ – ١٢٦٠م) ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ،جامعة الموصل ، المجلد السابع ، العدد ١٣، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ، ص ١٩ – ٢٠ .

الفصل الأول

حياة العز بن عبدالسلام وآثاره ومكانته العلمية

المبحث الأول : حياته

- اسمه ونسبه .
- مولده .
- نشأته وطلبه للعلم .
- مناصبه .
- أخلاقه .
- وفاتـه .

المبحث الثاني : آثاره العلمية .

- شيوخه وأثرهم فيه .
- تلاميذه وأثره فيهم .
- مؤلفاته .

المبحث الثالث :

- مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .

المبحث الأول : حياته

- اسمه ونسبه :

هو أبو محمد ، عز الدين ، عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب السلمي ، المغربي أصلاً ، الدمشقي مولداً ، ثم المصري داراً ووفاة ، والشافعي مذهباً ، وقد اشتهر بالعز بن عبدالسلام[١].

فهو (السُلمي) : بضم السين : نسبة إلى بني سليم إحدى القبائل المشهورة من قبائل مضر ، والمنسوبون إليها كثيرون[٢] .

(المغربي) : فلعل أحد أجداده قدم من المغرب وسكن الشام .

(الدمشقي) : نسبة إلى دمشق ؛ لأن العز ولد بها ، وترعرع فيها ، وطلب العلم ، وتولى فيها المناصب والأعمال المختلفة .

(المصري) : نسبة إلى مصر ، التي انتقل إليها ، واستقر بها ، وتوفي ودفن فيها .

(الشافعي) : لأنه تفقه على المذهب الشافعي[٣] ، ودرّسه ، وأفتى به ، وتولى القضاء للحكم بأحكامه ، وصنف الكتب الفقهية على هذا المذهب ، حتى بلغ رتبة الاجتهاد فيه ، وكان له بعد ذلك أراء استقل بها[٤] .

---

(١) أبوشامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ص٢١٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٠٢) ؛ الكتبي : فوات الوفيات (٢ /٣٥٠) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٠٩) .

(٢) ابن الأثير : اللّباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م ، (١ /٥٥٣) .

(٣) المذهب الشافعي ينتسب إلى محمد بن إدريس الشافعي . ابن خلكان : وفيات الأعيان (٤ /١٦٣) .

(٤) عبدالله بن إبراهيم الوهيبي : العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير ، د.ن ، القاهرة ، ١٣٩٩م ، ص٤٧ ؛ سليم عيد الهلالي ، صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤١٠هـ ، ص١١ .

ولقب بعدة ألقاب منها :

عز الدين ، جرياً على عادة عصره الذي انتشرت فيه هذه الألقاب المنسوبة إلى الدين لمكانته العالية في نفوس الناس وعنايتهم به ، واشتهر بالعز في كتب التاريخ والتراجم والفقه وعند الناس . ولقب بـ "سلطان العلماء"[(١)] لعلمه الغزير ، واطلاعه الواسع ، وإيمانه القوي ، وحجته البالغة ، وزهده وحبه للحق[(٢)]. ولعل وجه هذه التسمية التي لم تطلق على غيره كونه أحد العلماء الذين قارعوا السلاطين بالحجة فغلبهم . ويعرف ببائع الملوك للحادثة المشهورة "بيعة أمراء المماليك"[(٣)] التي تعد بحق من فرائد وغرائب التأريخ الصحيح[(٤)] .

وكثيراً مايشار إليه بـ ابن عبدالسلام وهو الدارج في كتب العلماء الذين جاؤوا بعده عند ذكرهم له ، فقد قالوا : "ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبدالسلام"[(٥)] .

ومن الملاحظ أن ذكر اسمه الحقيقي " عبدالعزيز " نادراً إلا من كتب التراجم التي ترجمت له وماعدا ذلك فلا يُذكر إلا بكنيته أو أحد ألقابه ، فيقال : أبو محمد بن عبدالسلام ، أو عز الدين بن عبدالسلام ، أو يقال : سلطان العلماء بن عبدالسلام،

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (١ /٥٠٤) ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، (٥ /٢٦٠) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٠٩) ؛ الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي (ت : ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) : طبقات الشافعية ، تحقيق : عبدالله الجبوري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧١م ، (٢ /١٩٨) .

(٢) محمود بن رزق سليم : موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، م ٣ ، ص١٧٦؛ محمود شلبي : حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص٩ .

(٣) سنتطرق لهذه الحادثة بالتفصيل فيما بعد .

(٤) سليم الهلالي : صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء ، ص١٢.

(٥) الكتبي : فوات الوفيات (٢ /٣٥٢) .

أو ابن عبدالسلام[1] ، وقد وقع كثير من الخلط في نسبة بعض المؤلفات والآراء إليه من جراء مشاركته غيره في لقبه (ابن عبدالسلام)[2] ، وسنشير إلى ذلك عند ذكر مؤلفاته إن شاء الله .

- مولده :

اتفقت المصادر التي ترجمت للعز وعرضت سيرته أنه ولد بدمشق ، ولكنها اختلفت في تحديد تاريخ مولده فذهب بعضهم إلى أن تاريخ مولده سنة (٥٧٧هـ/ ١١٨١م)[3] ، وتردد بعضهم الآخر بين هذه السنة وسنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)[4] ، ويرجع سبب عدم ضبط تاريخ مولد كثير من العلماء إلى انعدام وجود سجلات رسمية تضبط الولادات آنذاك .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٠٩) .

(٢) منهم عز الدين بن عبدالسلام بن أحمد بن غانم المقدسي (ت : ٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ، ومحمد بن عبدالسلام بن يوسف (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ويعرف في كتب المالكية بابن عبدالسلام وله مؤلفات في الأصول والفقه ، ومحمد بن عبدالسلام بن محمد بن العربي (ت :١٢١٤هـ/١٧٩٩م) كبير علماء القراءات في عصره ، وشهاب الدين بن عبدالسلام المصري المنوفي (ت :٩٣١هـ/١٥٢٥م) ، وعز الدين عبدالعزيز بن محمد الدميري ، المعروف بالديريني (ت : ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) ، وعز الدين بن عبدالعزيز بن علي البغدادي ثم المقدسي الحنبلي (ت :٨٤٦هـ/١٤٤٢م) . علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام وأثره فى الفقه الإسلامى ، د.ن ، د.م ، د.ت ، ص٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٣) الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، (٢١/٤) .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام (٤١٦/٤٨) ؛ الكتبي : فوات الوفيات (٣٠٥/٢) ، السبكي : طبقات الشافعية (٢٠٩/٨) ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية (٣ /١٩٨) ؛ ابن قاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد ابن محمد ابن عمر الأسدي الشهبي (ت :٨٥١هـ/١٤٤٧م) : طبقات الشافعية ، تحقيق : الحافظ عبدالعليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، (١٣٧/٢) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة (٣١٤/١) .

وأميل إلى ماذكره بعض الباحثين المحدثين أنه ولد سنة (٥٧٧هـ) ؛ وذلك بناء على قول أكثر المؤلفين والباحثين[(١)] أنه توفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) ، وأن عمره (٨٣ سنة) ، واعتماداً على رواية ذكرها السبكي[(٢)] في طبقاته ، الذي كان من أقرب المؤرخين لحياته وسيرته .

- نشأته وطلبه للعلم :

نشأ العز بن عبدالسلام في أسرة فقيرة مغمورة كادحة يشغلها طلب الرزق عن العلم ، لذا لم تسجل كتب التاريخ والتراجم شيئاً عن نشأته الأولى ، أو عن آبائه وأجداده ؛ لأنه لم يكن لهذه الأسرة مجدٌ أوسلطانٌ أوعلمٌ[(٣)] .

ويظهر من سيرته - رحمه الله تعالى - أنه كان شاباً متعبداً رغم فقره ، وكدّه على رزقه ، ولا أدل على ذلك من مبيته في المسجد الليالي الطوال[(٤)] منتظراً الصلاة كي لاتفوته الجماعة ، ويستدل على تدينه بما ذكره السبكي[(٥)] حيث قال : كان

---

(١) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص٤٥ ، جمال بن محمد خليفة عريكيز : فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي (٤٩١-٦٩٠هـ) ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص١١٣ .

(٢) تذكر الرواية بأن شخصاً جاء إلى العز بن عبدالسلام وقال له :

وَكنت كذي رجلَيْنِ رجل صَحِيحَة ... وَرجل رمى فِيهَا الزَّمَان فشلت

فَسكت ساعة ثم قال أعيش من الْعُمر ثَلاثا وثمانين سنة فإن هذا الشّعْر لكثير عزة ولا نسْبة بيني وبينه غير السن أنا سني وهو شيعي وأنا لست بقصير وهو قصير ولست بشاعر وهو شاعر وأنا سلمي وليس هو بسلمي لكنه عاش هذا القدر . طبقات الشافعية (٨ /٢٤٥ - ٢٤٦) . وقد أيد السبكي هذه الرواية رغم أنه ذكرها بلفظ التمريض فقال : (حكي أن شخصاً) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص٦٠.

(٣) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ٥٠ .

(٤) اليافعي ، أبو محمد بن عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت :٧٦٨هـ/١٣٦٦م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ ، (٤ /١٥٨) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٧ /٢٠٩) .

(٥) طبقات الشافعية (٢١٣/٨) .

الشيخ[1] العز بن عبدالسلام في أول أمره فقيراً جداً ، ولم يشتغل على طلب العلم إلا على كبر[2] ، وسبب ذلك أنه كان يبيت في الكلاسة[3] من جامع دمشق ، فبات بها ليلة ذات برد شديد فاحتلم فقام مسرعاً ونزل في بركة الكلاسة ، فحصل له ألم شديد من البرد ، وعاد فنام فاحتلم ثانياً ، فعاد إلى البركة ؛ لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لايمكنه الخروج ، فطلع فأغمي عليه من شدة البرد ثم سمع النداء في المرة الأخيرة[4] : يا ابن عبدالسلام ، أتريد العلم أم العمل ؟ فقال الشيخ

(١) الشيخ من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السّن ، ولقّب به أهل العلم والصّلاح توقيراً لهم كما يوقّر الشيخ الكبير ، والشيخيّ نسبة إليه للمبالغة . القلقشندي : صبح الأعشى (٦ /١٧) . ويذكر التهانوي أن المحدّثين يطلقون الشيخ على من يروى عنه الحديث ، والمحدّث هو الأستاذ الكامل وكذا الشيخ والإمام ، وقيل الشيخ هو الذي يقرّر الدين والشّريعة في قلوب طلاب العلم والناشئة . التهانوي : محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي (ت : بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م) : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم ، تحقيق :علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية : عبدالله الخالدي ، الترجمة الأجنبية : جورج زيناني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٦م ، (١ /١٠٤٩) .

(٢) أي بعد الاحتلام ، فقد فهم بعضهم من هذه الجملة أن العز بن عبدالسلام طلب العلم بعد الأربعين سنة وهذا خطأ ؛ لأن بعض شيوخ العز الذين درس على يديهم توفوا سنة ٥٩٦هـ ، أي قبل أن يبلغ العز عمر تسع عشرة سنة ، فيكون قد طلب العلم عليهم قبل ذلك بسنوات ، أي وعمره ست عشرة سنة على الأقل . عبدالسلام بن مازن أبو خلف : العقيدة الإسلامية عند سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، دار النور المبين للدراسات والنشر ، عمان – الأردن ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص ٢١ .

(٣) الكلاسة : موضع ملاصقة للجامع الأموي من الجهة الشمالية ولها باب ينفذ إليه وهو موضع لعمل الكلس (الجير) حينما يحتاج الجامع للأعمار أعدت لذلك أيام تجديد بنائه سنه ٥٥٠هـ/١١٥٥م بناها السلطان نور الدين زنكي . النعيمي ، عبدالقادر بن محمد عمر بن محمد يوسف (ت : ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، (١ /٣٤٠) ؛ عبدالقادر أحمد بن مصطفى بدران : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال : الآثار الدمشقية و المعاهد العلمية ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٤٤ .

(٤) لا نعلم من أين مصدر هذا النداء ، لكن يتضح من سياق القصة أنها رؤيا صالحة بشر فيها .

العز بن عبدالسلام : العلم ؛ لأنه يهدي إلى العمل ، فأصبح ، وأخذ كتاب " التنبيه "[1] فحفظه في مدة يسيرة ، وأقبل على العلم ، فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله[2] .

في هذه الحادثة دلالة على صرامة العز في دينه وتحمله الصعاب والشدائد ، وتعرضه للمخاطر في سبيل مرضاة الله تعالى ، وتحليه بوعي ديني كبير حيث ترك لذة النوم ودفء الفراش ، واغتسل بماء شديد البرودة في ليلة قارصة [3] .

وفي اختيار العز للعلم والتدليل بأنه يهدي للعمل بيان على إدراكه لهذه المعاني ، وفهمه لها ، ومن هذا يتبين لنا : أن العز كان على صلة دائمة بدروس العلم ، وحلقات العلماء ، لكنه لم يكن متفرغاً لذلك ، واختياره طريق العلم في نهاية القصة رغم فقره دليل على حصافة العز ورجاحة عقله ورأيه ، واستعداده للتحصيل والإرتقاء في الدرجات .

فتوجه العز إلى طلب العلم على كبر بجد واجتهاد ، فكان تحصيله له كبيراً ، ساعده في ذلك الإخلاص لله تعالى ، وهمة عالية ، وفهم ثاقب ، فجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه ، واختلاف أقوال الناس ومآخذهم[4] ، والذي ساعده أيضاً على الاستزادة من العلم والمعرفة الجو العلمي الذي كانت تعيشه بلاد المشرق بصفة عامة ومدينة دمشق بصفة خاصة ، حيث كانت موطناً لعدد كبير من

---

(١) التنبيه : هو أهم كتاب مختصر في الفقه الشافعي للشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ويعتبر الكتاب المدرسي الأول للمبتدئين في دراسة الفقه الشافعي ، وبقي معتمداً حتى ظهر كتاب منهاج الطالبين للعلامة أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي . محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ٤٧ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢١٣) .

(٣) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ٤٨ .

(٤) ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، (٥/٣٠٢) .

فحول العلماء فنهل منهم العلم والمعرفة ، وتحلى بمكارم أخلاقهم ، واقتدى بحسن سلوكهم حتى أصبح كما قال السبكي[1] : " أعلم أهل زمانه ، ومن أعبد خلق الله تعالى " ، وروي عن العز أنه قال : " ما احتجت في علم من العلوم إلى أن أكمله على الشيخ الذي أقرأ عليه ، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم إلا وقال الشيخ : قد استغنيت عني فاشتغل مع نفسك ، ولم أقنع بذلك بل لا أبرح حتى أكمل الكتاب الذي أقرؤه في ذلك العلم "[2] ، ولم يزل إصراره على طلب العلم حتى بعد أن صار في مصاف العلماء يدل على هذا قوله عن نفسه : "مضت لي ثلاثون سنة لا أنام حتى أمر أبواب الأحكام على خاطري "[3] .

قضى العز معظم حياته في دمشق ، وتلقى علومة على جلة من علمائها في زمانه[4] ، ولم يكتف العز بعلماء دمشق ، فيمم شطر بغداد عاصمة الخلافة سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)[5] ، والتقى بعلمائها ، وتردد عليهم ، ونهل من علمهم ، واستفاد من تجاربهم ، ولم يمكث بها طويلاً ثم عاد إلى دمشق[6] بعد أن نال ما أرد من تحصيل العلم ، ويبدو من اختيار العز لبغداد بالذات للسفر إليها لتحصيل

---

(١) طبقات الشافعية (٨ /٢١٣) .

(٢) الداوودي ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت : ٩٤٥هـ) : طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، (١ /٣١٤) ؛ العز بن عبدالسلام ، عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الشافعي (ت :٦٦٠هـ/١٢٦٢م) : الإمام في بيان أدلة الأحكام ، تحقيق : رضوان مختار بن غريبة ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص١٨.

(٣) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت :٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) : رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق : علي بن محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، (٢ /٢٤١) .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٠) .

(٥) ابن رافع السلامي ، أبو المعالي تقي الدين محمد (ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : تاريخ علماء بغداد ، المسمى منتخب المختار ، تحقيق : عباس العزاوي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ١٠٦ .

(٦) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب (٧ /٥٢٣) .

العلم ؛ لأنها كانت آنذاك لا تقل عن دمشق أهمية كمنارة للثقافة والعلم ، فضلاً عن أنها كانت حاضرة للخلافة الإسلامية ، ومقر العلماء ، ومقصد الطلاب من البلاد كافة وعاصمة النهضة العلمية والمكتبات الزاخرة .

– مناصبه :

بعد أن طلب العز بن عبدالسلام العلم وارتوى منه ، تولى عدة مناصب في الشام ومصر منها : التدريس ، والإفتاء ، والخطابة ، والقضاء ، ووقع له أثناء ذلك مواقف مشرّفة وابتلاءات ، أثبتت قوة دفاع العز عن الحق ، وتمسكه الشديد بشريعة الله وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وأنه كان يحمل هماً بالغاً في نشر علمه إلى أبعد حد ، كما أن الجد والذكاء كانا من أهم عوامل النجاح التي اجتمعت بالعز رغم وفرة العلماء في عصره .

١– التدريس :

كان التدريس أول عمل قام به العز فقد درّس بعدة مدارس في دمشق[(١)] أولها مدرسة العزيزية وتقع شرقي التربة الصلاحية ، وغربي التربة الأشرافية ، وشمالي دار الحديث الفاضلية بالكلاسة ، ملاصقه للجامع الأموي ، وأسسها السلطان الأفضل ابن صلاح الدين ثم أتمها السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين والآن أصبحت هذه المدرسة مجهولة الأثر لا يعرف محلها ولا يدرى مقرها[(٢)] ، وتعد من أكبر مدارس

---

(١) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، تحقيق : عبدالله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، (١٣/٢٣٥) .

(٢) ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (ت : ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ مدينة دمشق) ، تحقيق : سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ، (٢ /٢٣٩) ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، (١ /٢٩٠) ؛ عبدالقادر بدران : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، ص١٢٩ – ١٣٠ ؛ أحمد أحمد =

دمشق التي امتازت بتنوع العلوم بها بين الفقه والنحو وعلم الكلام والمنطق وعلوم الفلسفة[١] ؛ ودرّس بها جمع من العلماء منهم شيخه سيف الدين الآمدي[٢] وكان للعز مجلس فيها يدرس به العلوم الشرعية ، واستمر في التدريس مع شيخه وبعده[٣].
ودرّس في المدرسة الشبلية البرانية ، التي كانت خارج دمشق على سفح جبل قاسيون بالصالحية[٤] ، الذي أنشأها الطروشي شبل الدولة كافور الحسامي[٥] ، ودرّس بها عظماء كبار من علماء ، وقضاة ، وفقهاء ، وشيوخ ، ومؤرخين[٦]. ثم تولى التدريس في الزاوية الغزالية[٧] ، المنسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي[٨] ، ثم نسبت إلى

= بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دارنهضة مصر ، القاهرة ، د.ت ، ص٦٢.

(١) المنذري : التكملة لوفيات النقلة (٣ /٣٥٩ – ٣٦٠) ؛ ابن الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) : غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره ج. برجستراسر ، مكتبة ابن تيمية ، د.م ، ١٣٥١هـ ، (٢ /١٥ – ١٦) .

(٢) سنذكر تعريفاً لسيرته ضمن شيوخ العز في المبحث الثاني من هذا الفصل ، ص ٨٧.

(٣) علي بن محمد الصلأبي : الأيوبيون بعد صلاح الدين الحملات الصليبية الرابعة ، الخامسة ، السادسة ، السابعة ، دار المعرفة ، بيروت ،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص٤٣٨-٤٣٩ .

(٤) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس (٤٠٧/١) ؛ عبدالقادر بدران : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، ص١٧٦.

(٥) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة (٢ /٢٢٧) .

(٦) حسن شميساني : مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٦٣.

(٧) ذكر ابن شداد هذا الزاوية ضمن الباب الخاص بالجامع ووضعها ضمن مدارس الجامع ، وأورد في موضع آخر ذكرها ضمن الزوايا الموجودة بالجامع باسم الزاوية الغزالية منسوبة إلى الشيخ نصر المقدسي وتنسب إلى الغزالي ؛ بينما أدرجها النعيمي ضمن مدارس الشافعية . ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، (٢ /٨٤ ، ٢٤٦) ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس (٣١٣/١) .

(٨) هو الشيخ نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي النابلسي ، شيخ الشافعية بالشام ، صاحب التصانيف ، كان إماماً علامة مفتياً محدّثاً حافظاً زاهداً الجامع بين العلم والدين عاش أكثر من ثمانين سنة ، وتوفي =

الغـزالي[1] لكثـرة اعتكافـه وتدريسـه فيهـا ، وهـي الزاوية الغربية بالجـامع الأمـوي شمـالي مشـهد عثمـان المعـروف بمشـهد النائـب مـن الجـامع الأمـوي [2] ودرس في المدرسـة كبـار علماء عصره .

وذكـرت المصـادر أن العـز كُلِّـف بالتـدريس في هـذه المدرسـة مـن قبـل السـلطان الكامـل الأيـوبي عنـدما ملـك دمشـق ، بعـد وفـاة الشـيخ جمـال الـدين محمـد الـدولعي[3] ، قـال السـبكي[4] : " وولّى الملـك الكامـل – رحمـه الله – الشـيخ تـدريس زاويـة الغـزالي بجـامع دمشق" ، واستمر في التدريس بها حتى خرج من دمشق[5] .

ذاع صيته في التـدريس فرحـل إليـه الطلبـة مـن سـائر الـبلاد وتميـز العـز بكونـه مدرسـاً وشـيخاً يحـب الدعابـة ويميـل إلى إيـراد الملـح والنـوادر الـتي يلطـف بهـا درسـه وينشـط

= يـوم عاشـوراء سـنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م . الـذهبي : العـبر (٣٦٣/٢) ؛ السـبكي : طبقـات الشـافعية (٣٥١/٥ ، ٣٥٣) .

(١) الغزالي : أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الطوسـي الشـافعي ، فيلسـوف متصـوف ، بـرع في علـوم كثـيرة وتخـبط في المـذاهب المختلفـة ، إلا أنـه رجـع في آخـر حياتـه إلى مطالعـة كتـب السـنة مـن الصـحيحين وغيرهمـا ، وقـد صـنف مصـنفات كثـيرة في فنـون مختلفـة ، تـوفي سـنة (٥٠٥هـ/١١١١م) . الـذهبي : سـير أعـلام النـبلاء (٣٢٢/١٩-٣٤٦) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (١٩١/٦) .

(٢) السـبكي : طبقـات الشـافعية(٢١٠/٨) ؛ النعيمـي : الـدارس في تـاريخ المـدارس (٣١٣/١) ؛ عبـدالقادر بدران : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، ص١٣٤ .

(٣) هـو جمـال الـدين محمـد بـن أبي الفضـل بـن زيـد بـن ياسـين التغلـبي الأرقمـي الـدولعي ، خطيـب دمشـق ، تـوفي سـنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) . أبـو شـامة : الـذيل علـى الروضـتين ، ص ١٦٦ ؛ الـذهبي : سـير أعـلام النـبلاء (٢٤/٢٣ – ٢٥) .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٢٨٢/٨) .

(٥) ناصـر بـن محمـد علـي الحـازمي : الحيـاة العلميـة في دمشـق في العصـر الأيـوبي (٥٦٩ – ٦٥٩هـ/١١٧٣ – ١٢٦٠م) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، (١ /٢٦٦) .

تلاميذه ، الذين أعجبوا بطريقته ، وأسلوبه البارع ، وأفكاره المتدفقة ، وعلمه السيال[1] .

وبعد هجرته إلى مصر ولاه السلطان نجم الدين أيوب التدريس في المدرسة الصالحية[2] ، وكانت مدرسة كبيرة خصصت لتدريس المذاهب الأربعة فأسند للعز تدريس المذهب الشافعي فيها[3] ، ولم يقتصر تدريسه في المدرسة الصالحية فحسب بل كان يعقد حلقات العلم في المساجد وفي بيته فأقبل عليه التلاميذ من كل مكان لينهلوا من معينه الفياض ، وتخرج على يديه أئمة الأعلام[4] .

وعرض عليه السلطان الظاهر بيبرس عند بنائه المدرسة الظاهرية[5] بالقاهرة التدريس بها فأبى وقال : إن معي تدريس الصالحية فلا أضيق على غيري[6] ، يبين لنا لنا أن العز لا يبخل على غيره من العلماء في قيامهم بواجب الدعوة من خلال

---

(١) أحمد بن نافذ المحتسب : شخصيات إسلامية عرفها التاريخ ولن ينساها – نبذة عن حياتهم وأروع بطولاتهم – ، تقديم : سامي محمد حريز ، دار غيداء ، عمان – الأردن ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص ٢٤٨ .

(٢) المدرسة الصالحية : تقع بين القصرين في القاهرة ، بناها السلطان الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الكامل سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ، قال المقريزي عنها هذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة . ابن عبدالظاهر : الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ص ٨٥ ؛ المقريزي : الخطط (٤ /٢١٧ – ٢١٩) ؛ السيوطي: حسن المحاضرة (١ /٤١١) .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٩٣٣) .

(٤) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٨٥ .

(٥) المدرسة الظاهرية : نسبة للظاهر بيبرس البندقداري ، بنيت بين القصرين سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م ، واكتمل بناؤها سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م ، ورتبت لتدريس الشافعية والحنفية وتدريس الحديث وإقراء القراءات بالروايات وقد أوقف فيها خزانة كتب . الذهبي : تاريخ الإسلام (١٥ /٩) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة (٢ /٢٦٤) .

(٦) الأسنوي : طبقات الشافعية (٢ /١٩٧) .

التدريس وغيره فكان يحب لغيره الخير كما يحب لنفسه فلا يحرم العلماء من نشر علمهم ليستفيد طلاب العلم من علم غيره من العلماء .

وعرف العز بإخلاصه في التدريس محتسباً فيه حتى ذاع صيته ونبغ في علوم متعددة واشتهر بالفقه وأصوله وفاق أقرانه حتى قال ابن الحاجب[1] : " ابن عبدالسلام أفقه من الغزالي " ، وأثنى عليه أبو الحسن الشاذلي[2] بقوله : " قيل لي ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبدالسلام " . وقال أكثر من ترجموا له إنه بلغ رتبة الاجتهاد . وعندما تفرغ للتدريس صار أكبر عوناً على تأليف المؤلفات الكثيرة الوافرة في شتى العلوم بعدما اكتمل علمه ونضج واتسع أفقه .

٢ – الإفتاء :

تعتبر الفتوى صمام الأمان للحفاظ على القيم الدينية ، وقد كلف الله عز وجل نبيّه محمداً – صلى الله عليه وسلم – بتولي هذا الأمر في حياته ، وكان ذلك من مقتضى رسالته ، قال تعالى في هذا : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٤) . وابن الحاجب : هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر يونس ، الملقب جمال الدين ، المعروف بابن الحاجب ، كان والده حاجباً للأمير عز الدين موسك ، فقيه مالكي ، وعالم بالعربية وبرع في علومها وأتقنها غاية الإتقان ، له مصنفات كثيرة منها مختصر في مذهبه ومقدمة وجيزة في النحو وغيرها ، ولد في أسنا بصعيد مصر سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م وسكن في دمشق ومات بالإسكندرية سنة ٦٤٩هـ/١٢٤٩م . ابن خلكان : وفيات الأعيان (٣/٢٤٨ – ٢٥٠) ؛ الأدفوي : الطالع السعيد ، ص٣٥٢ – ٣٥٣ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦/٣٦٠) ؛ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تقديم : سعيد عاشور ، حققه ووضع حواشيه : محمد أمين ، الهيئة المصريه العامة للكتاب ، ١٩٨٤م ، (٤ /٤٤) .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة (١ /٣١٥) . أبو الحسن الشاذلي : علي بن عبدالله بن عبدالجبار المغربيّ ، الزّاهد ، شيخ الطّائفة الشّاذليّة ، درس العلوم الشرعية وتفقه ، وسكن شاذلية بتونس ثم انتقل إلى الإسكندرية ، توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٩م . الذهبي : تاريخ الإسلام (٤٨/٢٧٣-٢٧٤) ؛ العبر في خبر من غبر (٣/ ٢٨٢) .

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] . والمتعمق في الدين والمنهمك بأحكامه ودلائله إنما هو العالم المفتي المخول بفتواه ؛ لما له من قدرة على ترجيح أحكام مسائلة والاجتهاد بفتواه أسوة بمن سبقوه .

وكان الإفتاء في عصر العز مهمة يقوم بها العالم الذي يرى نفسه أهلاً لذلك ويقصد بها بيان أحكام الشرع ، واشتهر العز بالتقوى والورع ، وكان فطناً يقصده كل من يستفتيه في شؤون الدين والدنيا حيث كانت الفتيا في عصره أمراً ليس عادياً بسبب الظروف السياسية في ذلك الوقت . ولم يكن للإفتاء منصب رسمي في الدولة الإسلامية ، وكان العز موفقاً في الفتاوى حتى أنه عرف بـ « مفتي الشام »[2]، وتجاوزت شهرته بلاد الشام ، وأرسلت إليه الفتاوى من مختلف البلاد ليستفتوه ، كما أن شهرته بذلك وصلت مصر قبل أن يذهب إليها !

ولما قدم العز إلى مصر سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م لم يتخل عن الإفتاء واعترف له علماؤها ومفتوها بالفضل وامتنعوا عن الفتوى بوجوده بدليل أن الحافظ المنذري امتنع عن الإفتاء منذ جاء العز إلى مصر ، وقال : " كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه "[3] .

ويُعد امتناع المنذري عن الفتوى رغم زهده وعلمه تقديراً للعز ليس بالأمر السهل وهذا يدل على غزارة علم العز وفضله فقد كان العلماء متضامنين معه ولم يروا أن العز نافسهم وخطف الأضواء منهم بل كانوا يداً واحدة . وعلى أية حال اشتهر العز

---

(١) سورة النحل : آية ٤٤ .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ص١٧٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (٢٣٥/١٣) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١١) .

بالفتاوى السديدة حتى ذاع صيته في الآفاق فأتته الفتاوى من كل الأقطار يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم[1] .

كانت الفترة التي عاشها العز في مصر من أخصب الفترات في حياته العلميه والثقافية حيث تفرغ فيها للتدريس والإفتاء فنضجت عقليته وأفكاره واتسع أفقه .

٣ – الخطابة :

تُعد الخطابة في المساجد منصباً جليلاً وهي وظيفة يتم التعيين فيها من قبل الخليفة أو السلطان ؛ لأنها إحدى الوسائل المؤثرة في الرأي العام عند المسلمين خصوصاً أن الأمة الإسلامية مرت بأحداث جسيمة تستدعي شحذ همم المسلمين للجهاد ؛ وتولى العز بن عبدالسلام الخطابة في الجامع الأموي بدمشق سنة (٦٣٧هـ/١٢٤٠م) من قبل السلطان الصالح إسماعيل[2] ، وقد سرّ به أهل دمشق سروراً بالغاً لتميزه عن بقية علماء عصره بإمكانياته العلمية ومواقفه الجريئة وإصراره على مبادئه[3] ، وبتوليه الخطابة في هذا الجامع قد تولى منصباً سياسياً خطيراً ، وأصبح في وضع اجتماعي كبير ؛ لأن الجامع الأموي هو الجامع الرئيس بدمشق ، يحضر فيه الأمراء والخلفاء ، والخطابة فيه أمر يطمح إليها علماء عصره ، لكن العز كان جديراً بهذا المنصب ، حيث كان أشهر من تولى الخطابة في الجامع الأموي للقرن السابع الهجري[4] ، وكان خطيباً بارعاً يؤثر في مستمعيه بصدقه ، وغزارة علمه ، وسلاسة أسلوبه ، ووضوح

---

(١) الكتبي : فوات الوافيات (٢ /٣٥١) ؛ عبدالله بن صالح الخزيم : العز بن عبدالسلام شخصيته واحتسابه ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام بالرياض ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٢ .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٧٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٢٤٢/٨) .

(٣) لولاف بن مصطفى الأتروشي : القضاء في مصر والشام في العهد الأيوبي ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان ، ٢٠٠٧م ، ص٢٢٩ .

(٤) ناصر الحازمي : الحياة العلمية في دمشق (٢ /٥٣٠) .

أفكاره ، أزال الكثير من بدع الخطباء ، كدق السيف على المنبر ، ولبس السواد ، والسجع المتكلف واجتنب الثناء على الملوك بل كان يدعو لهم وغير ذلك[1] . واستمر العز في الخطابة إلى أن عزله السلطان الصالح إسماعيل لقوته في الحق وإنكاره عليه عندما تحالف مع الصليبيين مما دعاه إلى الانتقال إلى مصر[2] .

وعندما قدم العز بن عبدالسلام إلى مصر سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م رحب به سلطانها نجم الدين أيوب وأكرمه وكان يعرف فضله وغزارة علمه وجرأته في قول الحق ، فعينه خطيباً لأعظم مساجد مصر – جامع عمرو بن العاص[3] – كما وكل إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر (الفسطاط) والقاهرة[4] ، وبذلك يكون جمع له منصباً آخر مع الخطابة يصلح أن نطلق عليه (مدير عمارة المساجد) في تعبيرنا الحديث .

وفي هذا السياق يقول السبكي[5] : "ونجى الله سبحانه وتعالى الشيخ ، فجاء إلى الديار المصرية ، فأقبل عليه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله ، وولاه خطابة مصر وقضاءها ، وفوض إليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة ، واتفق له في تلك الولايات عجائب وغرائب" .

لقد أصبح العز بن عبدالسلام خطيباً يمارس مهنته التي عاش من أجلها على أحسن وجه وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدع بالحق وأوقف الظالمين عن

---

(١) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية (٤٤١/١) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٢١٠/٨)

(٣) عمرو بن العاص بن وائل الإمام أبو عبدالله ، ويقال : أبو محمد السهمي ، داهية قريش ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم ، هاجر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مسلماً في أوائل سنة ثمان ففرح الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقدومه وإسلامه ، وأمره على بعض الجيش ، وجهزه للغزو ، توفي ليلة عيد الفطر سنة ٤٣هـ/٦٨٢م . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٣ /٥٥– ٧٧) .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٠ ، ٢٤٤) .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٤) .

حـدود الشـرع[1] فكـان حريصـاً علـى أن لا يعـزل نفسـه عـن الخطابـة ؛ لأنـه لا يخشـى منهـا الحيـف والجـور والظلـم للنـاس ، بـل كلهـا نصـح وإرشـاد وإنكـار للباطـل . فظـل مؤديـاً رسـالة ربـه حـتى وقعـت الحادثـة المشـهورة الـتي أقـام بهـا وزيـر السـلطان طبلخانـة[2] علـى ظهـر أحـد المسـاجد وسـكوت السـلطان عليـه ، فـأنكر العـز علـى السـلطان سـكوته مـن خـلال إسـقاطه لعدالـة الـوزير وهدمـه البنـاء بنفسـه – الـتي سـنعود إليهـا مفصـلاً فيمـا بعـد – هنـا تحركـت هـواجس السـلطان نجـم الـدين أيـوب تجـاه منصـب العـز وبخاصـة عنـدما قـام بعـض حاشـيته بتقـديم النصـيحة لـه بعـزل العـز عـن الخطابـة عنـدما قـالوا لـه : " أعزلـه عـن الخطابـة ، وإلا شـنع عليـك علـى المنـبر كمـا فعـل في دمشـق فعزلـه "[3] ، وذلـك خوفـاً مـن تمكنـه وزيـادة سـلطته كمـا فعـل أثنـاء خطابتـه في الجـامع الأمـوي بدمشق .

وقـد أخـذ السـلطان بـرأيهم فقـام بعزلـه دون أن يتعـرض للإسـاءة إليـه فـولاه التـدريس بالمدرسة الصالحية [4] .

٤- القضاء :

إن وظيفـة القضـاء مـن أسمـى الوظـائف الـتي حـرص كثـير مـن القضـاة المسـلمين مـن خلالهـا علـى إثبـات نزاهـة عملهـم ، وعلـو منـزلتهم ، كمـا اعتـنى الإسـلام بالقضـاء عنايـة

---

(١) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص٨٤ .

(٢) طبلخانـة : هـي طبـول متعـدّدة معهـا أبـواق وزمـر تختلـف أصـواتها علـى إيقـاع مخصـوص . القلقشـندي : صبح الأعشى (٤ /٧) .

(٣) الـذهبي : تـاريخ الإسـلام (٩٣٣/١٤) ؛ الصـفدي ، صـلاح الـدين خليـل بـن أيبـك (ت : ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) : الـوافي بالوفيـات ، تحقيـق : أحمـد الأرنـاؤوط وتركـي مصـطفى ، دار إحيـاء الـتراث ، بـيروت ، ١٤٢٠هـ ، (١٨ /٣١٩) .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات (١٨ /٣١٩) ؛ طبقات الشافعية (٨ /٢٤٤).

كاملة ، فكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول قاضٍ في الإسلام ، وكان القضاء الإسلامي مضرب المثل بتاريخ الأمم في النزاهة والعدل .

لم تجد الباحثة من خلال التراجم التي ترجمت للعز أنه تولى القضاء في دمشق باستثناء ما ذكره السبكي[1] عن رسالة ولد العز الشيخ عبداللطيف في أخبار والده أن السلطان الكامل لما حضر من مصر وحاصر أخاه إسماعيل بدمشق واستولى عليها منه ، ولى والده العز بن عبدالسلام التدريس بزاوية الغزالي بجامع دمشق ثم ولاه قضاء دمشق ، بينما أجد الداوودي يذكر أن السلطان الكامل ولّى الشيخ تدريس الزاوية الغزالية بجامع بني أمية ، وعزم على ولاية قضاء دمشق ، وإرساله في الرسالة إلى بغداد ، فمات دون إمضاء ذلك بدمشق[2]. فعبارة ولد العز تفيد أن والده تولى القضاء بدمشق ، بينما عبارة الداوودي تفيد أن العز لم يتولها .

ويرجح أحد الباحثين[3] أن العز تولى القضاء بدمشق خلال فترة زمنية قليلة لا تتجاوز شهرين ونصفاً تقريباً ، من أوائل جمادى الأولى سنة ٦٣٥هـ إلى ٢٢ رجب من السنة نفسها وهي فترة حكم الكامل لدمشق ، ولما حكم بعده الصالح إسماعيل لم يكن على وفاق مع العز ، ولم يرض أن يبقيه في القضاء لشدته وصرامته[4] ، وعلى هذا فيمكننا القول إن قصر فترة بقائه في هذا المنصب جعل أصحاب التراجم لا يذكرونه بين قضاة دمشق .

---

(١) طبقات الشافعية (٨ /٢٤٢)

(٢) الداوودي : طبقات المفسرين (١/٣٢٢) .

(٣) محمد بن إبراهيم الخليفه : العز بن عبدالسلام ومنهجه في الدعوة إلى الله ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة سابقاً (جامعة طيبة حالياً) ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ١٠٤ .

(٤) ولأنه حرم عليه اللعب بالبندق . السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤١ – ٢٤٢) .

واتضح أن العز لم يمارس القضاء وإنما تم تعيينه في عهد الكامل ثم مات الكامل ولم ينفذ الصالح إسماعيل هذا التعيين ، وذلك استناداً إلى قول الداوودي ولعله الأقرب للصحة [١] .

ولما هاجر العز بن عبدالسلام إلى مصر أسند إليه السلطان نجم الدين أيوب القضاء ، ولا شك أن هذا التعيين يعد تقديراً لمكانته ووفاء له وذلك بعد أن حاول الصالح إسماعيل الإساءة إليه . هذا وقد صادف وصول العز بن عبدالسلام إلى مصر وفاة قاضي القضاة شرف الدين بن عين الدولة[٢] وكانت وفاته في السابع عشر من ذي القعدة سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م[٣].

وعلى أي حال اختلفت المصادر في يوم توليه القضاء فذكر صاحب تاج المعارف[٤] أنه تولى في تاسع عشر ذي القعدة من سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م ، بينما ذكر أبو شامة[٥] والمقريزي[٦] أنه تولى في يوم عرفة من السنة ذاتها ، وعلق على ذلك

(١) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ٥٨ .

(٢) قاضي القضاة شرف الدين أبو المكارم محمد بن القاضي الرشيد عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي القاسم بن صدقة بن الصفراوي الإسكندراني ثم المصري االشافعي ، عرف بابن عين الدولة ، ولد بالإسكندرية سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ، قدم إلى القاهرة سنة ٥٧٣هـ/١١٧٨م ، وتفقه وسمع الحديث بمصر وروى عنه الحافظان المنذري وابن مسدى ، تولى قضاء القضاة بالقاهرة والوجه البحري وولي تاج الدين ابن الخراط مصر والوجه القبلي ثم لما صرف ابن الخراط جمع لابن عين الدولة العملان وذلك في سنة سبع عشرة وستمائة فلم يزل إلى أن عزل عن مصر والوجه القبلي بالقاضي بدر الدّين بن السنجاري في سنة تسع وثلاثين وبقي قاضياً بالقاهرة والوجه البحري فقط ، كان ديناً وفقيهاً فاضلاً أديباً ، توفي بمصر في السابع عشر ذي القعدة سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /١٠٥ - ١٠٦) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٦٣ - ٦٥)

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٦٥) .

(٤)أبي السعادات ، محمد بن أبي العباس بن محمد (ت : ٩٠٠هـ/١٤٨٥م) : تاج المعارف وتاريخ الخلايف ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٨ تاريخ تيمور ، ص ٢٥٠ .

(٥) الذيل على الروضتين ، ص ١٧٢ .

(٦) السلوك (١ /٤١١) .

أحـد البـاحثين[1] قـائلاً : " لا يعقـل أن يـدع السـلطان النـاس بـدون قـاضٍ مـابين السـابع عشر وهـو يـوم وفـاة قاضـي ابـن عـين الدولـه ويـوم عرفـة " ولعـل هـذا الباحـث لم يبعـد عـن جادة الصواب .

وأيـاً كـان تـأريخ ولايتـه يبقـى القـول بـأن العـز بـن عبدالسـلام حظـي بمنصـب قاضـي القضــاة[2] بمصـــر (الفســـطاط) والوجـــه القبلـــي (الصـــعيد) ، بينمـــا بقـــي القاضـــي السنجاري[3] على قضاء القاهرة والوجه البحري[4] .

وعنـدما تـولى العـز القضـاء كـان أهـلاً لـه حيـث اتسـم حكمـه بالعـدل بـين النـاس والمسـاواة بـين القـوي والضـعيف والصـرامة في تطبيـق الشـرع كمـا كـان علـى بينـة مـن الأمـر ودراية في فهم الشرع .

ولقـــد واجـــه العـــز بـــن عبدالســـلام حـــادثتين إبـــان ولايتـــه للقضـــاء جعلتـــه يضـــطر للاستقالة مرتين انتصاراً للحق والعدالة .

---

(١) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٨ .

(٢) قاضـي القضـاة : منصـب ديـني ودنيـوي إسـلامي ابتكـر خـلال العصـر العباسـي أيـام خلافـة هـارون الرشـيد بعـد أن ظهـرت الحاجـة الملحـة إلى فصـل السـلطة القضـائية عـن السـلطة التنفيذيـة بعـد أن ازدهـرت الدولـة الإسـلامية وتنوعـت مرافقهـا وتوسـعت وصـارت الحاجـة ملحـة إلى أن يتـولى كـل شـخص في الدولـة منصـباً إداريـاً مسـتقلاً عـن غـيره مـن المناصـب ، كـي يقـوم بواجبـه علـى أكمـل وجـه . عصـام بـن محمـد شـبارو : قاضي القضاة في الإسلام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص١٥.

(٣) القاضـي السـنجاري : بـدر الـدين أبـو المحاسـن يوسـف بـن الحسـين بـن علـي السـنجاري الشـافعي الـزرزاري ، ولـد سـنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م ،كـان صـدرًا محتشـمًا ، وجـوادًا مُمَـدَّحًا ، معروفـاً بقاضـي سِنْجار وتـولى قضـاء ديـار مصـر مِـرارًا ، وكانـت لـه سـيرةٌ معروفـة مـن أخـذ الرُّشـا مـن قُضـاة الأطـراف والشّـهود والمتحـاكمين ، تـوفي سـنة ٦٦٣هـ/١٢٦٤م . أبـو شـامة : الـذيل علـى الروضـتين ، ص٢٣٤ ؛ الـذهبي : تـاريخ الإسـلام (١٥ /٩٣) ؛ أبو الفداء : الكتاب: طبقات الشافعيين ص ٨٩٩ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٩٣٣) ؛ ابن حجر : رفع الإصر عن قضاة مصر (١ /٢٤٠) .

الحادثـة الأولى حادثتـه الشـهيرة والمعروفـة ببيـع أمـراء المماليـك[1] عنـدما اسـتقال العـز مـن منصـبة احتجاجـاً علـى تـدخل السـلطان في القضـاء ومحاولتـه تعـديل الحكـم الـذي أصـدره العـز علـى هـؤلاء الأمـراء ، فغضـب الشـيخ مـن السـلطان ، وخـرج مـن مصـر قاصـداً الشـام ، إلى أن خضـع السـلطان لحكمـه وترضـاه في العـودة إلى منصـبه[2]. وهـذا يـدل علـى كـبر مكانـة العـز بـن عبدالسـلام في قلـوب النـاس ، وهـذه الحادثـة لم تحصـل لأحد قبله ، وسوف نفصلها في الفصل القادم بإذن الله .

أمـا الحادثـة الثانيـة الـتي لم يعـد بعـدها إلى القضـاء ، فكانـت بسـبب حكمـه علـى وزيـر الدولـة الـذي بـنى طبلخانـة فـوق أحـد مسـاجد القـاهرة سـنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، منتهكـاً لقدسـية وحرمـة بيـت مـن بيـوت الله فحكـم العـز بهـدمها ونفـذه بنفسـه ، وأسـقط عدالـة الوزير في الشهادة وعزل نفسه من القضاء[3] .

– أخلاقه :

كـان العـز – يرحمـه الله – يمتلـك صـفات خُلقيـة كثـيرة ، تـدل في مجملهـا علـى تمتعـه بأنبـل الصـفات وأجمـل الخصـال ، تأسـياً بخُلـق الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – وامتثـالاً لقولـه : " إنمـا بعثـت لأتمـم مكـارم الأخـلاق "[4] ، ومـن أبـرز مـا اشـتهر بـه مـن صفات :

---

(١) لم يصـرح أحـد مـن المترجمـين لـه مـتى كانـت حادثتـه الشـهيرة ((بيـع أمـراء المماليـك)) ولم أجـد في المصـادر المتاحـة تـاريخ عزلـه ؛ وألمـح السـيوطي أن العـز بـن عبدالسـلام عـزل نفسـه بعـد أن أورد حادثـة بيعـة بيـع الأمـراء المماليك . حسن المحاضرة (٢ /١٦٣).

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٦ – ٢١٧) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١١) . سيأتي الحديث عن هذه الحادثه فيما بعد .

(٤) رواه الإمـام أحمـد ؛ الطـبراني ، أبـو القاسـم سـليمان بـن أحمـد بـن أيـوب بـن مطـير اللخمـي الشـامي (ت : ٣٦٠هـ/٩٧١م) : المعجـم الأوسـط ، تحقيـق : طـارق بـن عـوض الله بـن محمـد وعبدالمحسـن بـن إبـراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ ، (٧ /٧٤) .

١- الورع[١] :

وهو من الصفات الإسلامية الحميدة التي يدعو إليه الدين ، وينال صاحبها منها الأجر الكبير ، كان العز ورعاً ، تقياً ، وظهر هذا من مواقف عديدة أبرزها : قصة طلبه للعلم ، ونومه في الكلاسة كما - ذكرنا سابقاً - ، واتضح ورعه أيضاً في قصته : لما مرض أرسل له السلطان الظاهر بيبرس ، قال له : عين مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال الشيخ بلغة المؤمن الورع : مافيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين ابن بنت الأعز[٢] ، أحد تلاميذه ، ففوضت إليه[٣] .

ليس معنى ذلك أنه لم يكن في أبنائه من يصلح للتدريس ، فابنه عبداللطيف[٤] كان عالماً فقيهاً ، وإنما لم يسمح ورع العز أن يجعل منصب التدريس وراثة لأولاده .

٢- الزهد[٥] :

اتصف به الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح بالزهد ، فرأوا الحياة الدنيا متاعاً قليلاً ، وأيقنوا أنها ممرٌ وليست مقراً ، هادفين إلى نعيم الآخرة ، باحثين عن مرضاة الله .

فقد كان العز شديد الزهد ، لم يجمع من الدنيا إلا القليل ، يدل على ذلك موقفه عندما هاجر من دمشق ، لم يحمل معه شيئاً من حطام الدنيا ، أو ماكدَّسه من

---

(١) الورع : هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع بالمحرمات وقيل : ملازمة الأعمال الجميلة . الجرجاني ، الشريف علي بن محمد علي (ت : ٨١٦هـ/١٤١٣م) : التعريفات ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦هـ ، ص١١٠ .

(٢) سنذكر تعريفاً لسيرته ضمن تلاميذ العز في المبحث الثاني من هذا الفصل ، ص ٩٧.

(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (١٧٤/٢) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٩٣٣) .

(٤) سأدرج ترجمة له في المبحث الثاني من هذا الفصل ، ص ٩٣.

(٥) قال ابن الجلاء عنه : " الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها " . ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت :٧٥١هـ/١٣٤٩م) : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣م ، (٢ /١١) .

مناصب وأعمال ، وموقفه لما استقال من القضاء عند فتواه ببيع أمراء المماليك ، ورفض السلطان لذلك ، فخرج من القاهرة حاملاً كل أمتعته وأسرته على حمار واحد ، مما يدل على قناعته بالقليل ، وزهده في المال والمتاع[1] .

٣- التواضع :

كان متواضعاً بعيداً عن التعالي والتكبر ، فقد كان مظهره بسيطاً ، بعيداً عن التكلف على الرغم من الهيبة التي حظي بها ، من السلاطين والأمراء ، لم يتكلف في لباسه قط ، فكان يلبس مرة العمامة ومرة قبعه من لبّاد ، ويحضر بها المناسبات ، قال عنه السبكي[2] : " إنه كان يلبس العمامة ، وبلغني أنه كان يلبس قبعة لباد ، وأنه كان يحضر المواكب السلطانية بها ، فكأنه كان يلبس هذا تارة ، وتارة هذا ، على حسب ما يتفق من غير تكلفة " .

٤ – السخاء والبذل :

كان كثير الصدقات رغم فقره وهذا يؤكد صفة الزهد فيه ، وهو متعاطفٌ مع الفقراء كثير التصدق عليهم يدل على ذلك مارواه السبكي : أنه كان مع فقره كثير الصدقات ، وأنه ربما قطع من عمامته، وأعطى فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غير عمامته[3] . وحكي أنه لما كان الشيخ بدمشق وقع مرة غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل ، فأعطته زوجته مصاغاً لها ، وقالت : اشتر لنا بستاناً نصيّف به ، فأخذ ذلك المصاغ وباعه ، وتصدق بثمنه ، فقالت : ياسيدي ..

(١) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ؛ نهى حسام الدين السيد : العز بن عبدالسلام ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

(٢) طبقات الشافعية (٢١٤/٨) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٢١٤/٨) ؛ الداوودي : طبقات المفسرين (٣١٠/١) .

اشـتريت لنـا ؟ قـال : نعـم ، بسـتاناً في الجنـة ، إني وجـدت النـاس في شـدة فتصـدقت ، قالت له : جزاك الله خيراً[١] .

٥- صلابته في الدين :

كـان شـديداً في مـواطن الشـدة ، رحيمـاً في مـواطن الرحمـة ، وكـان جريئـاً في قـول الحـق ، لايخـاف في الله لومـة لائـم ، وهـو يسـتمد جرأتـه مـن ثقتـه بـالله ، ثم يضـعها في مواطنهـا المطلوبـة حـتى مـع السـلاطين مهمـا كانـت درجـة هيبـتهم وقـوتهم ، دل علـى هـذا ماحـدث في يـوم العيـد حيـث خـرج موكـب السـلطان يجـوب شـوارع القـاهرة ، والنـاس مصـطفون علـى جوانـب الطريـق ، والسـيوف مسـلطة ، والأمـراء يقبلـون الأرض بـين يـدي السـلطان هيبـةً وأبهـةً ، وهنـا وقـف العـز بـن عبدالسـلام ، وقـال : يـا أيـوب[٢] ، هكـذا باسمـه مجـرداً مـن أي لقـب ، فالتفـت أيـوب الحـاكم الجبـار القـوي ! لـيرى مـن هـذا الـذي يخاطبـه باسمـه الصـريح ، وبـلا مقـدمات ، وبـلا ألقـاب ، ثم قـال لـه العـز بـن عبدالسـلام : مـا حجتـك عنـد الله عـز وجـل غـداً إذا قـال لـك : ألم أبوئـك ملـك مصـر ، فأبحـت الخمـور ؟ فقـال السـلطان : أو يحـدث هـذا في مصـر ؟ قـال : نعـم ، في مكـان كـذا وكـذا حانـة يبـاع فيهـا الخمـر ، وغيرهـا مـن المنكـرات ، وأنـت تتقلـب في نعمـة هـذه المملكـة ، فقـال : يـا سـيدي أنـا مـا فعلـت ، إنمـا هـو مـن عهـد أبي ، فهـز العـز بـن عبدالسـلام رأسـه ، وقـال : إذاً أنـت مـن الـذين يقولـون : ﴿ إِنَّـا وَجَـدْنَآ آبَاءَنَـا عَلَـىٰ أُمَّـةٍ ﴾[٣] ، فقال : لا ، أعوذ بالله ، وأصدر أمراً بإبطالها فوراً ، ومنع بيع الخمور في مصر[٤] .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٢١٤/٨) .

(٢) المقصود به الصالح نجم الدين أيوب .

(٣) سورة الزخرف : آية ٢٢ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٢١٢/٨) .

٦- إزالته للبدع :

كـان العـز متمسـكاً بدينـه ، متبعـاً لسـنة نبيـه - صـلى الله عليـه وسـلم - ، وهـو شـديدٌ في الإنكـار علـى المبتـدعين ، وأعلـن حربـه علـى البـدع والمنكـرات حـتى عـرف بذلك .

وصـفه أبـو شـامة[1] بقولـه : " ناصـر السـنة وقـامع البدعـة " . فقـد أزال كثـيراً مـن بـدع الخطبـاء في المسـاجد ، كلـبس السـواد ، ودق السـيف علـى المنـبر ، والتسـجيع في الخطبـة ، واجتنـب الثنـاء علـى الملـوك والحكـام ، بـل كـان يـدعو لهـم ، وأنكـر مـن بـدع عـوام المسـلمين صـلاتي الرغائـب[2] ونصـف شـعبان[3] ، ومنـع إقامتهـا بالجـامع الأمـوي ؛ لأنـه لم يـرد فيهـا سـنة صـحيحة عـن الرسـول - صـلى الله عليـه وسـلم - وتكلـم العـز بـن عبدالسـلام عـن البـدع في كتابـه «قواعـد الأحكـام » فعرفهـا بقولـه : " البدعـة فعـل مـا لم يعهد في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - "[4] ثم قسمها وبين حكم كل قسم .

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٧٠ .

(٢) صـلاة الرغائـب : هـي اثنتـا عشـرة ركعـة تصـلى بـين العشـائين أو خمـيس رجـب ولهـا قـراءة وتسـبيح خـاص يخـالف غيرهـا مـن الصـلوات ، وانتشـرت في بيـت المقـدس منـذ سـنة ٤٤٨هـ/١٠٩٥م إذ قـام رجـل مـن نـابلس يعـرف بـابن الحـي ، وكـان حسـن الـتلاوة بالصـلاة في المسـجد الأقصـى ، فـأحرم خلفـه رجـل ثم انضـاف ثالـث ورابـع ، فمـا خـتم إلا وهـم جماعـة كثـيرة ، ثم جـاء العـام القابـل فصـلى معـه خلـق كثـير وانتشـرت في المسـجد الأقصـى وبيـوت النـاس واسـتقرت كأنهـا سـنة ، ثم انتشـرت بمصـر . الأدفـوي ، أبـو الفضـل كمـال الـدين جعفـر (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : الطـالع السـعيد الجـامع أسمـاء نجبـاء الصـعيد ، تحقيـق : سـعد محمـد بـن حسـن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ٧٢٢ .

(٣) صـلاة النصـف مـن شـعبان : هـي صـلاة تـؤدى ليلـة الخـامس عشـر مـن شـعبان ، وكيفيتهـا أن يصـلي مائـة ركعـة كـل ركعتـين بتسـليمة يقـرأ في كـل ركعـة بعـد الفاتحـة قـل هـو الله أحـد إحـدى عشـرة مـرة وإن شـاء صـلى عشـر ركعـات يقـرأ في كـل ركعـة بعـد الفاتحـة مائـة مـرة قـل هـو الله أحـد . وقـال الحـافظ حـديث صـلاة ليلـة نصـف شـعبان حـديث باطـل وإسـناده ضـعيف . الغـزالي ، أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطوسـي (ت : ٥٠٥هـ/١١١١م) : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت ، (١ /٢٠٣) .

(٤) العز بن عبدالسلام : قواعد الأحكام (٢ /٢٠٤) .

٧- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر :

كان دائم الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى طال في نهيه الوزراء والسلاطين ، واعتبره من الواجبات الشرعية التي يأثم تاركها ، فأنكر على السلطان الأشرف تساهله مع وزرائه وحكامه الذين يرتكبون الآثام ، ويجورون على الرعية بفرض ضرائب متنوعة وإباحة الخمور في بعض المحلات ، ولم يكن ينتظر أوامر السلطان أو موافقته على إزالة المنكر ، وأفتى أن المستضعفين الذين اغتصب بعض الأقوياء ومن أصحاب السلطان حقوقهم يجب أن يسترجعوها وينتزعوا ما اغتصب منهم ولا عقاب عليهم فبهذا حقهم الشرعي[1] ، وكانت هذه الصفة من أهم الصفات التي ميزته عن غيره من العلماء .

هذه بعض الصفات التي تحلى بها العز بن عبدالسلام ، التي تدل على التوافق بين قوله وفعله ، حيث كان العز يطبق أخلاق القرآن ، وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، على نفسه ، ويدعو بها غيره ، تمثل فيه حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم- : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " [2] . جاهد بالعلم واللسان والبيان ولم يكتف بهذا بل أنفق ماله في سبيل الله ، وجاهد بنفسه فخرج مع العساكر والجيش لملاقاة الفرنج .. فكان خير مثال للعالم العامل بعلمه .

- وفاته :

عاش العز حياة حافلة بالتضحيات والبذل ، والجهاد في سبيل نصرة الإسلام ، توفي سنة (٦٦٠هـ) باتفاق المؤرخين وعلماء التراجم والطبقات ، ولكنهم اختلفوا في

---

(١) عبدالمنعم الهاشمي : العز بن عبدالسلام سلطان العلماء ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص ٧١ .

(٢) الإمام مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسأبوري (ت : ٢٦١هـ/٨٧٤م) : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، (٣ /١٥٢٣) .

يـوم وفاتـه ، فقـد ذكـر السـبكي[1] عـن ولـد العـز عبـداللطيف : " أن وفـاة الشـيخ في تاسـع جمـادى الأولى " ، وذكـر في روايـة أخـرى : " تـوفي في العاشـر مـن جمـادى الأولى "[2].

ووافـق بـين الـروايتين ابـن رافـع السـلامي[3] نـاقلاً عـن الحـافظ الـدمياطي تلميـذ العـز بقولـه : " وتـوفي يـوم السـبت تاسـع جمـادى الأولى (٦٦٠هـ) ، ودفـن مـن الغـد بسـطح المقطـم[4] حضـرت ذلـك " وهـذه الروايـة مـن أدق الروايـات وأضـبطها وأوثقهـا ، إذ توافـق روايـة ولـد العـز مـن جهـة وتفوقهـا في التفصـيل ، وقـد اشـتهر اليـوم العاشـر لوفـاة العـز ؛

---

(١) طبقات الشافعية (٨/٢٤٥) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٤٨) .

(٣) تاريخ علماء بغداد ، ص١٧٠ .

(٤) وصـفت إحـد الباحثـات ضـريح العـز بـن عبدالسـلام بأنـه يقـع في منطقـة البسـاتين بـالقرب مـن جبانـة التونسـي وجبانـة الإمـام الليـث وهـو الآن في حالـة خربـة وإن كانـت بقايـاه تـدل علـى أنـه يشـبه إلى حـد كبـير مـن الناحيـة المعماريـة القبـاب الـتي أقيمـت في أوائـل العصـر المملـوكي ، مثـل قبـة شـجر الـدر وقبـة الأشـرف خليـل بـن قـلاوون وقبـة الخلفـاء العباسـيين وكلهـا ترجـع إلى النصـف الثـاني مـن القـرن السـابع الهجـري ، ويتكـون ضـريح العـز بـن عبدالسـلام مـن مربـع كبـير يبلـغ طـول ضـلعه ١٥ مـتراً ومـن المرجح أنـه مغطـى بقبـة مرتفعـة مثـل القبـاب السـالفة الـذكر ، وبحـائط القبـة توجـد خمسـة محاريـب أكبرهـا يتوسـط الحـائط واثنـان علـى كـل جانـب وفي وسـط الضـريح توجـد مقـبرة عليهـا بنـاء مرتفـع لعلـه كـان مغطـى بتـأبوت خشـبي كمـا هـي العـادة في ذلـك الوقـت . سـعاد مـاهر محمـد : مسـاجد مصـر وأولياؤهـا الصـالحون ، المجلـس الأعلـى للشـؤن الإسـلامية ، القـاهرة ، ١٩٧١م ، (٢ /٢٨١) . وهنـا لفتـة مـن حكـم بنـاء الأضـرحة والمقامـات علـى القبـور فهـو لا يجـوز شـرعاً ، وإنمـا يـدفن جميـع المـوتى في المقـابر ، وفـق سـنة النـبي – صـلى الله عليـه وسـلم – ، لا أن يـدفن بعضـهم دون بعـض في المسـاجد ، أو يبـنى علـى قبـورهم قبـاب ، أو مسـاجد ، كمـا يفعـل في بعـض الأمـاكن ، بحجـة أن هـؤلاء أوليـاء صـالحون .... إلخ ، وقـال الإمـام ابـن القـيم : " ولم يكـن مـن هديـه – صـلى الله عليـه وسـلم – تعليـة القبـور ولا بناؤهـا بـآجر ، ولا بحجـر ولـبن ، ولا تشـييدها ، ولا تطيينهـا ، ولا بنـاء القبـاب عليهـا ، فكـل هـذا بدعـة مكروهـة ، مخالفـة لهديـه – صـلى الله عليـه وسـلم – وقـد بعـث علـي بـن أبي طالـب – رضـي الله عنـه – إلى الـيمن ، ألا يـدع تمثـالاً إلا طمسـه ، ولا قـبراً مشـرفاً إلا سـواه" . ابـن قـيم الجوزيـة : زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد ، مؤسسـة الرسـال ة، بـيروت – مكتبـة المنـار الإسـلامية ، الكويـت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، (١/ ٥٠٤- ٥٠٥) .

لأنه يوم دفنه ، وهو يوم مشهود ، حضر جنازته الخاص والعام من أهل مصر ، ونزل الظاهر بيبرس بشخصه إليها ، ودفن في آخر القرافة[1] على سطح جبل المقطم من ناحية البركة ، وحكي أنه صلي عليه صلاة الغائب في أقطار شتى كمصر والشام واليمن وغيرها[2] .

المبحث الثاني : آثاره العلمية .

- شيوخه وأثرهم فيه :

لقد تتلمذ الإمام العز على أكابر علماء عصره الذين يجمعون بين العلم والعمل ، فضلاً عن الصلابة بالدين ، والجرأة على قول الحق . ومنهم :

١- عبداللطيف بن شيخ الشيوخ :

هو أبو الحسن عبداللطيف بن إسماعيل بن أبي سعد البغدادي ، المعروف بابن شيخ الشيوخ ، ولقبه ضياء الدين ، ولد سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م) ، وسمع الحديث من والده أبي البركات إسماعيل ، ومن قاضي المارستان وآخرين ، كان صالحاً ثقة صوفياً ، وكان شيخ الرباط الذي بالمشروعة شرقي بغداد ، حج ثم سافر إلى مصر والقدس والخليل ، وقدم دمشق وتوفي فيها سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) ، وسمع منه العز الحديث[3] .

---

(١) القرافة : هي مقبرة أهل مصر بها أبنية جليلة ومحالّ واسعة وسوق قائمة ومشاهد للصالحين وترب للأكابر. ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ / ٣١٧) .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٢١٦ ؛ الكتبي : فوات الوفيات (٢/٣١٥) .

(٣) أبو شامه : الذيل على الروضتين ، ص١٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٠٩) ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (٦/١٥٩) .

٢- بركات الخشوعي:

هو أبوطاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الخشوعي ، مسند الشام في وقته ، كان حافظاً واعياً ، شارك ابن عساكر في كثير من مشائخه سماعاً بدمشق ، وكان لقاء الإمام العز به مبكراً حيث تلقى عليه العلوم في أيامه الأولى ، فحضر دروسه ، وسمع منه الحديث ، توفي سنة (٥٩٨هـ/١٢٠١م)[١] .

٣- القاسم بن عساكر :

هو الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن عساكر ، ولد سنة (٥٢٧هـ/١١٣٣م) ، وهو من أسرة علم اشتهرت بالفضل والحفظ ، سمع الحديث بدمشق من علمائها وأجازه أكثر الشيوخ ، كتب الكثير حتى أنه كتب تاريخ والده «تاريخ دمشق» مرتين ، وأملى كثيراً وحدّث وسمع منه خلق كثير ، وكان ناصراً السنة مجداً في إماتة البدع ، دخل مصر وانتفع به أهلها ، وله كتاب «فضل المدينة» و«فضل المسجد الأقصى» و«الجهاد» سمع العز منه الحديث وانتفع به في منهجه وسلوكه ، توفي سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) بدمشق[٢] .

٤- حنبل الرصافي :

هو أبو علي حنبل بن عبدالله بن الفرج بن سعادة ، المكبر بجامع المهدي بالرصافة ، ولد سنة ٥١٠هـ/١١١٦م ، كان فقيراً جداً في أول حياته ثم حصل مالاً طائلاً ، وسمع مسند الإمام أحمد من ابن الحصين وعمره تسعون سنه وهو آخر من رواه عنه ، ورحل من بغداد إلى إربل والموصل ودمشق وأسمع المسند بهذه البلاد ،

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٢٨ ؛ الذهبي : دول الإسلام (١٠٧/٢) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (٣٢/١٣) .

(٢) اليافعي : مرآة الجنان (١٥٣/٤) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٢٠٩/٨) ؛ ابن كثير: البداية والنهاية (٣٨/١٣) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (١٨٦/٦) .

وكان السلطان المعظم عيسى بن العادل يسمع منه الحديث في الكلاسة مع الجمع الكثير ، ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ، وسمع العز بن عبدالسلام الحديث منه[١] .

٥- عمر بن طبرزد :

هو أبو حفص عمر بن محمد بن يحيي المعروف بابن طبرزد[٢] ، البغدادي ، ولد سنة (٥١٦هـ/١١٢٣م) ، سمع الحديث من عدد من علماء بغداد ، ورحل إلى الآفاق ، وأسمع الحديث ، وسماه ابن كثير « شيخ الحديث » ، توفي سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) ، وسمع العز منه الحديث[٣].

٦ - جمال الدين الحرستاني :

هو جمال الدين ، أبو القاسم ، عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبدالواحد الخزرجي الأنصاري الدمشقي ، قاضي دمشق ، المعروف بابن الحرستاني ، أحد الأجلة من الفقهاء البارعين الزاهدين الورعين في المذهب الشافعي ، ولد سنة

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٦٢ ؛ الذهبي : تاريخ دول الإسلام (٢ /١١١) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٠٩)

(٢) الطبرزد : السكر ، فارسي معرب حكاه الأصمعي . ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت : ٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، (١ /٣٣) ؛ الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني (ت : ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) : تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، (٣ /١٢) .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٧٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٠٩) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٢٤ – ٢٥) .

(٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، سمع الحديث وتفرد بالرواية عن أكثر شيوخه[1] ، قال عنه السبكي[2] : عُمِّرَ دهراً طويلاً ، وكان أسند شيخ في هذه الديار .

تتلمذ عليه الشيخ العز بن عبدالسلام ، وسمع منه الحديث ، وأخذ عنه الفقه ، ثم انتقل إلى الشيخ فخر الدين بن عساكر ، وسئل العز عنهما ، فرجح ابن الحرستاني ، وقال : مارأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني ، وقال عنه : إنه كان يحفظ «الوسيط» للغزالي[3] ، قال عنه السبكي[4] : " كان صارماً ، عادلاً ، على طريقة السلف في لباسه وعفته " ، فقد تأثر العز بعدله وصرامته في تطبيق الحق ، كما تأثر به في فقهه ويتضح ذلك جلياً من مواقف العز ، توفي سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م[5] .

٧- فخر الدين بن عساكر :

هو أبو منصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن هبة الله بن الحسين الدمشقي ، الملقب فخر الدين ، والمعروف بابن عساكر ، شيخ الشافعية بالشام ، ولد سنة (٥٥٠هـ/١١٥٥م) ، وهو من أسرة اشتهرت بالعلم والفضل ، تفقه بدمشق ، وسمع الحديث من عميه[6]، وله تصانيف كثيرة في الفقه والحديث وغيرهما ، كان فقيه زمانه ، ومحدثاً صالحاً ، ورعاً ، زاهداً امتنع عن القضاء عندما طلبه

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٠٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /١٩٦) ؛ ابن كثير : طبقات الشافعية ، تحقيق : عبدالحافظ منصور ، دار المدار الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، ص ٧٣٢.

(٢) طبقات الشافعية (١٩٨/٨) .

(٣) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٠٦ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٩٣٣) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٠٩) .

(٤) طبقات الشافعية (٨ /١٩٩) .

(٥) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ؛ ابن كثير : طبقات الشافعية ، ص ٧٣٣ – ٧٣٤ .

(٦) وهما : الإمامان ، الحافظ الكبير أبو القاسم ، والصائن هبة الله بن عساكر .

السلطان العادل لذلك ، وعرضت عليه مناصب ولايات دينية أخرى فأباها وكان قوياً في الحق لا يهاب سطوة ظالم ، فكان ينكر على الملوك والأمراء ، لازمه العز بن عبدالسلام كثيراً وأخذ منه الفقه والحديث ، وتأثر به في علمه وزهده وسلوكه ، توفي سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٢م)[١].

٨- سيف الدين الآمدي :

هو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي ، أبو الحسن ، الفقيه الشافعي ، الأصولي ، المعروف بسيف الدين الآمدي ، ولد سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) بمدينة آمد[٢] ، وقرأ بها القرآن ، وحفظ كتاباً في مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ثم قدم بغداد وتفقه بها المذهب الحنبلي ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وتعلم في الشام والقاهرة ، وتولى التدريس فيهما ، وكان متقناً لعلم الخلاف والنظر وأصول الفقه وأصول الدين ، والفلسفة ، وكان حسن الأخلاق فصيح اللسان ، بارع البيان ، وله تصانيف فاقت العشرين كلها منقحة وحسنة ، منها « الأبكار » في أصول الدين و« الأحكام » في أصول الفقه[٣] .

تتلمذ على يديه شيخنا العز ، واعترف بفضله ، وأثنى عليه ، وكان يعظمه ، وقال عنه : " ماتعلمنا قواعد البحث إلا منه " ، وقال : " ماسمعت أحداً يلقي الدرس أحسن منه ، كأنه يخطب " ، وقال : " لو ورد على الإسلام متزندق يشكك ماتعين

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٣٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٢ /٣١٦) ؛ السبكي: طبقات الشافعية (١٧٧/٨-١٨٧) .

(٢) آمد : هو بلد قديم حصين ركين مبنيّ بالحجارة السّود على نشز دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال ، وفي وسطه عيون وآبار ، وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور ، وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدرا وأشهرها ذكرا . ياقوت الحموي : معجم البلدان (١ / ٥٦) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٢٩٣/٣) أبو الفداء : المختصر (٣ /١٥٥) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٣٠٦/٨- ٣٠٧) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٢٨٥/٦)

لمناظرته غيره " ، ودرس العز أصول الفقه عليه ، واستفاد منه كثيراً وتأثر به ويبدو ذلك من كتاب العز «قواعد الإحكام في مصالح الأنام » الذي يُعد من أمهات كتب أصول الفقه ، ومن أهم مصادره الأصليه ، توفي سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م)[١].

هؤلاء هم أهم شيوخ العز الذين أخذ عنهم العلم ، وذكرتهم كتب التراجم والتاريخ في سيرته ، وقد تأثر العز بالثلاثة الأول منهم كثيراً حيث استفاد منهم وتخرج عليهم ، وتأثر بسلوكهم ومنهجهم في الدعوه ، أما الشيوخ الآخرون فقدسمع منهم الحديث ، ولاشك أن شيوخه أكثر من ذلك بكثير وأنه أخذ العلم عن علماء دمشق التي كانت محط الرحال بين المشرق العربي ومغربه ، كما أخذ عن علماء بغداد ، واكتسب الكثير من علماء مصر بعد هجرته إليها ، وتأثر العز بشيوخ لم يلتق بهم ؛ لأنهم ماتوا قبل ولادته بزمن ؛ لكنه درس كتبهم فتأثر بها واستفاد منها وضمّن كتبه بأقوال منها ، ومن أهم هؤلاء :

أبو الحسن الماوردي :

هو علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي نسبة إلى صناعة ماء الورد وبيعه الذي اشهرت به أسرته ، ولد سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) ، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم ، له مصنفات كثيرة منها « الأحكام السلطانية» و «الحاوي » و« الإقناع » في الفقه ، توفي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ببغداد ، وعمره ٨٦ سنة[٢].

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان (٢٩٤/٣) أبو الفداء : المختصر (٣ /١٥٥) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٣٠٧/٨) .

(٢) الكتاني ، أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي (ت : ٤٦٦هـ/١٠٧٤م) : ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق : عبدالله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤٠٩هـ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان (٢٨٢/٣) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٦٤/١٨ – ٦٨) ؛ فؤاد بن عبدالمنعم أحمد : أبو الحسن الماوردي وكتابه (نصيحة الملوك) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م ، ص٥ .

– تلاميذه وأثره فيهم :

نظراً لكون الإمام العز من كبار علماء عصره ، فقد توافد عليه أفاضل الطلبة من جميع البلدان ، وتخرج عليه فحول العلماء ، وتعلق به الخاصة والعامة ، ساعد على ذلك تفرغه للتدريس والتعليم وإلقائه الدروس على المسلمين ، كما انتفع الناس من خطبه وحلقاته ووعظه ، وكثيراً ممن تخرجوا على يده تقلدوا مناصب عالية في زمانهم ، ومن أهم تلاميذه الذين نهلوا من علمه وتربوا على يديه هم :

١– شهاب الدين أبو شامة :

عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ، أبو القاسم ، شهاب الدين المقدسي الدمشقي ، المعروف بأبي شامة ؛ لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر ، ولد سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م) ، ختم القرآن وهو دون العشر ، وتفقه على العز ، ولازمه ، وحفظ كثيراً من أخباره ، أتقن الفقه ، واعتنى بالحديث ، درّس وأفتى وبرع في العربية ، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية[١] ، قال عنه الأسنوي[٢] : " كان عالماً راسخاً في العلم فقيهاً مقرئاً محدثاً نحوياً ، يكتب الخط المليح المتقن ، وفيه تواضع " .

كان مؤرخاً لأحداث عصره وماقبلها له مصنفات كثيرة منها : كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » و « الذيل عليه » ، توفي سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م)[٣] .

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م (١٦٨/٤) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (١٦٥/٨) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (٢٥٠/١٣) ؛ السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة عيسى البأبي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، (٧٧/٢) .

(٢) طبقات الشافعية (١١٨/٢) .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ (١٦٨/٤) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (١٦٥/٨) .

٢- تاج الدين بن بنت الأعز :

هو أبو محمد ، عبد الوهاب خلف بن بدر العلامي ، قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز المصري الشافعي ، المعروف بابن بنت الأعز ؛ لأن جده لأمه الأعز بن شكري وزير السلطان الكامل ، والعلامي : نسبة إلى علامة وهي قبيلة من لخم ، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٤ هـ/١٢٠٧م ، وسمع الحديث من جعفر الهمذاني ، وقرأ سنن أبي داود على الحافظ زكي الدين المنذري[١] .

كان رجلاً عالماً فاضلاً ذكي الفطرة صحيح الذهن عفيفاً نزيهاً حسن السيرة ذا رأي سديد ، وذهن ثاقب ، وعلم جم ، ولي القضاء بالديار المصرية والوزارة ونظر الدواوين وتدريس الشافعية والصالحية ، ومشيخة الشيوخ[٢] ، والخطابة ، لم تجتمع هذه المناصب لأحد قبله ، وكان يقال : إنه آخر قضاة العدل ، واتفق الناس على عدله وخيره ، وصلابته في الدين[٣] ، وحرصه على التثبت في الأحكام ، وأنه لا يراعي في الحق أحداً ، ولا يقبل شهادة الأمراء عندما يشهدون عنده ، لعدم ثبوت الأهلية المطلوبة منهم شرعاً عنده[٤] .

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٢٤٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٣١٨ ، ٣٢٢ – ٣٢٣) ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية (١ /٧٧) .

(٢) مشيخة الشيوخ : هي وظيفة يتولاها العالم أو القاضي من قبل السلطان أو نائبه ، ويكون مسؤولاً عن جميع الأربطة والخوانق ومن فيها . القلقشندي : صبح الأعشى (٤ /٢٠٠) ؛ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٣٦٦ .

(٣) النويري : نهاية الأرب (٣٠ /١١٧) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٥ /١١٦) ؛ محمد الرحيل غرايبة : تعدد منصب قاضي القضاة في العصر المملوكي وآثاره (٦٦٣هـ/١٢٦٥م /٩٢٢هـ – ١٥١٧م) ، حوليات كلية الشريعة واللدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، العدد ١٣ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام (١٥ /١١٦) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٣١٨) .

كان العز يحبه ويقدره ، حيث أسند إليه منصب قاضي القضاة بعد أن عزل نفسه منه ، وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية عند مرضه لما طلب منه الظاهر بيبرس أن يعين أحد أولاده ، فقال : ليس فيهم من يصلح لذلك ، وهذه المدرسة للقاضي تاج الدين بن بنت الأعز[1]

له مواقف مشهورة في القضاء مع السلطان الظاهر بيبرس الذي جعل القضاة أربعة حسب المذاهب بسبب ذلك في مصر سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م ، وفي الشام سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م[2] .

والمواقف التي أظهرت تأثر شخصية تاج الدين بن بنت الأعز بالعز بن عبدالسلام دفاعه عن الشعب ضد ظلم الحكومة في فرض الضرائب الذي جرت العادة على أن تؤخذ من أملاك الناس كل سنة ، أجرة شهر أو شهرين فأبطل هذه الضرائب وساهم في التخفيف عن كواهل الناس ما أثقلها . وقد ذكر هذا صاحب كتاب نزهة الناظرين[3] : " من حسنات تاج الدين بن بنت الأعز هذا ، أنه كانت العادة جرت من عهد طورق التتر البلاد ، أنه يؤخذ من أملاك الناس في كل سنة ، أجرة شهرين فقام تاج الدين في وزارته في ذلك حق قيام حتى أبطله ، فبطل عن بلاد مصر الآن ".

فقد تأثر تاج الدين ابن بنت الأعز بشيخه العز بن عبدالسلام في حرصه على إحقاق الحق ، وحفظ حقوق العباد ، وقد كان ذا هيبة عند السلاطين ، برز في

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (١٧٤/٢) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٩٣٣) .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (١٥٥/٢) ؛ النويري : نهاية الأرب (٣٠ /٦٥ – ٦٦) ؛ علي بن أحمد : القضاء في عصر المماليك ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٨٧ – ٨٨ ، أيلون –كانون أول ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ؛ محمود محمد عرنوس : تاريخ القضاء في الإسلام ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

(٣) الكرمي ، مرعي يوسف بن أبي بكر (ت : ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م) : نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ، تحقيق : أميرة فهمي محمد دبابسة ، جامعة النجاح ، نابلس ، ٢٠٠٠م ، ص ٧٧ .

القضاء وظهرت شدته فيه ، وأُثْنِيَ عليه بهذا الشأن ، فعن بعض الكبار في عصره ، أنه قال : " قاضيان حجة الله على القضاء : ابن بنت الأعز ، وابن البارزي قاضي حماة "[1] ، توفي سنة ٦٦٥ هـ/١٢٦٧م ، بالقاهرة[2] .

٣- صدر الدين بن بنت الأعز :

عمر بن عبدالوهاب بن خلف العلامي ، ابن قاضي القضاة تاج الدين ، ولد سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) ، وسمع من الحافظ عبدالعظيم المنذري وغيره من شيوخ عصره . أخذ الفقه والأصول عن العز بن عبدالسلام ، وتأثر به فكان إماماً عادلاً ورعاً وقاضياً صارماً شديداً على الظلمة والطغاة ، ثم عزل نفسه عن القضاء واقتصر على التدريس ، توفي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)[3].

٤- تاج الدين الفركاح :

عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفرازي ، الملقب بتاج الدين ، المعروف بالفركاح ؛ لأعوجاج في رجليه ، ولد سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م) ، تفقه على العز بن عبدالسلام ، وسمع من ابن صلاح ، وهو فقيه أهل الشام ، وكان إماماً مدققاً نظاراً ، كان العز يسميه «الدويك» لحسن بحثه ، له مصنفات منها كتاب «الإقليد لدُر التقليد » و «شرح الورقات» لإمام الحرمين في أصول الفقه ، توفي سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)[4] .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٣١٩) .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٢٤٠ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٣١٨ ، ٣١٩) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٣١٠/٨) ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية (١٥٠/١) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (٢٩٧/١٣) .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات (٢٦٣/٢-٢٦٥) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (١٦٣/٨) .

٥- ابن زيتون :

هو أبو أحمد بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرفيع اليمني المالكي الشهير بابن زيتون ولد سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م ، تفقه بتونس ثم رحل إلى المشرق مرتين ، وتفقه على عز الدين بن عبدالسلام ، كما تفقه على علماء عصره ، ثم رجع إلى تونس وولي منصب قاضي القضاة فعظم أمره وانتفع به الناس ، توفي سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م ودفن في تونس[١] .

٦- عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام :

ابن الشيخ العز بن عبدالسلام ، ولد سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) ، فطلب الحديث بنفسه ، وقصد الشيوخ وأخذ عنهم ، وتفقه على والده ، وتميز في الفقه والأصول حتى صار فقيهاً ، وكان يعرف تصانيف والده معرفة حسنة كما يدرس سيرته ، وكتب جانباً من ذلك ، مما نقل عنه العلماء ، واقتبس كثيراً منه السبكي وغيره ، توفي سنة (٦٩٥هـ/١٢٩٦م) بالقاهرة[٢] .

٧- ابن دقيق العيد :

أبو الفتوح تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد ، ولد سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م ، تفقه على يد والده بقوص[٣] إحدى مدن

---

(١) ابن فرحون المالكي ، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت : ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، د . ت (١ /٣١٠ - ٣١١) .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام (١٥ /٨١٧) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٣١٢/٨) ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية (١٩٩/٢) .

(٣) قوص : مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر ، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ /٤١٣) . وتقع على الشاطئ الشرقي لنهر لنيل . ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ (٣ /٤٩٩) .

مصـر ، وكـان مـالكي المـذهب ، ثم رحـل إلى القـاهرة ، وتفقـه علـى المـذهب الشـافعي علـى يـدي شـيخه العـز بـن عبدالسـلام ، وحقـق المـذهبين ، وبـرع في الحـديث ، تـأثر بـالعز فكـان مـدققاً ، ورعـاً مكبـاً علـى المطالعـة ، أنفـق أموالـه في شـراء الكتـب حتى اضطر بـه الحـال إلى الاستدانة ، وتـولى القضـاء علـى المـذهب الشـافعي بمصـر بعـد إبـاء شـديد ، كـان متـأثراً بـالعز في علمـه وسـلوكه ، فكـان متبرمـا مـن القضـاء ، وعـزل نفسـه منـه للإصـرار علـى تنفيـذ الشـرع والأحكـام ، وعـدم اسـتغلال المنصـب وسـيلة لإسـكاته عـن الحـق ، وكـان لا يحـابي أحـداً ، ولا ينـافق حاكمـاً ، ويزيـل المظـالم ويحـارب البـدع ، ويكتـب إلى نـواب القضـاء ويعظهـم ويبـالغ في وعظهـم ، ويحـذرهم مـن الظلـم والجور[1] .

كمـا تـأثر بـالعز بـن عبدالسـلام في زهـده وروعـه ، وجرأتـه في قـول الحـق وعـدم تبجيلـه للسـلاطين ، فكـان يخاطـب السـلطان بقولـه : « يـا إنسـان » دون ألقـاب ومقـدمات ، فقـال عنـه السـبكي[2] : " كـان ابـن دقيـق العيـد لا يخاطـب أحـداً السـلطان أو غـيره إلا بقوله : يـا إنسـان غـير اثنـين البـاجي وابـن الرفيـع يقـول للبـاجي يـا إمـام ، ولابـن الرفيـع يـا فقيـه " وقـد ورث هـذه الجـراءة مـن شـيخه الـذي تجنـب الثنـاء علـى السـلاطين ، واكتفـى بالـدعاء لهـم تجنبـاً لغـرورهم الـذي يجلـب الكبريـاء والعظمـة ، وكـان ينـادي السـلطان نجـم الـدين باسمـه المتجـرد وهـو في غايـة الأبهـة والجنـود الغفـيرة تحتـف بـه فقولـه : « يا أيوب » !! طالباً منه تغيير المنكر .

وتبـين كـذلك تـأثر ابـن دقيـق العيـد بـالعز عنـدما اتبـع موقفـاً مماثلاً لموقـف العـز بـن عبدالسـلام في مقاومـة غـزو التتـار علـى دمشـق ، وذلـك مـن خـلال مسـيره إلى جانـب

---

(١) الأدفـوي : الطـالع السـعيد ، ص ٥٦٧ ؛ السـبكي : طبقـات الشـافعية (٢٠٧/٩) ؛ الأسـنوي : طبقـات الشافعية (٢٢٩/٢) .

(٢) طبقات الشافعية (١٠ /٣٤٠) .

السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1] الذي ذهب على رأس جيش لقتال التتار في بلاد الشام ، كما قام بدور فعال في بث روح الحماس بين صفوف المجاهدين ، لتثبيت عزائمهم أمام جموع التتار في معركة وادي الخازندار[2] سنة٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م[3] .

---

(١) السلطان الناصر بن محمد بن قلاوون : ناصر الدين أبو الفتح محمد بن السلطان المنصور سيف الدين ، ولد بالقاهرة سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م ، كان ملكاً عظيماً دانت له البلاد والعباد تولى السلطنة ثلاث مرات ، وتسلطن للمرة الأولى في يوم السبت ١٦ من شهر محرم سنة ٦٩٣هـ/١٧ ديسمبر ١٢٩٣م ، وخلع يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر محرم سنة ٦٩٤هـ/١ ديسمبر ١٢٩٤م ، ثم أعيد مرة ثانية للسلطنة يوم الأثنين السادس من جمادى الأولى سنة ٦٩٨هـ/٩ فبراير ١٢٩٨م ، ثم خلع في سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م ، ثم عاد للمرة الثالثة في يوم الخميس الثاني من شوال سنة ٧٠٩هـ/٥ مارس ١٣١٠م ، توفي في ليلة الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٤١هـ/٧ يونيو ١٣٤١م ، كانت مدته نحواً من ثلاث وأربعين سنة . الكتبي : فوات الوفيات (٤ /٣٥) ؛ ابن شاهين الملطي ، عبدالباسط بن خليل (ت : ٩٢٠هـ/١٥١٤م) : نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م ، ص ٨٤ – ٨٧ .

(٢) معركة وادي الخازندار : كان غازان الحاكم المغولي يتحين كل فرصة مناسبة لمهاجمة دولة المماليك رغم اعتناقه الإسلام ، وقد وجد في تحريض الأمير قبجق نائب دمشق ومن معه من الأمراء الذين التجأوا للمغول ذريعة للتوجه إلى الشام ، وكان سلطان المماليك الناصر بن محمد بن قلاوون ، وقد جرت المعركة في ٢٨ربيع الأول من سنة ٦٩٩هـ/٢٤ ديسمبر ١٢٩٩م ، وكان عدد الجيش الإسلامي نحو عشرين ألف جندي ، أما الجيوش المغولية فقدرت بحوالي مائة ألف جندي ، وانتهت المعركة باحتلال المغول الشام . للمزيد انظر : ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٧١٨ – ٧٢١) ؛ المقريزي : السلوك (٢ /٣١٩ – ٣٢١) .

(٣) محمد بن جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٧٨ ؛ عبدالمعز بن عصري محمد : الغزو المغولي لدمشق وآثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية (هولاكو ، محمود غازان ، تيمورلنك) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص ١٠٣ .

وله موقف مع السلطان الناصر محمد سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م حينما أراد أن يجمع المال من الرعية لحرب التتار ، وأفتاه ابن الخشاب[1] بجواز ذلك ، ولكن ابن دقيق العيد منعه من ذلك ؛ لأن الأمراء لديهم الأموال والذهب وأن فيهم من جهز ابنته لتزف إلى زوجها ، بالجواهر واللآلئ والحلي وأتخذ لها الأواني من الفضة ، وأن منهم من رصع مداس زوجته بأصناف الجواهر[2] ثم قال له : كيف يحل مع ذلك أخذ شيء من أموال الرعية[3]، وهذا شبيه بموقف العز مع السلطان قطز حينما أراد أن يأخذ المال من الرعية لحرب التتار فمنعه العز من ذلك حتى يحضر الأمراء ما عندهم من الذهب والفضة وغيرها[4] ، توفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م ، وهو أول من أطلق لقب « سلطان العلماء » على العز بن عبدالسلام[5] .

---

(١) ابن الخشاب : هو عيسى بن عمر بن خالد بن عبدالمحسن مجد الدين أبو الروح المعروف بابن الخشاب ، الفقيه الشافعي ، تفقه على العز بن عبدالسلام ، وقرأ القراءات على ابن الدهان والكمال الضرير ، وسمع من أصحاب البوصيري ، والحافظ المنذري وأبي الحسين القرشي وعبدالله بن علاق وغيرهم ، حدث بالقاهرة ، وولي الحسبة ووكالة بيت المال ونظر الأحباس وتدريس بزاوية الشافعي بالجامع العتيق وبالمدرسة الناصرية وبالقرا سنقرية ، كان فقيهاً فاضلاً ، فيه مروءة وله همة ، وكان الشجاعي ينبسط معه كثيراً . توفي في القاهرة يوم الإثنين الثامن شهر ربيع الأول سنة ٧١١هـ/١٣١١م ، ودفن بالقرافة . النويري : نهاية الأرب (٣٢ /١٩٣) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٣١٠) ؛ الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، (٣ /٧١٤ – ٧١٥) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (١٠ /٣٧٩) .

(٢) المقريزي : السلوك (٢ /٣٢٧) ؛ حياة بنت ناصر الحجي : السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين البحرية من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ، دراسة تاريخية وثائقية في وقائع الممارسات المختلفة السلطانية والأميرية ، لجنة التأليف والتعريب والنشر وجامعة الكويت ، ١٩٩٧م ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٣) اليافعي : مرآة الجنان (٤ /١٨٠) ؛ علي بن صافي حسين : ابن دقيق العيد حياته وديوانه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

(٤) سنتطرق لهذا الموقف بالتفصيل فيما بعد .

(٥) الأدفوي : الطالع السعيد ، ص ٥٦٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٢٠٧/٩) .

٨- شرف الدين الدمياطي :

هو أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسين بن شرف بن الخضر الدمياطي ، ولد سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م) ، وتفقه ببلده دمياط ، ثم انتقل إلى القاهرة ، والتقى بحافظها عبدالعظيم المنذري ، واستمع منه الحديث حتى صار إمام الحديث في عصره ، تتلمذ على سلطان العلماء وأخذ منه الفقه والأصول وسائر العلوم ، وخرّج له أربعين حديثاً عوالي ، وصنف الكتب المفيدة منها «المعجم» في ذكر شيوخه ، و«الصلاة الوسطى» و« قبائل الخزرج » وغيرها توفي سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٦م)[1].

٩- الإمام علاء الدين الباجي :

هو علي بن محمد بن عبدالرحمن بن خطاب ، المعروف بعلاء الدين الباجي ، ولد سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) ، تفقه على العز بن عبدالسلام بالشام ، وصحب الإمام محيي الدين النووي[2] وكانت بينهما صحبة أكيدة ، وكان إماماً في الأصول والمنطق ، وله باعٌ واسعٌ في المناظرة ،كان فقيهاً متقناً حتى بلغ رتبة الاجتهاد ، قال بعض

---

(١) الذهبي : معجم الشيوخ الكبير ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، مكتبة الصديق ، الطائف ، ١٤٠٨هـ ، (١ /٤٢٤) ؛ الكتبي : فوات الوفيات (٢/٤٠٩-٤١١) .

(٢) الإمام محيي الدين النووي : هو أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن بن حسين بن محمد بن جُمعة بن حِزامٍ الحزامي النووي ، ولد سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م ، قدم إلى دمشق مع والده سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١م ، وكان عمره ثماني عشرة سنة ، طلب العلم وبرز فيه ، ثم شرع بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً ، وكان زاهداً ورعاً لا يضيع شيئاً من أوقاته ، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم ، توفي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م . السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٣٩٥ – ٣٩٦) ؛ أبو الفداء : طبقات الشافعية ، ص ٩٠٩ – ٩١ ؛ السيوطي : المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي ، تحقيق : أحمد شفيق دمج ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٢٥ – ٢٧ .

أصحابه : كان لا يفتي بمسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها ، فإن لم ينهض عنده قال : مذهب الشافعي كذا ، أو الأصح عند الأصحاب كذا ، ولايجزم[1] .

له مولفات منها كتاب « الرد على اليهود والنصارى » وله مختصرات لم يطل فيها ، منها « مختصر في الأصول » و« مختصر في المنطق» ، قيل: مامن علم إلا وله فيه مختصر ، توفي بالقاهرة سنة (٧١٤هـ/١٣١٥م)[2] .

هؤلاء أهم تلاميذ العز الذين تتلمذوا عليه مباشرة ، ومن الصعب حصر من أخذ عنه العلم ؛ لأن الذين تتلمذوا عليه كثيرون ، ولا تزال الأجيال تتلمذ على كتبه وما ألّف في سيرته وشهرته ومواقفه ، حيث إن العز تأثر بشيوخه ، والسلف الصالح من المسلمين ، والعلماء ، والدعاة ، ثم أثر في تلاميذه فكان أثره واضحاً ، وجلياً ، وكان اسمه وعلمه وكتبه تتردد على لسان العلماء وطلاب العلم في مختلف الأماكن والأزمان .

مؤلفاته :

نبغ العز في شتى العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله وغيرها ، وله الكثير من المصنفات والرسائل المفيدة ، التي تدل على اطلاعه الواسع على حقائق الشريعة وغوامضها ، وهو من الذين قيل فيهم : علمهم أكثر من تصانيفهم ، لامن الذين عبارتهم دون درايتهم . طبعت بعض مؤلفاته ، وبعضها الآخر لايزال مخطوطاً لم ير النور حتى الآن ، كما أن هناك كتباً نسبت إليه خطأً لعدة أسباب منها : الالتباس في اسمه ، وتشابه الأسماء بينه وبين غيره ، أو قد يكون خطأ من النسّاخ والباحثين . وسأذكر مؤلفاته وأبين المنسوبة إليه خطأً :

---

(١) الكتبي : فوات الوفيات (٣ /٧٣ – ٧٤) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٣٣٩/١٠ – ٣٤١) ؛ الزركلي : الأعلام ، (٥ /١٥٥) .

(٢) الكتبي : فوات الوفيات (٣ /٧٤) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٣٤١/١٠) .

أولاً : في التفسير وعلومه :

١- تفسير القرآن العظيم : بدأ بتفسير الاستعاذة والبسملة ، ثم شرع بتفسير القرآن كاملاً مع العناية الواضحة بالنحو والإعراب[1] . وحُقّق هذا الكتاب في ثلاث رسائل جامعية :

أ- تفسير القرآن العظيم من سورة الفاتحة إلى سورة التوبة بتحقيق يوسف محمد الشامسي[2].

ب- تفسير القرآن العظيم من سورة يونس إلى سورة الكهف ، بتحقيق عبدالله بن سالم بافرج[3] .

ج- تفسير القرآن العظيم من سورة مريم إلى سورة الناس ، تحقيق بدر محمد الصميط [4].

٢ - اختصار تفسير الماوردي « النكت والعيون » : بدأ العز تفسيره هذا بمقدمة ذكر فيها أسماء القرآن والإعجاز بكلام موجز ، ثم فسر القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس[5].

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية .

(٢) نال بها درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ .

(٣) نال بها درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤٢٠هـ .

(٤) نال بها درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٢هـ .

(٥) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١١٧-١١٩ ؛ يوسف محمد الشامسي : تفسير القرآن العظيم لعز الدين بن عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي المتوفى سنة٦٦٠هـ من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤١٩هـ ، ص٦٨ . وطبع سنة ١٤١٦هـ كتاب الماوردي ((النكت والعيون)) في وزارة الأوقاف الكويتيه في أربعة مجلدات . وقام عبدالله الوهيبي بدراسة هذا التفسير دراسة مفصلة ، وحققه تحقيقاً علمياً .

٣- آمالي عز الدين بن عبدالسلام : يوجد لهذا الكتاب خمس نسخ خطية بعناوين مختلفة وقد اعتمد رضوان الندوي على ثلاث نسخ في تحقيق الفوائد المتعلقة بالقرآن ، والتي نشرها بعنوان « فوائد في مشكل القرآن » وذكر عبدالله الوهيبي[١] أنه عثر على نسختين أخريين من تلك الآمالي .

٤- فوائد مشكل القرآن : وهو القسم الأول من « الآمالي » المتعلق بالقرآن .

ولعل العز أملاه في دروسه بالتفسير التي أشار إليها مترجموه حيث قالوا : هو أول من ألقى التفسير دروساً بمصر[٢]. وتلك الدروس ليست تفصيلاً للقرآن بالمعنى الحقيقي ، إنما هي مشتملة على بعض الاستشكالات اللغوية والبلاغية في بعض آيات القرآن . وقد قام الدكتور رضوان الندوي بتحقيق هذا الكتاب وطبعه مرتين ، الأولى بوزارة الأوقاف الكويتية سنة (١٩٧٦م) ، ثم أعيدت طباعته في دار الشرق بجدة للمحقق نفسه سنة (١٩٨٢م) ، اعتماداً على نسخ خطية بعنوان « الفوائد في مشكل القرآن »[٣] .

٥- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : يذكر في بعض المصادر بـ «مجاز القرآن» ، اختصر ابن القيم هذا الكتاب مع زيادات في كتابه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان » كما لخصه السيوطي[٤] مع زيادات عليه وسماه « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » ، وكتاب العز هذا عظيم الفائدة ، يدل على رسوخ الإمام عز الدين في علوم البلاغة والتفسير[٥]. طبع هذا الكتاب عدة مرات أولها في دار

---

(١) العز بن عبدالسلام ، ص١١٩-١٢٠.

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة (١ /٣١٥)

(٣) العز بن عبدالسلام : فوائد في مشكل القرآن ، تحقيق : رضوان علي الندوي ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٢٢ ؛ عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٤) الإتقان في علوم القران ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م ، (٢ /٣٦) .

(٥) عبدالسلام بن مازن أبو خلف : العقيدة الإسلامية عند سلطان العلماء ، ص ٦٥ .

الطباعة العامرة باسطنبول سنة ١٣١١هـ ثم سنة ١٣١٣هـ ، ثم أعادت المكتبة العلمية بالمدينة المنورة طباعته سنة ١٩٦٦م ، ثم تمت طباعته بطريقة التصوير بالأوفست بمطبعة دار الفكر بدمشق[١] ، كما اطلعت ليلى الثبيتي على نسختين مطبوعتين للكتاب الأولى بعنوان « كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز »، نشرته دار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٠٨هـ اعتنى بطبعه رمزي سعد الدين معتني ، والثانية بتحقيق محمد مصطفى بن الحاج ، وهي القسم الأول من الكتاب إلى الفصل السابع والأربعين ، وهو في « الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة » وطبع الكتاب سنة ١٩٩٢م باسم «مجاز القرآن» ، وهو من منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي في ليبيا ، كما حصلت الباحثة على طبعة لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن بتحقيق الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي ١٤١٩هـ[٢].

ثانياً : الحديث :

١- مختصر صحيح مسلم : ذكره السبكي[٣] من ضمن مؤلفات العز ، وذكره الداوودي[٤]، وهو في حكم المفقود لم يرد له ذكر في الفهارس الموجودة .

٢- شرح حديث لاضرر ولا ضرار : نسبه إليه رضوان الندوي[٥] ، ولم يحدد مصدراً لذلك ، ولم يرد ذكره في المصادر التي أطلعت عليها .

---

(١) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

(٢) ليلى بنت محمد الثبيتي : آراء العز بن عبدالسلام العقدية (٥٧٧ -٦٦٠هـ) عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٠هـ ، ص٣٠-٣١ .

(٣) طبقات الشافعية (٢٤٨/٨) .

(٤) طبقات المفسرين (٣١٣/١) .

(٥) العز بن عبدالسلام (٥٧٧- ٦٦٠هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، ص٧٥ .

٣- شرح حديث « أم زرع » الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- :

وجد منه نسخة خطية بمكتبة الفاتح باسطنبول برقم (١١٤١) ، ويقع في ثلاث ورقات ملحقة في آخر مجلد كبير لنسخة خطية عن « مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري »[(١)].

ثالثاً : العقيدة :

١- الفرق بين الإسلام والإيمان : هي رسالة مخطوطة ، تكلم العز فيها عن زيادة الإيمان ونقصه ، طبع بدار الفكر بتحقيق إياد الطباع في دمشق[(٢)] .

٢- بيان أحوال الناس يوم القيامة : هي رسالة في العقيدة والزهد وفضائل الأعمال والتربية ، حققها مجدي فتحي السيد بعنوان « أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم » ، وطبعت في دار الصحابة للتراث سنة ١٤١٠هـ[(٣)].

٣- ملحة الاعتقاد :هي رسالة ذكرها الشيخ في بيان عقيدته ، كان مضمونها : أجوبة للفتاوى التي أرسلها إليه الحنابلة وجوابه للسلطان الأشرف ، وقد أوردها السبكي[(٤)] كلها ضمن ترجمة العز نقلاً عن الشيخ عبداللطيف بن العز ، كما طبع قسم منها ضمن رسالة بعنوان « إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبدالسلام في مسألة الكلام » بقلم ابنه الشيخ عبداللطيف ، طبعت في دار الأنوار بالقاهرة سنة

---

(١) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٢٩-١٣٠ .

(٢) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٣٢٧ ؛ محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤٠ .

(٣) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤١ .

(٤) طبقات الشافعية ، (٢١٩/٨) .

١٣٧٠هـ ، وتسمى ملحة الاعتقاد أيضاً : « رسالة في العقيدة » أو «الاعتقاد »[1] .

٤- رسالة في علم التوحيد : هي ورقه واحدة مخطوطه ضمن مجموع من ورقة ٨ - ٩ في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٥٢٠٧) **وتوجد** منها نسخة أخرى في مكتبة برلين برقم (٢٤٢٦) ، حققها إياد الطباع وطبعت بدار الفكر في دمشق سنة ١٤١٥هـ[2].

٥- وصية الشيخ عز الدين : هي رسالة صغيرة في العقيدة ، موجودة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٥٢٥٨) ضمن مجموع (١٨٨-١٨٩) ، وهي ورقتان وقد ذكرها العز ، ضمن كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام » ، حققها إياد الطباع وطبعت في دار الفكر بدمشق[3].

رابعاً : الفقه وأصوله :

١- قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ويسمى أيضاً بـ « القواعد الكبرى » ، وذكر العز بن عبدالسلام[4] في كتابه الغرض من تأليفه فقال : " الغرض بوضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد في كسبها ، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد في درئها ، وبيان مصالح المباحات ليكون العباد على خيرةٍ منها ، وبيان ما يقدم من بعض المصالح على بعض ، وما يؤخر من بعض المفاسد عن بعض ... " ، ويوجد من الكتاب نسخ خطية متعددة في مكتبات

---

(١) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٣٢.

(٢) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٣٢٧ . وذكر إياد الطباع عند تحقيق هذه الرسالة أنها للعز لكنه لم يقطع بذلك ، ووضع عنوانها ((رسائل في التوحيد)) ، ص٧ .

(٣) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٣١ ؛ محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤١.

(٤) القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنام ، تحقيق : نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية ، دار القلم . دمشق ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ص٣٦ .

العـالم[1] ، ثم طبـع ثـلاث طبعـات في جـزأين بالقـاهرة ، الأولى : سـنة ١٣٥٣هـ في المكتبـة الحسـينية ، والثانيـة : في المكتبـة التجاريـة بـدون تـاريخ ، والثالثـة : سـنة ١٣٨٨هـ في مكتبـة دار الشـرق ، وذكـر نزيـه حمـاد وعثمـان ضـميرية ، أن هـذه الطبعـات مليئـة بالأخطـاء ولا يمكـن الاعتمـاد عليهـا ، ممـا جعلهـم يحرصـون علـى تحقيـق هـذا الكتـاب تحقيقـاً علميـاً اعتمـاداً علـى عـدة نسـخ ، وطبـع في دار القلـم بدمشـق سـنة ١٤٢١هـ ، بتحقيق نزيه حماد ، عثمان ضميرية[2].

وقـال السـبكي[3] عـن هـذا الكتـاب وكتـاب « الإشـارة إلى الإيجـاز » شـاهدان بإمامـة العز وعظيم منزلته في علوم الشريعة .

٢- القواعـد الصـغرى : في هـذا الكتـاب اختصـر العـز كتابـه السـابق « قواعـد الأحكـام في مصـالح الأنـام » فـترك بعـض الفـروع الفقهيـة والاسـتطرادات والتعليقـات ، وهـو مطبـوع بعنـوان «الفوائـد في اختصـار المقاصـد » المسـمى بـ القواعـد الصـغرى بتحقيـق جـلال الـدين عبـدالرحمن ، في مطبعـة السـعادة سـنة ١٤٠٩هـ ، وطبـع مـرة أخـرى باسـم «القواعـد الصـغرى ، الفوائـد في مختصـر القواعـد » بتحقيـق عـادل أحمـد عبـدالموجود وعلـي أحمـد معـوض ، بمكتبـة السـنة في القـاهرة عـام ١٤١٤هـ ، ثم طبـع بعنـوان « مختصـر الفوائـد في أحكـام المقاصـد » المعـروف بـ « القواعـد الصـغرى » بتحقيـق

---

(١) كـارل بروكلمـان : تـاريخ الأدب العـربي ، ترجمـة : محمـود فهمـي حجـازي ، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، (١ /٤٨٨) .

(٢) عبـدالله الـوهيبي : العـز بـن عبدالسـلام ، ص١٣٣- ١٤٢؛ كمـال بـن صـادق ياسـين : القواعـد الفقهيـة عنـد الإمـام العـز بـن عبدالسـلام جمعـاً ودراسـة وتطبيقـاً ، رسـالة دكتـوراه ، جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسلامية ، ١٤٢٩هـ ، ص٦٥ .

(٣) طبقات الشافعية (٢٤٧/٨) .

صالح بن عبدالعزيز المنصور – رحمه الله – في دار الفرقان بالرياض عام ١٤١٧هـ ، وكذلك قام أيضاً بتحقيقه إياد الطباع [١] .

٣– الإمام في بيان أدلة الأحكام : يذكر في بعض المصادر[٢] بعنوان ((الدلائل المتعلقة بالملائكة والنبيين عليهم السلام والخلق أجمعين)) وظن بعضهم أنهما كتابان للعز لكنهما مسميان لكتاب واحد ، بدليل ما جاء في أول الكتاب : " بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المجتهد الشيخ عز الدين بن عبدالسلام رحمه الله : هذا بيان لأدلة الأحكام المتعلقة بالملائكة والمرسلين وسائر العالمين ... إلخ " [٣] .

٤– مقاصد الصلاة : هي رسالة عن فضل الصلاة ، وبيان شرفها وأنها أفضل العبادات بعد الإيمان بالله . توجد منها عدة نسخ خطية وقام إياد الطباع بتحقيقها[٤] .

٥– مقاصد الصوم : هي رسالة صغيرة تقع في خمس ورقات تكلم فيها العز عن الصوم وفضائله ، وما اختص به من الأحكام ، ومكانته في الدنيا والآخرة عند الله ، ثم تناول الاعتكاف وسننه وآدابه[٥] . طبع هذا الكتاب في دار الفكر بدمشق بتحقيق إياد الطباع .

٦– الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة : هي رسالة صغيرة في الرد على من يدعي مشروعية صلاة

---

(١) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٤٢– ١٤٣ ؛ ليلى الثبيتي : آراء العز بن عبدالسلام ، ص٣٥ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٢٤٨/٨) ؛ الداوودي : طبقات المفسرين (١ /٣٢٠) .

(٣) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤٣–١٤٥ .

(٤) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤٥–١٤٦ .

(٥) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٦٣ .

الرغائب . طبعت مرتين في المكتب الإسلامي بدمشق بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ومحمد زهير شاويش ، بعنوان «مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العز بن عبدالسلام وابن صلاح[1] حول صلاة الرغائب المبتدعة » واشتملت هذه المساجلة على ثلاث رسائل ، وألحق بها فتوى الإمام النووي[2]. وقد ذكر السبكي في ترجمته للعز هذه الرسالة[3].

٧- **مناسك الحج** : هي رسالة مكونة من خمس ورقات تحدث فيها العز عن الحج والعمرة وكيفية الإحرام والتلبية والطواف والسعي ، وأعمال الحج من أولها إلى آخرها[4]. وطبعت بدار الوفاء في جدة بتحقيق نزيه حماد سنة (١٤٠٦هـ) ، ثم طبعت بدار الفكر بتحقيق إياد الطباع .

٨- **أحكام الجهاد** : رسالة مهمة في الجهاد وأحكامه وفضائله ، تقع في ثماني ورقات[5].

وقد قام إياد الطباع بتحقيقه وطبع بدار الفكر في دمشق ، وكذلك حققه نزية حماد وطبع بدار الوفاء بجدة سنة ١٤٠٦هـ .

---

(١) ابن صلاح : أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي المعروف بابن صلاح ، ولد سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م ، تفقه على والده بشهرزور ثم رحل إلى عدة بلاد لطلب العلم ، وتفقه وبرع في المذهب الشافعي وأصوله ، وفي الحديث وعلومه ، وفي التفسير واللغة ، توفي سنة ٦٤٣هـ /١٢٤٥م . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /١٤٠- ١٤٣) .

(٢) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤٧.

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٥١).

(٤) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٦٣.

(٥) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٤٢ .

٩- الغاية في اختصار النهاية في دراية المذهب لإمام الحرمين الجويني (٤٧٨هـ) :

هو اختصار لكتاب « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني الذي يقع في ٢٧ مجلداً ، وقام إمام الحرمين نفسه باختصار كتابه وسماه «المعتصر » ولعل العز اختصر المختصر لا كتابه الأصلي كما رجحه علي الفقير(١) .

١٠ – الجمع بين الحاوي والنهاية : هو كتاب يجمع بين أعظم كتابين في الفقه الشافعي وأكثرهما توسعاً ، الأول « الحاوي » للماوردي ويقع في ٢٣ مجلداً ، والكتاب الثاني « نهاية المطلب في دراية المذهب » لإمام الحرمين الجويني ويقع في ٢٧ مجلداً(٢) ، قال السبكي(٣) عنه : « وما أظنه أكمل » ، ولم يعثر على هذا الكتاب للإمام العز وهو في حكم المفقود .

١١ – شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لأبي عمرو المعروف بابن الحاجب المالكي : لم يوجد لهذا الكتاب ذكر في مكتبات العالم ، والذي نسبه إلى العز رضوان الندوي(٤) .

خامساً : الفتاوى :

١- الفتاوى الموصلية : هي أجوبة عن تسعين سؤالاً وجهت إليه من خطيب الموصل شمس الدين عبدالرحمن الطوسي سنة (٦٥٤هـ) بالقاهرة(٥).

---

(١) الإمام العز بن عبدالسلام ، ص٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٥٠-١٥١ .

(٣) طبقات الشافعية (٢٤٨/٨)

(٤) رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص٨٠ .

(٥) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٥١

٢ – الفتاوى المصرية : هي فتاوى مكونة من أجوبة على أسئلة في الفقه والتفسير وموضوعات أخرى ، سئل عنها العز بمصر[١] ، وقال عنها السبكي[٢]: " مجموع مشتمل على فنون من المسائل والفوائد " .

سادساً : السيرة :

١– بداية السول في تفضيل الرسول : هو عبارة عن رسالة تقع في خمس ورقات ساق فيها العز اثنين وثلاثين وجهاً لتفضيل الرسول – صلى الله عليه وسلم – على سائر المخلوقات وهي تعداد للخصائص التي خص الله رسوله بها . وقد طبعت بمطبعة الشرق في مصر قديماً بعد تعليق الشيخ عبدالله بن محمد الصديق الغماري ، ثم حققها صلاح الدين المنجد ، وطبعت بدار الكتاب الجديد في بيروت سنة ١٤٠١هـ ، ثم حققها محمد ناصر الدين الألباني وطبعت في المكتب الإسلامي ببيروت سنة ١٤٠٣هـ ، ثم حققها إياد الطباع وطبعت في دار الفكر بدمشق سنة ١٩٩٥م ، ثم قام السيد محمد أديب كلكل بتحقيقها وطبعها بدار الدعوة بحماة[٣] .

سابعاً : التصوف :

١– شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : ذكر العز في هذا الكتاب صفات الله ، وكيفية توحيده وتنزيهه ، والغاية من ذكر هذا التخلق بآداب القرآن وصفات الرحمن ، التي تحقق جميع الخيرات في الدنيا والآخرة[٤] ، وأثنى

---

(١) العز بن عبدالسلام : الفتاوى ، تحقيق : عبدالرحمن عبدالفتاح ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ١٨ .

(٢) طبقات الشافعية (٢٤٨/٨) .

(٣) العز بن عبدالسلام : بداية السول في تفضيل الرسول ، تحقيق : إياد خالد الطباع دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٥م ، ص٣ ؛ علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص٢٥٨ ؛ محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص١٣٨–١٣٩ ، . لها عدة نسخ خطية متفرقة .

(٤) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٤٧ .

السبكي[1] عليه بقوله : "حسن جداً" ، وقام إياد الطباع بتحقيقه ثم طبع بدار الفكر بدمشق سنة ١٤١٠هـ ، وطبع مرة أخرى بتحقيق أبي عبدالله حسين عكاشة ، في دار ماجد عسيري بجدة ، وطبع أيضاً بتحقيق حسان عبدالمنان ، ونشرته بيت الأفكار الدولية .

٢- **رسالة في القطب والأبدال الأربعين** : بين فيها العز بطلان قول الناس فيهم ، وعدم وجودهم كما زعموا ، من الذين شاروا إليها صاحب كتاب كشف الظنون[2] توجد منها نسختان وطبعت في المطبعة العلمية بحلب[3] .

٣- **مقاصد الرعاية لحقوق الله تعالى للحارث المحاسبي** : ذكره السبكي[4]والداوودي[5]، وتوجد منه ثلاث نسخ خطية ، وقام إياد خالد الطباع بتحقيقه وطبع بدار الفكر في دمشق.

٤- **الفتن والبلايا والمحن والرزايا** : هي رسالة صغيرة لا تتعدى الورقتين ، تكلم فيها عن المصائب التي حلت بالدولة الإسلامية والصبر عليها ، وقام إياد الطباع بتحقيقها وطبعت بدار الفكر في دمشق ، وحققها أيضاً عبدالفتاح حسين ، وطبعت بمكتبة أولاد الشيخ للتراث[6] .

---

(١) طبقات الشافعية (٢٤٨/٨) .

(٢) حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة (ت : ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مطبعة وكالة المعارف التركية ، إسطنبول ، ١٩٤١م (٨٨٣/١) .

(٣) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٤٨ .

(٤) طبقات الشافعية (٢٤٨/٨) .

(٥) طبقات المفسرين (٣١٤/١) .

(٦) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٥٤ ؛ ليلى الثبيتي : آراء العز بن عبدالسلام العقدية ، ص٣٧ .

ثامناً : علوم أخرى :

١- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام : هي رسالة صغيرة ، ذكر العز فيها فضائل الشام ، والترغيب بالسكن فيها ، عندما اجتاح الصليبيون بلاد الشام ففزع كثير من المسلمين وبدأوا يفرون إلى بلاد الأمصار الأخرى ويتركون الشام خلفهم ، فألف العز هذا الكتاب الذي يثبت به المسلمين ، ويحاول أن يجعلهم يقيمون في بلاد الشام ولا يخرجون منها ، وقد أورد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تعدد مزايا بلاد الشام وأخذ يحث المسلمين في الأمصار الأخرى أن يحرصوا على الانتقال إلى بلاد الشام وسكناها ومدافعة الأعداء فيها[1]. طبعت هذه الرسالة عدة مرات الأولى في المطبعة التجارية بالقدس سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م بتحقيق أحمد سامح الخالدي الديري ، ثم طبعت ببغداد والأردن سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م بتحقيق محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير المياديني ، ثم قام إياد خالد الطباع بتحقيقها أيضاً وطبعت بدار الفكر في دمشق ١٤١٣هـ[2].

الكتب المشكوك فيها وقد نسبت إليه خطأ :

١- كشف الإشكالات عن بعض الآيات : هي رسالة صغيرة موجودة بدار الكتب المصرية برقم (٨٣٦) ، حققها الدكتور رضوان الندوي وألحقها في آخر كتاب (فوائد في مشكل القرآن) ، وبين أنها ليست للعز وإنما هي تعقيب عليه من أحد العلماء المتأخرين ، واستدل على ذلك بأنه ورد فيها نقل عن المفسر أبي السعود العمادي المتوفى سنة (٩٨٣هـ) ، وهو متأخر عن العز . وقد عثر على نسخة أخرى في الدار برقم (٢٩٧ تيمورية) مكتوب عليها

---

(١) العز بن عبدالسلام : ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام ، تحقيق : إياد خالد الطباع ، دار الفكر ، ١٩٩٨م ، ص ٤ – ٥ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص٣٩٩ ؛ محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٣٩.

اسم المؤلف الحقيقي مع العنوان كالآتي: « أجوبة على استشكالات للعز بن عبدالسلام تأليف محمد بن أحمد بن عبدالهادي »[1].

٢- العماد في مواريث العباد : لم ينسبها إلى الإمام العز إلا عمر بن رضا كحالة[2] والصواب ما ذكره علي الفقير[3] أنه من تأليف أحمد بن محمد بن عبدالسلام المصري الشافعي (ت :٩٣١هـ) .

٣- كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار : نسبه إليه رضوان الندوي وهذا خطأ وسببه تشابه الاسمين ، وهو لعز الدين بن عبدالسلام المقدسي [4] .

٤- فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد : نسبه البغدادي[5]للعز وهو من تأليف شمس الدين بن محمد السلمي الشافعي الشهير بالمناوي[6] .

٥- حل الرموز ومفاتيح الكنوز : لم تذكر المصادر هذا الكتاب ضمن مؤلفات العز ، وأن مؤلفه هو عز الدين عبدالسلام المقدسي ، وقد نسبه رضوان الندوي إلى العز في كتابه الذي ألفه عن الإمام العز ، ولكنه عاد ونسبه إلى مؤلفه الحقيقي في مقدمة تحقيقه لكتاب العز « فوائد في مشكل القرآن » بعد أن تنبه إلى ذلك الخطأ[7].

---

(١) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٦٠ .

(٢) معجم المؤلفين ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٩٦١م ، (٥ /٢٤٩) .

(٣) العز بن عبدالسلام ، ص٢٦٧ .

(٤) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٦٧ .

(٥) إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مكتبة المثنى ، بغداد ،١٩٥١م ، (١ /٥٨٠) .

(٦) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٦١ .

(٧) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص١٦٢ .

٦- مسائل الطريقة في علم الحقيقة : هي للشيخ أحمد الزاهد كما ذكر صاحب كشف الظنون ، وجاء اللبس لأن شارحها هو أحمد بن محمد بن عبدالسلام (ت : ٩٣١هـ)[١].

٧- نهاية الرغبة في أدب الصحبة : لم يذكر أحد من المترجمين أن هذه الرسالة للعز ، توجد منها نسخة في مكتبة باريس برقم (١١٧٦/٢٥) ، ونسبها رضوان الندوي للعز اعتماداً على هذه النسخة ، وهي من تأليف أبي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي (ت : ٤١٢ هـ)[٢] .

٨- مجلس في ذم الحشيشة : لم ينسبها إلى الإمام العز إلا رضوان الندوي ، اعتماداً على نسخة موجودة في مكتبة بريل ليدن برقم (١٠٥٦/٢) ، وقد جعله علي الفقير من الكتب المنسوبة إلى العز خطأ[٣] ، وتشك الباحثة في نسبتها للإمام العز لعدم ذكرها في المصادر القديمة ، ولعلها لأحد تسمى بابن عبدالسلام ، والله أعلم .

٩- ثلاثة وثلاثون أشعار في مدح الكعبة : لم تذكر المصادر التي ترجمت للإمام العز هذه الأبيات ضمن مؤلفاته ، ونسبت إليه هذه الأبيات خطأ ؛ لأن تلميذه ابن بنت أبي سعيد ذكر أنه لا يوجد للعز إلا بيت واحد[٤] .

---

(١) علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص٢٦٦ .

(٢) العز بن عبدالسلام : مجاز القرآن ، تحقيق : محمد بن مصطفى بن الحاج ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، طرابلس ، ١٩٩٢م ، ص٣٤ .كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (٧٦٨/١) ؛ رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص٨٣ ؛ ورمضان ششن : نوادر المخطوطات العربية في مكتبة تركيا ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، (٢/ ١٩) .

(٣) رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص ٨٣ ؛ علي الفقير : العز بن عبدالسلام ، ص٢٦٦ .

(٤) عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٥٨.

١٠- قصة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : ترجح الباحثة أن هذا الكتاب نسب إليه خطأ ، لأن المصادر القديمة لم تشر إليه مع مؤلفات العز ، ونسب رضوان الندوي هذا الكتاب إلى العز ، ولعل نسبته إليه سبب مشاركة العز غيره في التسمية[١].

١١- نبذة مفيدة في الرد على القائل بخلق القرآن : لم ينسبها للإمام العز أحد من مترجميه ، وقد نسبه إلى العز كل من رضوان الندوي وإياد الطباع وهو من الكتب المشكوك فيها[٢] .

١٢- نخبة العربية في ألفاظ الآجرومية في النحو : الذي نسبه إليه رضوان الندوي[٣] والصواب أنه لغيره ؛ لأن ابن آجروم مؤلف الآجرومية ولد سنة (٦٧٢هـ) أي بعد وفاة العز[٤] .

---

(١) رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص٨٣ ؛ علي الفقير : العز بن عبدالسلام ، ص ٢٦٧ .

(٢) عبدالسلام بن مازن : العقيدة الإسلامية ، ص٧٤ .

(٣) العز بن عبدالسلام ، ص٨٣ .

(٤) علي الفقير : العز بن عبدالسلام ، ص٢٦٥- ٢٦٦ .

المبحث الثالث :

– مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه :

تبوأ العلماء مكانة سامية ، ومنزلة رفيعة في التاريخ الإسلامي ، وكانت وظيفتهم الأشرف قدراً ، والأسمى منزلة ، والأوثق عهداً ، والأعظم أجراً عند الله ؛ لأنهم ورثوا مقام النبوة ، وأخذوا بأهم تكاليفها ، وهو الدعوة إلى الله ، وتوجيه خلقه إليه ، وتزكيتهم وتعليمهم وترويضهم على الحق حتى يفهموه ويقبلوه ثم يعملوا به ويعلّموه ، وقد حظي العز بن عبدالسلام بمكانة علمية عالية في حياته وبين علماء عصره ، فكان خطيباً مفوهاً ، واعظاً ، مهيباً ، مفتياً سديداً ، وفقيهاً مجتهداً حتى بلغ رتبة الاجتهاد ، واشتهر بالنزاهة في القضاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لايخشى في الله لومة لائم ، رسخ في العلم الشرعي ، رسوخاً بلغ فيه الغاية القصوى ، حتى أثنى عليه الكثير من العلماء المعاصرين له وتلاميذه والمؤرخين والمتاخرين ، وهذه نبذه من أقوالهم :

– ثناء المعاصرين عليه :

وصفه العلامة ابن الحاجب صديق العز ومعاصره ورفيقه في السفر والرحلة بقوله : " ابن عبدالسلام أفقه من الغزالي "[(١)] .

قال العلامة ، جمال الدين الحصري : شيخ الحنفية في زمانه مخاطباً سلطان دمشق عن العز : " هذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان أن يسعى في حُلوله في بلاده لتتم بركته عليه وعلى بلاده ويفتخر به سائر الملوك "[(٢)].

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٤) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٣٧) .

أما الشيخ أبو الحسن الشاذلي معاصر العز يمدح مجلسه في الفقه قائلاً : " ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس عز الدين بن عبدالسلام "[1] .

– ثناء بعض التلاميذ على العز:

قال أبو بكر بن مسدي الأندلسي عن شيخه : " أحد فقهاء هذا المذهب ، ممن فرَّع على أصوله ، وهذَّب ، ورأس فقهاء بلده "[2] .

ذكر أبو شامة عن الشيخ : " وكان أحق الناس بالخطابة والإمامة وأزال كثيراً من البدع التي كان الخطباءُ يفعلونها ، من دقَّ السيف على المنبر ، وغير ذلك ، وأبطل صلاتي الرغائب ونصف شعبان ، ومنع منهما "[3] .

قال ابن دقيق العيد تلميذ العز عن شيخه : " كان ابن عبدالسلام أحد سلاطين العلماء "[4] .

– ثناء العلماء والمنصفين على العز :

وقال عنه الذهبي[5]: " بلغ رتبة الاجتهاد ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، مع الزهد والورع ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مع الصلابة في الدين " .

وتحدث الكتبي[6] عن العز فقال : " شيخ الإسلام ، وبقية الأعلام ، الشيخ عز الدين .. سمع .. وتفقه .. ودرّس وأفتى ، وبرع في المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من البلاد ، وتخرج به أئمة وله الفتاوى السديدة ، وكان ناسكاً ورعاً ، وأمّاراً بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم " .

---

(١) السيوطي : حسن المحاضرة (١ /٣١٥) .

(٢) تاريخ علماء بغداد ، ص ١٠٥ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (١ /٢١٠)

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (١ /٢١٤) .

(٥) العبر (٥/٢٦٠) .

(٦) فوات الوفيات (٢ /٣٥٠ – ٣٥١) .

أمـا اليـافعي[1] فقـال : "سـلطان العلمـاء ، وفحـل النجبـاء ، المقَّـدم في عصـره علـى سـائر الأقـران ، بحـر العلـوم والمعـارف ، والمعظـم في البلـدان ، ذو التحقيـق والإتقـان ، والعرفان والإيقان .. " .

وصـف السـبكي[2] في ترجمتـه لسـيرة العـز : " شـيخ الإسـلام ، وأحـد الأئمـة الأعـلام ، سـلطان العلمـاء ، إمـام عصـره بـلا مدافعـة ، القـائم بـالمعروف والنـاهي عـن المنكـر في زمانـه ، المطّلـع علـى حقـائق الشـريعة وغوامضـها ، العـارف بمقاصـدها ، لم يـر مثـل نفسـه ، ولا رأى مـن رآه مثلـه ، علمـاً ، وورعـاً ، وقيامـاً في الحـق ، وشـجاعةً ، وقـوة جنان ، وسلامة لسان " .

وروى الأسـنوي[3] في ترجمـة العـز : " الشـيخ عـز الـدين ... كـان رحمـه الله شـيخ الإسـلام علمـاً وعمـلاً ، وورعـاً ، وزهـداً وتصـانيف ، وتلاميـذ ، آمـراً بـالمعروف ناهيـاً عـن المنكـر ، يهـين الملـوك فمـن دونهـم ، ويغلـظ القـول .. وكـان فيـه مـع ذلـك حسـن محاضـرة بالنوادر والأشعار " .

وقـال السـيوطي[4] في سـيرة العـز : "وقـدم مصـر ، فأقـام بهـا أكثـر مـن عشـرين سـنة ، ناشـراً للعلـم ، آمـراً بـالمعروف ، ناهيـاً للمنكـر ، يُغلـظ علـى الملـوك فمـن دونهـم ...، وألقـى التفسـير بمصـر دروسـاً ، وهـو أول مـن فعـل ذلـك ، ولـه كرامـات كثـيرة ... ثم كـان في آخر عمره لا يتقيد بالمذهب ، بل اتسع نطاقه ، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده " .

وذكـر عنـه المـؤرخ الفقيـه ابـن العمـاد الحنبلـي[5] : "عـز الـدين ، شـيخ الإسـلام ... الإمـام العلامـة ، وحيـد عصـره ، سـلطان العلمـاء ... وبـرع في الفقـه والأصـول والعربيـة ،

---

(١) مرآة الجنان (١٥٣/٤) .

(٢) طبقات الشافعية (٢٠٩/٨) .

(٣) طبقات الشافعية (٢ /٨٤) .

(٤) حسن المحاضرة (٣١٤/١- ٣١٥) .

(٥) شذرات الذهب (٣٠١/٥- ٣٠٢) .

وفاق الأقران والأضراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه واختلاف الناس ومآخذهم ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، ويرحل إليه الطلبة من سائر البلاد ، وصنف التصانيف المفيدة " .

- ثناء بعض المتأخرين على العز:

قال الشيخ عبدالله مصطفى المراغي[1] عن العز : " عبدالعزيز ..... الملقب بعز الدين ، المعروف بسلطان العلماء ، شيخ الإسلام والمسلمين وإمام عصره بلا مدافع ، وفريد زمانه بلا منازع ... كان ابن عبدالسلام علماً من الأعلام ، شجاعاً في الحق ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر فقيها أصولياً ، محدثاً ، خطيباً ، واعظاً ، أديباً شاعراً ، رقيق الحاشية ، حاضر النادرة ، محترماً ، وقوراً ، تخشى السلاطين والأمراء صولته وسلطانه ".

كتب عنه العلامة مصطفى السباعي : بعد أن عرض العصر الذي سبق العز ، وسكوت أكثر العلماء عن الجهر بالحق ، أو مسايرة الحكام ، أو اعتزال الحياة العامة قال : " في هذا الوسط المضطرب نشأ العالم العظيم "سلطان العلماء" عز الدين بن عبدالسلام ، فكان وجوده نسمة من نسمات الرجاء تهبُّ على قلوب اليائسين ، وعزمة من عزمات الإيمان ، تنبعث في أوساط المتخاذلين ، وومضة من ومضات النور تضيء الطريق للمدلجين في دياجير الظلام ، وسوطاً من سياط الحق يلهب الله به ظهور المتكبرين والمتجبرين والظالمين ، إن العز بن عبدالسلام من أعظم علماء الإسلام الذين تهزني دراسة آثارهم وسيرتهم هزاً عنيفاً " [2] .

---

(١) الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، نشر محمد أمين دمج وشركاه ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، (٢/ ٧٣).

(٢) رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، تقديم : مصطفى السباعي ، ص ٥ – ٦ .

وقـال رضـوان النـدوي[1] : ... وهنـاك جانـب لشخصـيته آخـر مشـرق .. وهـو ملكتـه الأصـيلة في فهـم الشـريعة وروحهـا ومقاصـدها فهمـاً راسـخاً شـاملاً عقليـاً دقيقـاً مبتكـراً بعـض الابتكـار وهـو مـن السـابقين الأول في حركـة "التقعيـد" في الفقـه الإسـلامي وتطـويره .. إلى أن قـال في الخاتمـة:"انتهينـا مـن البحـث في حيـاة سـلطان العلمـاء الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام ، فرأينـاه عالمـاً جلـيلاً يـدرس ويؤلـف ويفـتي وقاضـياً عـدلاً يحكـم ويقضـي ، وعرفنـاه عالمـاً مجاهـداً يوجـه ويرشـد ويعـترض وينتقـد الملـوك والأمـراء والعامـة علـى السـواء ، وهـو في هـذا يتحمـل الأذى والمشـقة ويتعـرض للخطـر والاضـطهاد ، فـلا يبـالي ولا يقـف ويواصـل النشـاط ، ويـدأب علـى العمـل ، ويقـيم علـى الحـق ويحـاول إقامتـه في المجتمـع حـتى قضـى ... وكـان بـذلك رجـل عصـره وموجّـه زمانـه وقـدوة لمـن بعده .

وذكـر أحـد البـاحثين[2] في مقدمـة بحثـه عـن العـز : " فـالعز بـن عبدالسـلام علـم مـن أعـلام الإسـلام ، ومـن كبـار المفكـرين في القـرن السـابع الهجـري ، وأحـد سـلاطين العلمـاء الـذين حـاربوا الظلـم والطغيـان ، وأمـروا بـالمعروف ، ونهـوا عـن المنكـر وغـيروه ، وهانـت عليهم أنفسهم في سبيل إعزاز الدين ، ونصرة المظلومين " .

وهـذا ممـا يـدعو للاعتـزاز بهـذا العـالم الجليـل فقـد كـان نجمـاً سـاطعاً في سمـاء العلـم والعلماء بما قدمه من إسهامات ثرّةٍ والتي كانت محطاً لتقدير العلماء .

---

(١) العز بن عبدالسلام ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٢)عبدالله الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ص ٧ .

الفصل الثاني

دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر الأيوبي .

المبحث الأول : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الفقهاء.

- موقف العز بن عبدالسلام من مبتدعي الحنابلة .
- موقف العز بن عبدالسلام من شيوع المنكرات والمظالم .
- مقاومة العز بن عبدالسلام للخارجين على التكاليف الشرعية بدعوى التصوف.

المبحث الثاني : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بالشام .

- موقفه من تنازع الأخوان الملكان الأشرف والكامل.
- موقفه من تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين .

المبحث الثالث : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بمصر.

- موقفه من السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي .
- موقف العز بن عبدالسلام مع أمراء المماليك .
- موقف العز بن عبدالسلام من وزير الدولة معين الدين .
- استنجاد السلطان الناصر داود بالعز بن عبدالسلام سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م
- دور العز بن عبدالسلام في معركة المنصورة .

مدخل :

مـر العـالم الإسـلامي في القـرنين السـادس والسـابع الهجـريين (الثـاني عشـر والثالـث عشـر الميلاديـين) بسلسـلة مـن الفـتن الداخليـة ، والحـروب الخارجيـة ، وانتشـرت الفـتن بـين مختلـف فئـات المجتمـع ، وحـوت هـذه العصـور كثـيراً مـن الاضـطرابات ، فكـان هنـاك صـلاح وفسـاد ، وعـزة وذل ، وعلـم وجهـل ، في مختلـف النـواحي ، علـى الـرغم مـن التشـتت الواضـح في أحـوال النـاس ، فقـد سـكت أكثـر العلمـاء عـن الجهـر بـالحق ، وقـاموا بمسـايرة الحكـام رغبـة ورهبـة ؛ ولأن العلـم والأحكـام الشـرعية ليسـت لمجـرد العلـم والـتعلم ، والفخـر والمتـاجرة ، إنمـا الهـدف منهـا أن يقـترن القـول بالعمـل ، والعلـم بـالتطبيق ، وتبعًـا لمـا قالـه – صـلى الله عليـه وسـلم – : " **لَا تَـزَالُ طَائِفَـةٌ مِـنْ أُمَّتِـي ظَـاهِرِينَ عَلَـى الْحَـقِّ لَا يَضُـرُّهُمْ مَـنْ خَـذَلَهُمْ حَتَّـى يَـأْتِيَ أَمْـرُ اللَّـهِ ، وَهُـمْ كَـذَلِك** "[(1)] فـإن هـذه العصـور لم تخـلُ مـن العلمـاء المسـلمين ، الـذين طلبـوا العلـم حـتى ارتـووا منـه ، فأخـذوا بيـد الأمـة في ظـلام الليـل الشـديد ، وعنـد اشـتداد الخطـب واضـطراب الأمـور ، يقومـون بـواجبهم في أداء الأمانـة ونشـر العلـم ، طـالبين رضـا خـالقهم ، لا يخـافون في الله لومة لائم.

في هـذا الجـو المضـطرب ، نشـأ الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام الملقـب بسـلطان العلمـاء ، فكـان مـن أبـرز علمـاء عصـره ، وأحـد منـارات الهـدى للأمـة ، إذ مـلأ الـدنيا بسـمعته العطـرة ، ومواقفـه المشـهودة ، واشـتهر بقوتـه في الحـق ، والزهـد في الـدنيا، والإخـلاص للأمـة ، والـدين ، وفهمـه العميـق للـدين الـتي تشـهد بـه فتاويـه ، وبعـده التـام عـن التعصب المذهبي ، وقد وقع له الكثير من الابتلاءات المشرفة .

كمـا عـاش العـز بـن عبدالسـلام عصـراً مضـطرباً — مـن الناحيـة السياسـية — ظهـرت فيـه أشـد الأخطـار علـى العـالم الإسـلامي فالصـليبيون مـن الغـرب ، والتتـار مـن الشـرق ،

---

(١) الإمام مسلم : صحيح مسلم ،(٣ /١٥٢٣) .

والخلافات والانقسامات من الداخل ، وانتشار السعي خلف المصالح الشخصية بين حكام الدولة الأيوبية ، وكان للعز بن عبدالسلام دور في التصدي لهذه الفتن كونه عالماً عاملاً بالعلم الذي تعلمه وتأثر به ، فأصبح له مكانة مهمة في المجتمع بسبب مكانته العظيمة عند السلاطين حيث إنه استطاع أن يملك الجميع بإخلاصه لهذا الدين العظيم [1].

(١) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص٢٣.

المبحث الأول : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الفقهاء :

- موقف العز بن عبدالسلام من مبتدعي الحنابلة .

تعد فتنه الحنابلة[1] من أهم الأحداث وأشد الابتلاءات التي مرت في حياة العز بدمشق[2] ، إذ تمثل أول صدام واجهه مع السلطان الأشرف الأيوبي وعلماء عصره من الحنابلة بعد أن ذاع صيته ، واشتهر بعلمه .

حيث كان العز بن عبدالسلام من أتباع فرقة الأشاعرة[3] ، وأهل السنة والجماعة في العقيدة وصفات الله تعالى ، ومنها صفة الكلام ، أُثر عنه قوله : إن كلام الله

---

(١) الحنابلة : هم أتباع الإمام أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي وهو أحد المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة عند أهل السنة . ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت : ٢٤١هـ/٨٥٥م) : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد بن محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، (١ /٤٠) .

(٢) سجل السبكي تفاصيل هذه الفتنة بالتفصيل ناقلاً عن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ العز (ت : ٦٩٥هـ/١٢٩٦م) حيث يعد أقرب المصادر إلى عصر العز ، ولم يحدد السبكي تاريخ وقوع الفتنة ولكن غالب الظن أنها وقعت قبل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، وهي السنة التي توفي فيها السلطان الأشرف . طبقات الشافعية (٨ /٢١٨ – ٢٤١) . وأشار إلى هذه الفتنة باختصار ابن واصل في مفرج الكروب (٥ /١٤١ – ١٤٢) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢ /١٦٢) وغيرهم .

(٣) الأشاعرة : هم فرقة كلامية إسلامية ، تنسب لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م ، والذي خرج على المعتزلة ، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم ؛ لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب ، وهم أول من سموا بأصحاب مذهب أهل السنة والجماعة . السمعاني ، أبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني التميمي (ت : ٥٦٣هـ/١١٦٧م) : الأنساب ، تحقيق : عبدالله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، (١ /٢٧٣) ؛ الحنفي ، محي الدين عبدالقادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن أبي الوفاء (ت : ٧٥٥هـ/١٣٧٣م) : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، (٢/٥٤٤) ؛ مصطفى الشكعة : إسلام بلامذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص٤٨٩ – ٤٩٠ ؛ الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، إشراف وتخطيط =

تعالى معنى قائم بذاته ، قديم أزلي ، وليس بحرف ولا صوت[1] خلاف بعض الحنابلة الذين يعرفون بالحشوية[2] ، ويقولون بالتجسيم – أي تجسيم صفات الله – وكثيراً ما تقع المناظرات والخلافات والفتن بسببها[3] .

وقد عرف السلطان الأشرف بميله إلى المحدثين والحنابلة [4] ؛ قال ابن واصل[5] : وقعت فتنة بدمشق بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد ، ووقف الشيخ العز بن عبدالسلام ضد الحنابلة لميله لمذهب أبي الحسن الأشعري .

ولما عرف السلطان الأشرف مكانة الشيخ العز بن عبدالسلام العلمية وصلابته الدينية أحبه وصار يلهج بذكره ، ويؤثر الاجتماع به ، والشيخ لا يجيب إلى الاجتماع[6] .

= ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ ، (١ /٨٣) .

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٣) .

(٢) الحشوية : طائفة من المبتدعة ، وسمّوا بذلك لأنّهم يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في الأحاديث المرويّة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أي : يدخلونها فيها وليست منها ، وقيل : هم قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور ، وكذا قال بعضهم ، وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما وجد قولهم ساقطاً ، وكانوا يجلسون في حلقته أمامه: " رُدُّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة "، أي : جانبها . ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي (ت : ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني) ، تقديم : فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد ، اعتنى به : علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، د.ت ، (١ /٢٣٤) ؛ محمد بن عبدالرحمن المغراوي : موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا) ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع بالقاهرة ، النبلاء للكتاب بمراكش ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، (٩ /٢٠٦) .

(٣) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص١٦٤ .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٢٦/٢٢) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /١٤١) .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٨) .

فقد كان بعض علماء الحنابلة لا يرغبون الشيخ العز بن عبدالسلام ويدسون له عند السلطان الأشرف ويقولون عنه إنه أشعري العقيدة ، يقول بالحرف والصوت ، فأرادوا أن يوقعوا بينه وبين السلطان الأشرف ، فكتبوا له سؤالاً في مسألة الكلام والقرآن هل هو حرف وصوت أم لا ؟ فأحس العز أن هذه الفتيا قد كتبت امتحاناً له ، وقال والله لا كتبت فيها إلا الحق ولم يخش من مخالفة رأى السلطان الأشرف الذي كان يعتقد ويؤمن بما تراه الحنابلة بأن كلام الله قديم أزلي فكتب في ذلك العقيدة المشهورة – ملحة الاعتقاد – رد فيها على الحنابلة ، ومما جاء فيها :

" الحمد لله ذِي العزة والجلال والقدرة والكمال والإنعام والإفضال الواحد الأحد الفرد الصَّمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر ولا يشبه شيئاً ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات .... حيّ مريد سميع بصير عليم قدير متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مداداً في الألواح والأوراق شكلاً ترمقه العيون والأحداق كما زعم أهل الحشو والنفاق بل الكتابة من أفعال العباد "[1] .

" ولا يخرج عن هذا الاعتقاد ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد من أهل الملل إلا من خذله الله فاتبع هواه وعصى مولاه أولئك قوم قد غمرهم ذل الحجاب وطردوا عن الباب وبعدوا عن ذلك الجناب وحق لمن حجب في الدنيا عن إجلاله ومعرفته أن يحجب في الآخرة عن إكرامه ورؤيته "[2] .

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٩) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٢١ – ٢٢٢) .

" ومـذهب السّـلف إنمـا هـو التوحيـد والتنزيـه دون التجسـيم والتشـبيه ولـذلك جميـع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السّلف "[1] .

" والعجـب ممـن يقـول القـرآن مركـب مـن حـرف وصـوت ثم يـزعم أنـه في الـمصحف ولـيس فِي الـمصحف إلا حـرف مجـرد لا صـوت معـه إذ لـيس فيـهِ حـرف مكتـوب عـن صـوت فـإن الحـرف اللفظـي لـيس هـو الشـكل الكتـابى ولـذلك يـدْرك الحـرف اللفظـي بـالآذان ولا يشـاهد بالعيـان ويشـاهد الشـكل الكتـابي بالعيـان ولا يسـمع بـالآذان ومـن توقـف فِي ذلـك فـلا يعـد مـن العقـلاء فضـلاً عـن العلمـاء فـلا أَكثـر الله فِي المسـلمين مـن أهل الْبدع والأهواء والإضلال والإغواء "[2] .

وعنـدما فـرغ مـن كتابتـه الفتيـا فـرح خصـومه بهـا فأخـذوها وطـاروا بهـا إلى الملـك الأشـرف فلمـا وقـف عليهـا السـلطان استشـاط غضـباً ، وقـال : صـح عنـدي مـا قـالوه عنـه ، وكفـره ، وتكلـم عنـه بأبشـع الكـلام ، وكـان ذلـك في رمضـان عنـد الإفطـار ، وأثنـاء وجـود عامـة الفقهـاء مـن جميـع الأقطـار ، ولم يـرد عليـه أحـد مـنهم ، بـل قـام بعـض أعيانهم بإظهار فتواهم بموافقته[3] .

وقـام الشـيخ العلامـة جمـال الـدين أبـو عمـرو بـن الحاجـب المـالكي ، وأعلـن تأييـده لـرأي العـز بـن عبدالسـلام ، واجتمـع بالقضـاة والعلمـاء والأعيـان الـذين كـانوا في مجلـس السـلطان الأشـرف ، وحضـروا هـذه القضـية ، فشـدد علـيهم النكـير ، وقـال : " العجـب أنكـم كلكـم علـى الحـق ، وغـيركم علـى الباطـل ، ومـا فـيكم مـن نطـق بـالحق ، وسـكتم ومـا انتخيـتم لله تعـالى وللشـريعة المطهـرة ، ولمـا تكلـم مـنكم مـن تكلـم قـال : السـلطان

(١) السبكي طبقات الشافعية (٨ /٢٢٢) .

(٢) عبـداللطيف بـن عبـدالعزيز بـن عبدالسـلام (ت : ٦٩٥هـ/١٢٩٦م) : إيضـاح الكـلام فيمـا جـرى للعـز بـن عبدالسـلام في مسـألة الكـلام ، طبـع مـن نسـخة محمـد زاهـد ، دار الأنـوار ، مصـر ١٣٧٠هـ ، ص٤ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٢٤).

(٣) عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام : إيضاح الكلام ، ص٥ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٢٩) .

أولى بالصفح والعفو ، ولا سيما في مثل هذا الشهر وهذا غلط ، يوهم الذنب ، فإن العفو والصفح لا يكونان إلا عن جرم وذنب ، أما كنتم سلكتم طريق التلطف ، بإعلام السلطان ، بأن ما قال ابن عبدالسلام مذهبكم ، وهو مذهب أهل الحق ، وأن جمهور السلف والخلف على ذلك ، ولم يخالفهم فيه إلا طائفة مخذولة ، يخفون مذهبهم ويدسونه على تخوف ، إلى من يستضعفون علمه وعقله ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1]"[2] .

وظل الشيخ جمال الدين بن الحاجب يعنفهم ويوبخهم إلى أن اصطلح معهم على أن يكتب فتيا بصورة الحال ويكتبوا فيها بموافقة العز بن عبدالسلام فوافقوه على ذلك وأخذ خطوطهم بموافقته[3] .

بعد ذلك طلب العز بن عبدالسلام من السلطان الأشرف أن يعقد مجلساً للشافعية والحنابلة ويحضره المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين ، وذكر له موافقة العلماء الذين كانوا بمجلسه على فتياه ، وقال : " الذي نعتقد فِي السلطان أنه إذا ظهر له الحق يرجع إليه وأنه يعاقب من موه الباطِل عليه وهو أولى الناس بموافقة والده السلطان الملك العادل تغمده الله برحمته ورضوانه فإنه عزّر جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة[4] تعزيراً بليغاً رادعاً وبدع بهم وأهانهم "[5] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٤٢ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٠) .

(٣) عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام : إيضاح الكلام ، ص٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٠) .

(٤) (الحنابلة المبتدعة) أو (مبتدعة الحنابلة) أو (حشوية الحنابلة) هي أوصاف يطلقها العلماء على الحنابلة الذين خالفوا مذهبهم ومذهب أهل السنة والتحقوا بمذهب الحشوية المجسمة ، حيث انتشر التجسيم في الحنابلة أكثر من غيرهم ، فأصبح العلماء يفرقون بين فضلاء الحنابلة كالإمام أحمد بن حنبل وأكابر أصحابه وأتباعه ، وبين حشوية الحنابلة . عبدالسلام بن مازن أبو خلف : العقيدة الإسلامية عند سلطان العلماء ، ص٢٩ .

(٥) عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام : إيضاح الكلام ، ص٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٠) .

وكانت رسالة العز تلك ، ومطالبة السلطان بعقد مناظرة ، أمراً استثار غضبه ، مما جعله يرد في الحال قائلاً :

" بِسم الله الرحمن الرحيم وصل إلي ما التمسه الفقيه ابن عبدالسلام أصلحه الله من عقد مجلس وجمع المفتين والفقهاء وقد وقفنا على خطه وما أفتى به وعلمنا من عقيدته ما أغنى عن الاجتماع به ونحن فنتبع ما عليه الخلفاء الراشدون الذين قال – صلى الله عليه وسلم – في حقهم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ... "[1] .

حاول السلطان أن يدافع عن عقيدته ، ويثبت اتباعه للخلفاء الراشدين ، وتطبيقه لسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وكان بين ثنايا الرسالة اتهام خفي للعز بأنه يثير الفتنة ، وادعاء اجتهاده لمذهب خامس في العقيدة .

ولما وصلت الرسالة للعز قرأها وطواها ، ولم يرد أن يثير ضجه أو يتصرف بغير حكمة ، وقال للرسول : قد وصلت وقرأتها وفهمت ما فيها فاذهب بسلام ، فقال الرسول : قد تقدّمت الأوامر السلطانية إليّ بإحضار جوابها ، فشرع العز بكتابة الجواب بأشد منها وأبلغ من سابقتها ، ومما جاء فيه :

– الحمد والثناء لله تعالى .

– بيان أن طلب المجلس وجمع العلماء لم يكن إلا للنصح للسلطان وعامة المسلمين.

– أن الفتيا التي كتبها في هذه القضية يوافق عليها علماء المسلمين من المذاهب الأربعة.

– أن حضور العلماء للمجلس إثبات لصحة ما قاله العز بن عبدالسلام .

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٠ – ٢٣١) .

- نفى استهانة مذهب الأشاعرة بالمصحف ، بل أكد على وجوب تعظيمه عند الأشاعرة والمسلمين كافة .

- أثبت أن المذهب هو كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

- ذكر أن رد البدع وإبطالها ليس من إثارة الفتن ، بل هو واجب على العلماء .

- ذكر أن ما دفعه على قول ما قاله هو نصرة دين الله[١] .

وكان العز يكتب الرسالة وهو مسترسل من غير توقف ولا تردد ، فلما انتهى من كتابتها طواها وختمها ، ثم أرسلها إلى السلطان الأشرف ، وكان عنده أحد العلماء الفضلاء ، ممن يحضر مجلس السلطان ، فاطلع على الرقعة التي وردت من السلطان تغير لونه ، وظن أن الشيخ يعجز عن الجواب ، من شدة الخطاب ، لكن عندما بدأ الشيخ بالرد مسترسلاً عجلاً وهو يشاهد ما يكتبه ، بطل عنده ما كان يحسبه ، وقال له ذلك العالم : لو كانت هذه الرسالة التي وصلت إليك وصلت إلى قُس بن ساعدة - حكيم العرب في الجاهلية - لعجز عن الجواب ، وعدم الصواب ، ولكن هذا تأييد إلهي[٢] .

فلما عاد الرسول سلم الرسالة إلى السلطان الأشرف وقرئت عليه ، اشتدت استشاطته ، وعظم غضبه ، فاستدعى أستاذ داره الغرز[٣] خليلاً وحمله رسالة إلى

---

(١) عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام : إيضاح الكلام ، ص٧ - ٨ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣١ - ٢٣٤) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٤) .

(٣) الغرز : كلمة مدح وتعظيم وثناء ، ومعناها المجازي : مكان الخير والسعادة ، قال الزمخشري : " اطلب الخير في مغارسه ومغارزه ، وابغ الكرم في معادنه ومراكزه " . الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت : ٥٣٨هـ/١١٤٣م) : أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، (١ /٦٩٩) ؛ محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص١٠٩ .

العز ، وأوصاه بأحضار الرد سريعاً ، وكان الغرز يحب العز ويؤمن باعتقاده ، وجاء في الرسالة أن يبلغه أن السلطان الأشرف اشترط عليه ثلاثة شروط ، أحدها : أنه لا يفتي ، والثانية : لا يجتمع بأحد ، والثالثة : أنه يلزم بيته[1] .

قبل العز هذه الشروط بصدر رحب ، وروح صابرة ، وكأنه كان ينتظر هذا الأمر ، وقال : يا غرز إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة عليّ المستوجبة للشكر لله تعالى على الدوام ، أما الفتيا فإني والله كنت متبرماً بها وأكرهها ، واعتقد أن المفتي على شفير جهنم ، ولولا أني أعتقد أن الله أوجبها عليّ في هذا الزمان لما كنت تلوثت بها ، والآن فقد عذرني الحق ، وسقط عني الوجوب ، وتخلصت ذمتي ولله الحمد والمنّة ، وأما ترك اجتماعي بالناس ولزومي بيتي فهذا من سعادتي لتفرغي لعبادة الله تعالى ، والسعيد من لزم بيته وبكى على خطيئته واشتغل بطاعة الله تعالى ، فلما وصل كلام العز إلى الأشرف قال : " قولوا لي ما أفعل به ؟ هذا الرجل يرى العقوبة نعمة ، اتركوه بيننا وبينه الله "[2].

ثم لزم بيته ، وفعل ما أمر به السلطان ، وبقي على تلك الحال ثلاثة أيام ، حتى تدخل الشيخ العلامة جمال الدين الحصيري[3] شيخ الحنفية في زمانه ، بذهابه إلى الأشرف الذي استبشر به ، وقدم إليه شراباً وناوله إياه بيده ، فقال : ما جئت إلى

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٣٤ - ٢٣٥) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٣٥) .

(٣) جمال الدين الحصيري : محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري ، أبو المحامد ، المعروف بالحصيري نسبة إلى محلّه ببخارى يعمل فيها الحصير كان ساكنا بها ، ولد سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م ، ببخارى ، تفقه في بلده وسمع الحديث ، ثم قدم إلى الشام ودرس بالنوبة ، وحدث وأفتى ، وروى مؤلفات محمد بن الحسن وتفرد برواياتها ، وانتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي بدمشق أيام الملك المعظم عيسى ، وصنّف الكتب الحسان ، الجامع الكبير. وكان كثير الصدقة غزير الدّمعة نزهاً عفيفاً ، توفي يوم الأحد سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ، ودفن بمقابر الصوفية وله تسعون سنة . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٦٧؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٦ /٣١٣) ؛ الحنفي : الجواهر المضية (٢ /١٥٥) .

طعامك ولا إلى شرابك ، فرد عليه : يرسم الشيخ ونحن نمتثل أمره ، فقال له : " إيش بينك وبين ابن عبدالسلام ، وهذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان أن يسعى في حلوله في بلاده ، لتتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك "[1] .

قال الأشرف : عندي خطّه باعتقاده في فتيا ، وخطّه أيضاً في جواب رقعة سيّرتها إليه ، فيقف الشيخ عليهما ، ويكون الحكم بيني وبينه ، ثم أحضر السلطان الورقتين فوقف عليهما ، وقرأهما إلى آخرهما ، ثم قال : هذا اعتقاد المسلمين ، وشعار الصالحين ويقين المؤمنين ، وكل ما فيهما صحيح .

فقال الأشرف : نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارطة في حقه ، والله لأجعلنه أغنى العلماء ، وأرسل السلطان إلى الشيخ العز يسترضيه ويطلب محاللته ومخاللته ، فانكسرت المبتدعة بعض الانكسار وأصدر السلطان قراراً للفريقين بالإمساك عن الكلام في مسأله الكلام وألا يفتي أحد فيها بشيء سداً لباب الخصام[2].

وبعد ذلك وصل السلطان الكامل إلى دمشق ، وهو من المتعصبين لمقولة الأشعري في الصوت والحرف وكان يتابع الواقعة المثارة بدمشق فطلب الاجتماع بالشيخ العز بن عبدالسلام فاعتذر منه ، فطلب أن يكتب له صورة الواقعة مستقصاة ، فأمر ولده

---

(١) عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام : إيضاح الكلام ، ص١٠ ؛ النويري : نهاية الأرب (٧٤/٣٠) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٣٧) .

(٢) النويري : نهاية الأرب (٣٠ /٧٤) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٣٦-٢٣٧) ؛ أحمد بن محمد عدوان : دور العلماء في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (٤٩١ – ٦٩٢هـ/١٠٩٧ – ١٢٩٢م) ، الجمعية التاريخية السعودية ، بحث محكم من اللدراسات التاريخية والحضارية ، الإصدار الحادي عشر ، صفر ١٤٢٢هـ/ مايو ٢٠٠١م ، ص ٢٢ ؛ عبدالفتاح بن عبدالله عاشور : جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (٤٩١ – ٦٩٢هـ/١٠٩٧ – ١٢٩٢م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية الآداب ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص ٣٥.

الشيخ شرف الدين أن يكتب ذلك من أوله إلى آخره ففعل ، وأرسله إلى السلطان الكامل فقرأه وكتمه ، ثم سأل أخاه الملك الأشرف عن الواقعة ، فقال: منعت الطائفتين من الكلام فى المسألة ، وانقطع بذلك الخصام ، فقال له السلطان الكامل : " ليست هذه سياسة حسنة ، تساوي بين أهل الحق والباطل ، وتمنع أهل الحق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتأمرهم أن يكتموا ما أنزل الله إليهم ، كان الطريق أن تمكن أهل السنة أن يلحنوا بحججهم وأن يظهروا دين الله إلى غير ذلك من الكلام ، وتحقق الملك الأشرف صحة ما قاله الشيخ "[1] ، ويبدو أن الأشرف قد أخذ بنصيحة أخيه الكامل فصار الأشرف يترضى الشيخ العز ويعمل بفتاويه ، وطلب من العز أن يقرأ عليه بعض تصانيفه مثل ((الملحة في اعتقاد أهل الحق)) وغيرها ..وصرح بخجله وحيائه من الشيخ وقال : لقد غلطنا في حق ابن عبدالسلام غلطة عظيمة ، حتى أن السلطان الأشرف طلبه في مرض موته لنصحه ومحاللته والدعاء له ، فدعا له [2] .

وانتهت فتنة الحنابلة الذي وقع بها الصدام الأول للعز بن عبدالسلام مع الحكام والتي اتضح من خلالها قوة شخصيته في الحق وشدته ، وحزمه ودفاعه عن الدين وجرأته في قول الحق فهو لا يخاف في الله لومة لائم .

كما يستفاد من هذه الحادثه أن العز بن عبدالسلام مدرسة شامخة في فهم مقاصد الشريعة وفقه المصالح والمفاسد وفك الاشتباك بين السياسة الشرعية وغيرها ، وإذا كانت السياسة الشرعية تهدف وتحرص على أمرين مهمين وهما : حفظ الدين وإقامته ، وقيادة الدين للسياسة[3] .

---

(١) النويري : نهاية الأرب (٣٠ /٧٤ – ٧٥) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٣٩-٢٤١) .

(٣) علي بن محمد الصلأبي : الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، ص٤ .

وبناءً على هذين الهدفين قام العز بن عبدالسلام بدوره الكبير في السياسة الشرعية مع السلطان الأشرف في فتنة الحنابلة ، فقد كان العز بن عبدالسلام ثابتاً وقوياً لم يتردد في بيان الحق وتوضيحه كاملاً عند سؤاله في اعتقاده ، وفي المقابل عندما قرر السلطان عقابه لم يحتج ولم يرفض ليبين أن هدفه هو بيان الحق ، بعيداً عن فرض النفس والمعارضة غير الهادفة ، مدركاً أن في طاعته للسلطان الأشرف الذي اشترط عليه ألا يفتي ولا يجتمع بأحد وأن يلتزم بيته ، استجابة لولي الأمر واستبعاداً عن إثارة المشاعر الدينية لدى عامة الناس وتحريضهم عليه .

كما نلحظ ظهور جانبٍ من شخصية العز بن عبدالسلام العلمية في الإيمان والعقيدة توضح جزءاً من آرائه ومعتقداته الدينية ، وتحدد موقف العلماء بالبيان والدعوة والجهاد باللسان وإخلاص العمل لله ولو سخط الناس وكان العز قد التزم ذلك بنفسه وطبقه في رسالته .

وعلى أي حال أثرَّت هذه الفتن في نفوس معاصريه من العلماء ، غير أنها طمأنت العز بن عبدالسلام بأن علماء الأمة يؤمنون بأن الفتن وإن اشتدت سيغلبها الحق يوماً .

– موقف العز بن عبدالسلام من شيوع المنكرات والمظالم .

كان العز بن عبدالسلام يصدع بالحق ، ويعمل به متمسكاً في الدين لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يخاف سطوة ملك ولا سلطان ، بل يعمل بما أمر الله ورسوله ، وما يقتضيه الشرع المطهر[1] .

---

(١) اليافعي : مرآة الجنان (١١٧/٤)

ويعد العز بن عبدالسلام أحد سلاطين العلماء الذين حاربوا الظلم والطغيان ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وهانت عليهم أنفسهم في سبيل إعزاز الدين ونصرة المظلومين[1] .

ولقد انتهز العز مجالسته للسلطان الأشرف لما يعود على الأمة بالفائدة ، والمصلحة العامة ، حينما قال له الأشرف : زدني من نصيحتك ووصاياك .

فقال له العز : السلطان في مثل هذا المرض ، وهو على خطر ، ونوابه يبيحون فروج النساء ، ويدمنون الخمور ، ويرتكبون الفجور ، ويتنوعون في تمكيس[2] المسلمين ، ومن أفضل ما تلقى الله به أن تتقدم بإبطال هذه القاذورات ، وإبطال كل مكس ، ودفع كل مظلمة ، وواصل العز حثه للأشرف على أن يتقدم بإبطال المنكرات ، فأمر السلطان بإبطال ذلك كله ، وقال له : جزاك الله عن دينك وعن نصائحك ، وعن المسلمين خيراً ، وجمع بيني وبينك في الجنة بمنه وكرمه ، وأطلق له ألف دينار مصرية ، فردها العز على الأشرف وقال : هذه اجتماعة لله لا أكدرها بشيء من الدنيا ! وودع الشيخ السلطان ، وانصرف إلى البلد ، وقد شاع عند الناس مادار بين العز بن عبدالسلام والسلطان ، حتى باشر الشيخ بنفسه إبطال بعض المنكرات[3] .

يتضح من خلال ما سبق حرص العز بن عبدالسلام على تقديم النصيحة لولاة الأمر إذا ظهرت المنكرات ، كما كان يستثمر المواقف حتى يُتقبل منه ومن ثم يكون

---

(1) علي بن محمد الشريف : شيخ الإسلام العز بن عبدالسلام حياته وآثاره (٥٧٧ – ٦٦٠هـ) ، مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها ، ١٩٨٣م ، ص ٤٦٢ .

(2) المكس : ما يأخذه العشار ، يقول كل من باع شيئاً أخذ منه الخراج أو العشر ، وهي الضريبة التي يأخذها الماكس أو العاشر ويقال له ((العشار)) وبيت المكس . ابن منظور : لسان العرب (٦ /٢٢١) ؛ عباس العزاوي : تاريخ الضرائب العراقية ، شركة التجارة والطباعة ، بغداد ، ١٩٥٩م ، ص ١١ .

(3) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤١) ؛ عبدالفتاح عاشور : جهود علماء مصر والشام ، ص١٢٢.

الأثر واضحاً فتصلح الأمه وتبقى قوية ومتماسكة ، فالمؤمن مرآة لأخيه المؤمن يبصره بعيوبه ، ويرشده إلى منفعته ولاسيما إذا كان سلطاناً أو أميراً ؛ لأن في صلاحه صلاحاً للمجتمع بأسره[1] ، امتثالاً لما جاء في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " المؤمن مرآة المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه"[2].

كما أن موقف العز مع السلطان الأشرف مشابه لما يفعله عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، حيث كان يسأل سلمان عن عيوبه ويقول : " رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي "[3].

فمن خلال ذلك تبين لنا أن العز بن عبدالسلام لم يكن في دعوته للسلطان الأشرف ونصحه إياه يرجو تقرباً إليه أو كسباً مادياً أو معنوياً منه ، بل كان يود الخير والنفع له ولعامة المسلمين ، فقد كان مدركاً الغاية العظمى وهو أن في صلاحه صلاحاً لرعيته .

ويجب على طالب العلم والعامل به الاقتداء بما فعله العز بن عبدالسلام مع السلطان الأشرف بأن يديم مناصحة ولاة الأمر والمسلمين عامة ، ويحسن تصرفهم ويقضي حاجتهم ويرحم عبرتهم ويقبل عثرتهم ، ويحفظ خلتهم ، ويرعى ذمتهم ، ويجيب دعوتهم ، ويواليهم ، ولا يعاديهم ، ويكفهم عن ظلمهم لغيرهم .

---

(١) وفي معرض ذلك قال سعيد بن المسيب : " لو كانت لي دعوة مستجابة لادخرتها للسلطان " . هاشم ابن جميل عبدالله : فقه الإمام سعيد بن المسيب ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٥هـ ، ص ١٢٦ .

(٢) البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت : ٢٥٦هـ/٨٧٠م) : الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ٩٣ ؛ أبو داود : سنن أبي داود ، (٤ /٢٨٠) ؛ الألباني ، أبو عبدالرحمن بن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي (ت : ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (٢ /٥٩٦) .

(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين (٣ /٦٤) .

– مقاومة العز بن عبدالسلام للخارجين على التكاليف الشرعية بدعوى التصوف[1] .

لقد عاب العز بن عبدالسلام ما وصل إليه بعض الصوفية[2] من التحلل من التكاليف الشرعية ومن ثم التحلل من أخلاقيات الدين ، حتى وصل بعضهم إلى خرافات يندى لها الجبين مما أدى إلى ارتكابهم الموبقات ، ومنهم أتباع الشيخ علي الحريري[3] ، فعظم أمره وكثر أتباعه وأقبل على المطيبة[4] والراحة[5]

---

(١) التصوف : يقول الإمام الغزالي : هو علم طريق الآخرة ، وعلم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة أو المذمومة ، وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه . ويقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : التصوف هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية . الغزالي : إحياء علوم الدين (١ /٣٦) ؛ رياض بن صالح علي حشيش : الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (٤٩٢ –٦٩٠هـ/١٠٩٨–١٢٩١م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية الآداب ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص٣٩ .

(٢) الصوفية : هي من جملة الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عَن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات ... والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي . ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ص ١٤٥ . وقيل : " فلمّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة " . ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت : ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، (١ /٦١١) .

(٣) علي الحريري : أبو محمد بن أبي الحسن علي بن مسعود الدمشقي الفقير ، المعروف بالحريري ، حوراني الأصل ، من عشيرة يقال لهم بنو الزمان ، ولد بقرية بسر إحدى قرى حوران ، وقدم إلى دمشق نشأ وتعلم بها ، تظاهر بالتصوف ، مع مجاهرته بالزندقة وانتهاك الحرمات ، توفي سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص١٨٠ ؛ الذهبي : العبر (٣ /٢٥٢) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٢٩٤) ؛ الزركلي : الأعلام (٤ /٢٧٩) .

(٤) لم أقف على تعريفٍ لها .

(٥) الراحة : من الاستراحة ، وهذا اللفظ غالباً ما يطلق على من يجلسون ويشربون الخمر . ابن منظور : لسان العرب (٢ /٤٦١) ؛ الزبيدي : تاج العروس (٤ /٦٢) .

والسماعات[1] وبالغ في ذلك ، اتبعه طائفة من الناس يقال لهم : الحريرية وابتنى لهم زاوية[2] على الشرف القبلي بدمشق ، فأ نكر عليه العز بن عبدالسلام وسانده تقي الدين بن الصلاح وأبو عمرو بن الحاجب ، وقد أفتوا بقتله ، لما اشتهر عنه الاستخفاف بأمور الشرع[3] ، وترك الصلاة ، وانتهاك الحرمات ، وقذف الأنبياء ، وكان الحريريون يلبسون الزي المنافي للشريعة[4] وباطنهم شر من ظاهرهم إلا من رجع إلى الله تعالى منهم ، وظهر بينهم من الفسق والفجور شئ كثير وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء الدماشقة ، وصاروا على زي أصحابه وتبعوه بسبب أنه كان خلع العذار[5]ويجمع مجلسه الغناء الدائم والرقص .. وترك الإنكار على ذلك فيما يفعله كما ترك الصلوات ، وأضل خلقاً كثيراً من الناس[6] .

إلا أن ما حدث بعد فتنة الحنابلة التي حصلت مع العز وانتهت بانتصاره عليهم واقتناع السلطان الأشرف بالعز واعتذاره منه وعودة الملك إلى صوابه ، حتى صار

---

(١) السماعات : وهو السماع بمعنى الغناء حيث الصوفية يعقدون حلق الذكر يتغنون فيها بالمدائح النبوية . عبدالمنعم الحنفي : معجم مصطلحات الصوفية ، بيروت ، دار السيرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص١٣٣.

(٢) الزاوية : جمعها زوايا ، وهي كلمة تطلق على المسجد يصير فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح والعبادة ، ويقوم بوظيفة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه ، ولا يوجد فيه منبر أو مئذنة ، وقد يوجد فيه محراب . ابن منظور : لسان العرب (١٤ /٣٦٥) ؛ محمد بن أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٨٥ .

(٣) كان الحريري يقول : " لو دخل مريدي بلد الروم ، وتنصر وأكل لحم الخنزير ، وشرب الخمر كان في شغلي " وكذلك يقول : " لو ذبحت بيدي سبعين نبياً ما اعتقدت أني مخطئ " . ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) : تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : أحمد رفعت الراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٠م ، (٢ /١٧٣) .

(٤) سماه أبو شامة " لباس خارج عن الشريعة " . الذيل على الروضتين ، ص ١٨٠ .

(٥) خلع العذار : أي ترك الحياء ، يضرب للشباب المنهمكِ في غيه ، ويقال : ألقى عنه جلباب الحياء ، كما خلع الفرس العذار . الزبيدي : تاج العروس (١٢ /٥٤٨) .

(٦) أبو شامه : الذيل على الروضتين ، ص ١٨٠ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر (٢ /١٧٣ – ١٧٤) ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار (٨ /٢٣٤) ؛ الكتبي : فوات الوفيات (٣ /٩) .

يعمل بفتاويه ، مما مكُن الشيخ العز أن يجعل السلطان الأشرف يتخذ قرار حبس الحريري سنة ٦٢٨ هـ/١٢٣٠م ، فحبسه بقلعة عزتا[١] واستمر فيها حتى أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق فلزم بلده قرية بسر[٢] ، واستمر بها حتى وفاته سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م ، وكان الناس يترددون إليه في الحبس ، فأنكر العز بن عبدالسلام ، والفقهاء ذلك ، وطلبوا من الوزير ابن مرزوق[٣] أن يفعل الواجب فيه ، وإلا قتلوه . وكانت بيئته بيئة فساد [٤]، حتى أن أصحابه بعد وفاته بدأوا بإحياء ليلة سبع وعشرين[٥] من كل رمضان ، بالدفوف و آلات اللهو والرقص إلى آخر الليل ، على الرغم من أنها من الليالي الشريفة التي يتوجب على الإنسان أن يستثمرها بالتقرب إلى الله والإكثار من العبادات[٦] .

وفي التصدي الحازم الذي وقفه العز بن عبدالسلام ضد هذا المبتدع الذي أضل بطريقته كثيراً من الناس ، نجد الصمود والثبات واقتران القول بالعمل عندما ظهر في تهديده للوزير ابن مرزوق حيث أصر على قتل الحريري إن لم يوقفه الوزير عند حده ؛

(١) قلعة عزتا : قلعة قرب دمشق بجوار نهر بردى وقرب عين الفيجه التي تبعد عن دمشق أربعة وعشرين كيلو متراً غرباً . ابن شداد : الأعلاق الخطيرة (١ /٣٥٦) الحاشية رقم (٦) ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان (٣ /٤٣٢) .

(٢) بسر : قرية من أعمال حوران في أراضي دمشق بموضع يقال له اللحا ، وهو صعب المسلك ، إلى جنب زرة التي تسميها العامة زرع . ياقوت الحموي : معجم البلدان (١ /٤٢٠) .

(٣) ابن مرزوق : إبراهيم بن عبدالله بن هبة الله بن مرزوق الصاحب صفي الدّين العسقلاني التاجر، سمع من عبدالله بن مجلي ، وأجاز له جماعة وكان فيه عقل ودين، ولد سنة ٥٧٧ هـ/١١٨١م ، وكان من ذوي الهمم العالية ، وله من الأموال والمتاجر الشيء الكثير ، وقد وزر بدمشق للأشرف موسى بن العادل ، توفي بمصر في ذي القعدة سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م . الصفدي : الوافي بالوفيات (٦ /٢٨) .

(٤) الذهبي : العبر (٣ /٢٥٢) ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر (٢ /١٧٣ – ١٧٤) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٢٩٤) .

(٥) سن أصحابه المحيا ؛ لأنه كانت وفاته يوم ست وعشرين من شهر رمضان . الذهبي : العبر (٣ /٢٥٢) ؛ الكتبي : فوات الوفيات (٣ /٩) ؛

(٦) الكتبي : فوات الوفيات (٣ /٩) .

لأن بقـاءه واسـتمراره علـى غيـه خطـر علـى عقيـدة النـاس ؛ ولأن طريـق الحـق مسـتقيم قويم ، سار عليه وانتهى بنصره .

ولا شـك أن العـز بـن عبدالسـلام قـد رام وراء ذلـك التصـدي لمثـل هـذه الانحرفـات لئلا يطمع الباغون ويتقوى المفسدون .

وهكـذا تبـين لنـا مـن خـلال ماتقـدم دور العـز بـن عبدالسـلام البـارز في الـرد علـى أهـل البدع والتيارات الضاله وما لجهوده من أثر بالغ في مقاومتهم والحد من خطرهم[1] .

---

(١) ناصر الحازمي : الحياة العلمية في دمشق ، ص ٩٠ .

المبحث الثاني : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بالشام.

– موقفه من تنازع الأخوان الملكان الأشرف والكامل .

وقع بين السلطان الأشرف وبين أخيه السلطان الكامل ابني العادل خلاف كبير سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م ، عندما طلب الأشرف من أخيه الكامل إقطاعه مدينة الرقة[١] ؛ لتكون قوة له ومكان علفٍ لدوابه ، فامتنع الكامل من إعطائها له ، وفي الوقت نفسه استولى الكامل على معظم أملاك الأشرف في شرق الشام نظير تنازله عن دمشق في مؤامرة بينهما ضد ابن أخيهما الناصر داود بن المعظم[٢] .

وفي غمرة هجمات التتر على الشرق الإسلامي تداعت شدة التصعيد بين الأخوين حتى أن السلطان الأشرف أمر وهو في مرضه أن ينصب دهليزه[٣] صوب مصر وضرب منزلة تسمى

(١) الرقة : مدينة مشهورة على جانب الفرات الشرقي وهي تابعة لبلاد الجزيرة . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٣ /٥٨ – ٥٩) ، وموقع الرقة اليوم بالقرب من مصب نهر البليخ على نهر الفرات وتبعد عن حلب مسافة (١٩٢) كم من جهة الشرق ، وهي اليوم مدينة عامرة . أكرم الساطع وفؤاد الساطع : الدليل الأخضر ، ص١١٩ .

(٢) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /١٢٢ – ١٢٣) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٢٢٨) ؛ حامد بن زيان غانم : الصراع السياسي بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٠٧ - ١١٢.

(٣) دهليزه : هي الخيمة التي ترافق السلطان في الحرب وتختلف عن غيرها من الخيم ، والدهاليز الكبيرة التي تقام للسلاطين في الصيد بكونها خيمة قائمة بذاتها ليس بجوانبها خيم صغيرة كالتي تقام عادة لتجهيز حاجات السلطان في أيام السلم . رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت : ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) : تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمَّد سليم النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م ، (٤ /٤٢١) ؛ محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ١٣٨ .

الكسوة[1] ؛ لقتال أخيه .

فأرسل الأشرف أكبر أصحابه إلى العز بن عبدالسلام ليقول له : محبك موسى بن الملك العادل أبي بكر يسلم عليك ويسألك أن تعوده وتدعو له وتوصيه بما ينتفع به غداً عند الله ، فذهب العز إليه فسر الأشرف برؤيته سروراً عظيماً ، وقبل يده وطلب منه العفو والصفح عما جرى في المحنة قائلاً : يا عز الدين اجعلني في حل وادع الله لي وأوصني وانصحني ، فقال العز له : أما محاللتك فإني كل ليلة أحالل الخلق وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة وأرى أن يكون أجري على الله ولا يكون على الناس عملاً بقوله تعالى :﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾[2] أما دعائي للسلطان فإني أدعو له في كثير من الأحيان لما في صلاحه من صلاح المسلمين والإسلام والله تعالى يبصر السلطان فيما يبيض به وجهه عنده يوم يلقاه ، وأما وصيتي ونصيحتي للسلطان فقد وجبت وتعينت لقبوله وتقاضيه .... السلطان الكامل أخوك الكبير ورحمك وأنت مشهور بالفتوحات والنصر على الأعداء والتتر قد خاضوا بلاد المسلمين تترك ضرب دهليزك إلى أعداء الله وأعداء المسلمين وتضربه إلى جهة أخيك !! فاستجاب السلطان الأشرف لنصيحة العز بن عبدالسلام ، ونقل دهليزه إلى جهة التتار[3] .

وأمره بصلة أخيه والتعاون معه في وجه التتار ، وإزالة العداوة بينهما قائلاً : ولا تقطع رحمك في هذه الحالة وتنوي مع الله نصر دينه وإعزاز كلمته فإن من الله بعافية السلطان رجونا من الله إدالته على الكفار وكانت في ميزانه هذه الحسنة

---

(١) الكسوة : هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر ، قال الحافظ أبو القاسم : وبلغني أن الكسوة إنما سميت بذلك ؛ لأن غسان قتلت بها رسل ملك الروم عندما جاءوا إليهم لأخذ الجزية منهم واقتسمت كسوتهم . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ /٤٦١) .

(٢) سورة الشورى : آية ٤٠ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٠) .

العظيمة فإن قضى الله تعالى بانتقاله إليه كان السلطان في خفارة نيته ، فقال : جزاك الله خيراً عن إرشادك ونصيحتك ، وأمر والشيخ حاضر بنقل دهليزه إلى الشرق إلى منزلة يقال لها القصير[(١)] فنقل في ذلك اليوم[(٢)] .

حرص على نصح الحكام وتوجيههم ؛ لأن في صلاحهم صلاحاً لمن تحت أيديهم ، حيث قال : " وأما دعائي للسلطان ، فإني أدعو له في كثير من الأحيان ، لما في صلاحه من صلاح المسلمين والإسلام "[(٣)] .

وبهذا أنهى العز بن عبدالسلام النزاع والعداوة بين الأخوين الملك الكامل والأشرف ، واستطاع تحويل جيوشهم إلى مواجهة أعداء الإسلام ، كما أن مدح العز السلطان الأشرف بأنه اشتهر بالفتوحات كان تنويهاً منه بطمع العدو في ديار المسلمين خاصة في ظل ضعفهم عند نشوب الحروب الأهلية بينهم .

أن ما قام به العز دليل على حرصه في جمع كلمة المسلمين ونصرتهم واهتمامه بأن لا يقطع الأخوان رحمهما ، وأمتثالاً لقوله تعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[(٤)]

– موقفه من تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين .

بعدما ذكرنا ما وقع بين العز بن عبدالسلام والسلطان الأشرف وما انتهى إليه الأمر من نصرٍ عزيز حبا الله به العز إذ أزالت الكراهية والفرقة بينه وبين الملك الأشرف وحل محلها الود والصفاء والتقدير ، فعندما مرض السلطان الأشرف طلب من العز الزيارة والنصح والعفو والدعاء له ، فأمر العز السلطان بإزالة المنكرات والمظالم

---

(١) القصير : اسم لعدة مواضع والمقصود هنا الضيعة الواقعة في طريق حمص . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ /٣٦٧) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٠ - ٢٤١) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٠) .

(٤) سورة الفتح : آية ٢٩ .

والقضاء على البدع والخرافات ، فأصدر أوامره سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م إلى نائبه أخيه الصالح إسماعيل أن يتولى إبطال المنكرات التي أشار إليها العز بن عبدالسلام فنفذ بعضها وتغاضى عن تنفيذ بعضها الآخر ، ويدل هذا على أن الصالح إسماعيل لم يكن راغباً في الأخذ بإرشادات العز ، ولم يكن على وفاق معه خلال حكم أخيه السلطان الأشرف ، فتجاهل العز هذه التصرفات بحكمته ، ولم يغير من موقفه الناصح المتزن .

ولما توفي السلطان الأشرف سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، وتولى بعده أخوه الصالح إسماعيل حكم دمشق ثم تدخل أخوهما الثالث السلطان الكامل وانتزع دمشق من أخيه الصالح إسماعيل .

ولما لحق السلطان الكامل بأخيه السلطان الأشرف ووافاه الأجل المحتوم سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م[١] ، حصل نزاع على خلافته وحُسم بتولي ابنه الأكبر نجم الدين أيوب حكم مصر ، وفي أثناء النزاع استعاد الصالح إسماعيل دمشق من ابن الكامل نجم الدين سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م[٢] .

وبعد أن استتب الأمر لنجم الدين أيوب عزم على ضم الشام إلى ملكه ؛ لأنها في الأصل ملكٌ لوالده الكامل ، وليس الصالح إسماعيل إلا مغتصباً لها فلا بد من إعادتها إلى ملكه[٣] .

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٧٠٥) ؛ ابن العديم : زبدة الحلب (١ /٤٩٤) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /١٥٣) .

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٧٢٦) ؛ ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ٢٦ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٢٦٥) .

(٣) السيد الباز العريني : الشرق الأدنى في العصور الوسطى (الأيوبيون) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م ، ص ١٣٣ - ١٤٣ .

ويذكر أحد المؤرخين أن الصالح إسماعيل خاف من نجم الدين أيوب وساوره القلق خاصة عندما عزم على السير إليه لضم دمشق إلى ملكه ، فامتنع عن النوم والطعام والشراب[1] ، فلم يسع الصالح إسماعيل للمصالحة أو المهادنه مع ابن أخيه نجم الدين أيوب ، فقد كان بالإمكان أن يُصفّي ما بينهما فيستعين ببعض العلماء المشهورين إذ ذاك كالعز بن عبدالسلام ، لكن بدلاً من ذلك التجأ وبادر إلى الصليبيين واستعان بهم وتحالف معهم لكي يساعدوه ضد ابن أخيه نجم ، مقابل أن يتنازل لهم عن عدد من الحصون والمدن الإسلامية[2] ، فرأوا في ذلك فرصة لتحقيق بعض المكاسب الخاصة على حساب الجبهة الإسلامية المفككة[3] ، وعقد الصالح إسماعيل هدنة مع الهيئة العسكرية الداوية[4] — الصليبية

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٣) .

(٢) ابن دقماق : نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تحقيق : سمير طبارة ، المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ، ١٩٩٩م ، ص١٣٥ ؛ سالم محمد الحميدة : الحروب الصليبية عهد النصر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٤م ، (٤ /٢٤٧) .

(٣) المقريزي : السلوك (١ /٤٠٧) ؛ فريد بن وحيد صيدم : جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وجهوده في توحيد مصر والشام ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م ، ص ٤١ . ويذكر أنه لم يعهد لهذا التألف مثيل في تاريخ بني أيوب حتى الآن اللهم ما كان من مفاوضة الكامل صاحب مصر لملك الإفرنج سنة ٦٢٤هـ في أن يقدم إلى عكا ليشغل أخاه المعظم عما هو فيه ووعده له بإعطائه القدس . محمد بن كرد علي : خطط الشام ، مكتبة النوري ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م ، (٢ / ٩٧) .

(٤) الداوية : عرفت هذه الفرقة باسم فرسان المعبد (Les Templiers) أو الداوية أو الديوية أو جنود السيد المسيح الفقراء ونشأت هذه الفرقة منذ استقرار الصليبية الأولى وتمركز الصليبيين داخل بلاد الشام سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) ، والهدف من إنشاء هذه الفرقه حماية طرق الحجاج من هجمات المسلمين عليها وقد أسس جماعة – عددهم سبعة أو ثمانية برئاسة Hugues de Payens – من الفرسان الفرنسيين الذين قدموا إلى الأرض المقدسة ، وأعطى هؤلاء الفرسان من قبل بطريك بيت المقدس جاريموند والملك بالدوين الثاني تقليداً بإنشاء هيئة حربية ، تقوم بحماية المسيحيين ومحاربة المسلمين ، وكان لهؤلاء الفرقة زيّ خاص بهم عبارة عن رداء أبيض وضع عليه شعار الصليب بلون أحمر ، وامتازت هذه الفرقة بأنظمة خاصة تشمل كثيراً من مبادئ الفروسية منها الترتيب وحسن التدبير ، وقد اشتهرت بالشجاعة آنذاك ، وما لبثت هذه الفرقة أن أصبحت فرقة حربية في المقام الأول وأصبحت ذات ثروات هائلة وبالتالي صارت كياناً سياسياً مستقلاً . محمد العروسي المطوي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص ٩٦ ؛ =

— بينما رفضت الإسبتارية[١] — الصليبية — هذا الاتفاق وفي مقدمة الرافضين قائدهم وليم دي سنتل William de Senlisفكانت الاتفاقيه بين السلطان الصالح إسماعيل وتيبالد (ثيوب الرابع) كونت شامبني[٢] سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)[٣] ونصت شروط تلك الهدنة أن يعطيهم أجزاءً عزيزة من أرض المسلمين وبلادهم منها قلعتي الشقيف[٤]

= نبيلة بنت إبراهيم مقامي : فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص٦، ١٨، ٢٠– ٢٥ .

(١) الإسبتارية : جماعة من الفرسان جمعت بين فكرتي الدين والحرب ، عرفت باسم فرسان القديس يوحنا تأسست قبل بداية الحروب الصليبية الأولى عندما طلب جماعة من تجار مدينة آمالفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م من الخليفة الفاطمي القائم في الحكم أنذاك ، أن يسمح لهم باقامة ديره وبيمارستانات ببيت المقدس لتكون مأوى لحجاج النصارى وللعناية بفقراء الحجاج وأطلق عليهم اسم فرسان المستشفى التي حرفت بعد ذلك إلى الإسبتارية ثم تطوعت هذه الجماعة لحماية الحجاج وقامت الجماعة على ثلاثة أسس وهي : الفقر والعفه والطاعة ، والزي الرسمي لهذه الجماعة عباءة سوداء تشبه الناقوس وضع عليها شعار الصليبين بلون أبيض ، وبعد مرور الوقت تحولت تدريجياً إلى منظمة عسكرية وأصبحت من أشهر الفرق المحاربة ضد المسلمين ، وأول رئيس لهم اسمه جيرارGerard. جوناثان رايلي سميث : الإستبارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ — ١٣١٠م ، ترجمة : العميد الركن صبحي الجابي ، دار طلاس للدرسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٩م ، ص٧ ؛ مصطفى الحناوي : عصر الحروب الصليبية الفرسان الإستبارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص٩٣ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١١٩، ١٣٩ ؛ نبيلة بنت إبراهيم مقامي : فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام ، ص١٨، ٢٠– ٢٤.

(٢) كان تيبالد وملكا لنافار خرج استجابة لدعوة البابا جريجوري التاسع ، الذي بعث برسله إلى فرنسا ، ووصلوا جميعاً إلى عكا آخر محرم سنة ٦٣٧هـ/ أول سبتمبر ١٢٣٩م . للمزيد انظر : روثلان : كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأً إلى روثلان ، ترجمة : أسامة زكي زيد ، مركز دلتا للطباعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م ، ص٦٥ — ٧٤.

(٣) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ،(٣ /٣٧٨)؛ جوناثا ريلي سميث : الإسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ، ص١٧٨ ؛ سعيد بن أحمد برجاوي : الحروب الصليبية في المشرق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٥٢٧ — ٥٢٨ ؛ سالم الحميدة : الحروب الصليبية (٤ /٢٤٧) .

(٤) شقيف أرنون : الشقيف كالكهف وأرنون اسم رجل إما رومي أو إفرنجي ، وهو قلعة حصينة جداً في كهف قرب بانياس ، وتقع في جنوب لبنان فوق جرف جبلي شديد الانحدار ، ارتفاعه ٢٢٠٠ قدم مقابل نهر الليطاني . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٣/٣٦٥) ؛ ر . سي . سميل : الحروب الصليبية ، ترجمة : سامي هاشم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٣٢٠ — ٣٢٢ ؛ =

وصفد[1] وأعمالها ، وكذلك مناصفة صيدا[2] وطبرية[3]وأعمالهما ، وجبل عاملة[4] وسائر بلاد السَّاحِل[5] وقد كانت شروطاً مجحفة ، واستفاد الصليبيون من تفريط السلطان الصالح إسماعيل

= فوليفانغ مولر فينر : القلاع أيام الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد بن وليد الجلاد ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص ٨٠ ؛ سرور بن علي عبدالنعيم : الدور السياسي لحصن شقيف آرنون في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م ، ص ٤٢.

(١) صفد : تقع في جبال عاملة من جنوب لبنان المطله على حمص والشام . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٣ /٤١٢) . وهي حصن متين وتقع بين ميناء عكا غرباً وغور الأردن شرقاً بالقرب من الحدود اللبنانية الحالية . أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، ١٩٦٣م ، (٤ /٢٨٣) .

(٢) صيدا : تقع على ساحل بحر الشام ، وهي مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار ، وكثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، لها أربعة أقاليم ، متصلة بجبل لبنان . الإدريسي ، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحسني الطالبي (ت :٥٦٠هـ/١١٦٦م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ ، (١ /٣٧٠) ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤٣٧/٣) . وتبعد عن بيروت بنحو ٤٥كيلو متراً جنوباً وعن صور شمالاً بنحو ٤٠كيلو متراً . عبدالرؤوف فضل الله : لبنان دراسة جغرافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠١م ، ص ٣٣٣ . وتقع المدينة الحديثة في نفس موقع المدينة القديمة تقريباً أي على التل الذي أقيمت فيه قلعة البر الصليبي . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م ، ص٩ .

(٣) طبرية : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي طرف الجبل ، وكانت من أعمال الأردن بينها وبين دمشق مسيرة ثلاثة أيام . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ /١٧) . وهي الآن تقع في الشمال الشرقي من فلسطين . مجموعة من المؤلفين : الموسوعة الفلسطينية (٩٥/٣) .

(٤) جبل عاملة : جبل ممتد في شرقي ساحل بحر الروم – البحر المتوسط – حتى يقترب من مدينة صور عليه شقيف أرنون . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢ /١٥٧) .

(٥) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ٣١ ؛ النويري : نهاية الأرب (٢٩ /٢٧٨) ؛ المقريزي : السلوك (٤٠٧/١) . سلمت الشقيف وصفد سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، عندما تجدد النزاع بين أفراد البيت الأيوبي الذي صار علامة بارزة ميزت تاريخ الأيوبيين منذ وفاة صلاح الدين ، مما ترتب عليه تقديم مدن حصينة وقلاع قوية وحصون منيعة إلى الفرنج بدون تعب ، وكان طرفا النزاع هما الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر ، وعمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق بعد أن ملكها في غفلة من الصالح أيوب سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م ، وحاول الصالح أيوب استردادها في هذه السنة فلم يستطع ، فاستعد لجولة أخرى مستعيناً بالخوارزمية ، بينما عقد الصالح إسماعيل هدنه مع الفرنجة فاشترطوا عليه مقابل مساعدته تسليم حصنين من أمنع الحصون إليهم وهما : الشقيف وصفد اللذان فتحا على يد صلاح الدين الأيوبي =

في حصني شقيف أرنون ، وصفد وأعمالهما ، وتضاعفت قوتهم بامتلاكهم هذين الحصنين[1] ، لأنها في مواقع مهمة ذات إستراتيجية حربية عالية ، ثم سارعوا إلى تجديد بناء قلعة صفد ، التي خربت من قبل[2] ، وازداد الأمر خطورة حين أذن لهم بدخول دمشق واختلاطهم بالمسلمين ، وشراء الأسلحة وآلات الحرب منها[3] ، واستخدامها لمحاربة أهل مصر ، كأحد شروط الهدنه

= سنة ٥٨٤هـ بعد جهد وتعب طويل ، ولم يكتفِ الصالح إسماعيل بما قدمه إلى الفرنج من حصون ومعاقل ، بل سلم إليهم طبرية وأعمالها وعسقلان وكوكب ومناصفة صيدا وأعطاهم بيت المقدس بما فيها من مزارات وذلك سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م ، فعمروا قلعتي طبرية وعسقلان وحصنوهما ، واستلموا الصخرة المقدسة وجلسوا فوقها بالخمر ، وعلقوا الجرس في المسجد الأقصى . وكل هذا يوضح مدى فداحة الخطأ الذي ارتكبه الصالح إسماعيل في حق نفسه وفي حق الإسلام والمسلمين سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٧٣٢) ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٣٢ – ٣٣٣) ؛ النويري : نهاية الأرب (٣٠ /٣٠٢ – ٣٠٣) ؛ عبد العزيز أبو فضة : قلعة الشقيف قلعة الصمود ، منشورات فلسطين المحتلة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٩٨٢م ، ص ٤٩ ؛ زبيدة بنت محمد عطا : الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، دار الأمين ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ص ١٣٥ ؛ نهى حسام الدين السيد : العز بن عبدالسلام ، ص١٦٩ – ١٧٠ ؛ ثريا بنت محمد الغانمي : بيت المقدس في العصر الأيوبي ، ص ١٤٨ ؛ عبير بنت أحمد المحاسنة : موقف العلماء والأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي (٥٦٩ – ٦٤٨هـ/ ١١٧٣ – ١٢٥٠م) ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص ١٦٧ – ١٦٨.

(١) يشير ابن واصل إلى أهمية هذين الحصنين بقوله : " الشقيف وصفد من جملة الفتوح الناصرية الصلاحية ، وهما من أمنع الحصون وأحصنها " ويقول أيضاً عن الصفد " هو حصن في غاية العلو والارتفاع ، مطل على عكا وبلاد الغور ، وشقيف أرنون حصن منيع لا يرام " ويذكر أيضاً عنهما : " وصار هذان الحصنان جمرتي بلاء فعظم الضرر على المسلمين جداً ، واشتد إنكارهم لما فعل واستعظموه " . مفرج الكروب (٥ /٣٠١ – ٣٠٢) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٥/٣٠٢) ؛ محمد بن عبدالله الشويعر : تأثيرات الهدن بين المسلمين والصليبيين (٤٩٠ – ٦٩٠هـ/١٠٩٧ – ١٢٩١) ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ص١٨٦.

(٣) النويري : نهاية الأرب (٢٧٨/٢٩) ؛ المقريزي : السلوك (٤٠٧/١) ؛ مؤلف مجهول : تتمة كتاب وليم الصوري ، ص١٠٣ ؛ جمال بن محمد سالم : فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ ، ص٣٠٤ – ٣٠٥ . ربما تجاهل الصالح إسماعيل قرارات البأبوية في أروبا بمنع تجار البندقية من بيع السلاح للمسلمين في مجمع لاتيران الثالث =

التي عقدت بينهما ، حيث كانت دمشق أحد أسواق السلاح التي تزود الصليبيين بعتادهم الحربي[1] ، فأخذ الصليبيون يشترونها ويكدسونها ؛ استعداداً للحرب[2] وهنا ثار المسلمون في دمشق واستنكروا فعل السلطان الصالح ، واستفتى بائعو الأسلحة الشيخ العز بن عبدالسلام في حكم بيع الأسلحة للصليبين ، فبين لهم أن ذلك سيكون مساهمة منهم في قتل إخوانهم المسلمين ، ونصحهم بعدم بيعها عليهم ؛ لأنهم أعداء الإسلام والمسلمين ، وأن في بيع السلاح لهم إضعافاً لقوة المسلمين ، وزيادة في تفوق الأعداء عليهم[3] ، ثم أصدر فتواه : " يحرم عليكم مبايعتهم ؛ لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين " [4] فانتشرت تلك الفتوى بين طبقات الأمة المختلفة وكان لها أعظم الأثر في النفوس[5] ، وكانت وحدها كافية بأن تلهب نفوس الناس ضد الصليبيين ، وبالتالي ضد من يحالفهم من ملوك المسلمين ، إذ لا يتأتى لهم إنجاد هذا السلطان المحالف لهم ضد سلطان مسلم مثله إلا بمقاتلة

= سنة ١١٧٩م الذي عقده البابا أونسنت الثالث ، حاول البأبوات وقف مبيعات الأسلحة والالآت الحربية للمسلمين . جمال بن محمد خليفة : هيئة علماء وفقهاء الشام دراسة في تكوينهم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي وأثره في مواجهة الغزو الصليبي (٤٩١ – ٦٩٠هـ/١٠٩٧ – ١٢٩١م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م ، ص٣٠٧ .

(١) موضي بنت عبدالله السرحان : تنظيمات الصليبيين في مملكة بيت المقدس وأثرها على أوضاعهم في بلاد الشام ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص٣١٥ .

(٢) المقريزي : السلوك (٤٠٧/١) ؛ ليلى بنت محمد الثبيتي : آراء العز بن عبدالسلام العقدية ، ص٢٨ .

(٣) المقريزي : السلوك (٣٠٤/١) ؛ الحريري ، أحمد بن علي (ت بعد سنة : ٩٢٦هـ/١٥١٩م) : الإعلام والتبين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق : سهيل زكار ، مكتبة دار الملاح ، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م ، ص ٩٨ ؛ آسيا سليمان النقلي : دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٢م ، ص٢٠٦ ؛ لؤي البواعنة : دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي(الصليبي) للمشرق الإسلامي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٧م ، ص٣٣٩ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٢٤٣/٨) .

(٥) عبدالرحمن بن محمد مراد : عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء حياته وعصره ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د. ت ، ص ٢٩ .

المسلمين وبما أن مقاتلة المسلمين حرام ، فكل من ساعد على ذلك ببيع أو شراء أو أي اتفاق فهو مرتكب الحرام[1] .

ولم يكتف العز بن عبدالسلام بهذه الفتوى ففي يوم الجمعة التي تلت اتفاق الصالح إسماعيل مع الصليبيين صعد منبر المسجد الأموي واستهل خطبته الأولى بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم حث على الدفاع عن أرض الإسلام وحقوق المسلمين ، وجهر بالنهي عن المنكر ، وذم موالاة الأعداء ، وذكّر الناس بالجهاد وفضله وكيف أن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – جاهدوا المشركين حتى علت كلمة الله ، وأورث الله المسلمين البلاد وجعلهم خلفاء الأرض ما أقاموا الدين واستقاموا على طريقته ، فلما غيروا ما بأنفسهم غير الله عليهم فسلط الأعداء على بلادهم ، وأن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ولم يصلح أولها إلا بالجهاد في سبيل الله ، ثم ذكر ما أوجب الله على المسلمين من طاعة أولي الأمر منهم فيما يرضي الله ولا يخالف سنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وعلى المسلمين مناصرة حاكمهم ظالماً ومظلومًا ، ونصر الظالم دفعه عن ظلمه ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[2]. وفي الخطبة الثانية استنكر ما أقدم عليه السلطان من موالاة الصليبيين ، ولم يدع للسلطان كعادته بل استبدله بقوله : " اللهم أبرم لهذه الأمة أمرًا رشدًا ، تعز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويُعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك ،

---

(١) علي الجمبلاطي وأحمد بن محمد بن حسن : مع القائد الروحي للشعب سلطان العلماء الإمام العز بن عبدالسلام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٨١ – ٨٢ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٠.

والنـاس يبتهلـون بالتـأمين والـدعاء للمسـلمين والنصـر علـى أعـداء الله الملحـدين "[1].

نـرى هـذا الـدعاء كـان بمثابـة إعـلان ثـورة علـى السـلطان الصـالح إسماعيـل يطلـب مـن الله تعـالى أن يهيـئ لهـذه الأمـة أمـراً رشـداً بـدلا مـن هـذا الأمـر الـذي هـي فيـه بقيـادة الصـالح إسماعيـل ، فهـو بعيـد عـن الرشـاد ويطلـب مـن الله أن يعـز وليـه ويقصـد بـه مـن يحـافظ علـى مصـالح المسـلمين وبلادهـم ، ولا يفـرط في شـأن مـن شـئونهم ، ولعلـه يلمـح بـذلك إلى نجـم الـدين أيـوب صـاحب مصـر ، وكـل هـذا الـدعاء دعـوة للمسـلمين بـأن لا يقـاتلوا تحت راية حليف الكفار ضد مسلم من المسلمين[2] .

ويتضـح ممـا سـبق أن أمـر الهدنـة الـتي عقـدت بـين السـلطان الصـالح إسماعيـل والصـليبيين أثـارت حفيظـة علمـاء المسـلمين فأنكروهـا صـراحة وجهـراً ، ومـنهم الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام ، والشـيخ جمـال الـدين بـن الحاجـب المـالكي ، اللـذان اسـتنكرا تصـرف السـلطان الصـالح إسماعيـل ، وكـان حينئـذٍ خـارج دمشـق فكاتبـه رجالـه بمـا حـدث وحرفـوا القـول ، فـاعتبر هـذا عصـياناً لطاعتـه ، وأحـس بـالخطر ، ممـا جعلـه يسـارع في إصـدار أمـر عـزل العـز بـن عبدالسـلام عـن الخطابـة ، واعتقالـه والتضـييق عليـه[3] هـو

---

(١) النـويري : نهايـة الأرب (٢٧٩/٢٩) ؛ السـبكي : طبقـات الشـافعية (٢٤٣/٨) ؛ ابـن دقمـاق : نزهـة الأنـام ، ص١٣٥. لـو أن هـذا الـدعاء قيـل في الأيـام العادية لمـا ظهـر لنـا فيـه شـيء غريـب أو غـير عـادي ، وكـذلك لـو قيـل في وقـت يسـتعد فيـه سـلطان مسـلم للجهـاد في سـبيل الله لكـان مـن قبيـل الـدعاء للسـلطان وللجـيش ؛ ولكـن الأمـر كـان خـلاف ذلـك كلـه ؛ لأن السـلطان حينـذاك عـاملاً ضـد مصـلحة المسـلمين ، ليحقـق مصـلحة خاصـة بـه فقـد سـلم قـلاع المسـلمين إلى أعـدائهم واتفـق مـع هـؤلاء الأعـداء ضـد ابـن أخيـه نجـم الـدين أيـوب ، فهـو بـذلك كلـه عـدو الله ورسـوله ويعـد بهـذا أيضـاً مـن الملحـدين الخـارجين عـن حـدود الله مـا أنـزل الله ومـا فيـه مصـلحة المسـلمين . علـي الجمبلاطـي وأحمـد بـن محمـد بـن حسـن : مـع القائـد الروحـي للشـعب سلطان العلماء ، ص ٨٢ .

(٢) علـي الجمبلاطـي وأحمـد بـن محمـد بـن حسـن : مـع القائـد الروحـي للشـعب سـلطان العلمـاء ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٣) في معـرض هـذا الموقـف يقـول عبـدالعزيز البـدري : أشـار أنصـار الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام عليـه بـأن يغـادر الـبلاد وينجـو بنفسـه مـن السـلطان ، وأعـدوا لـه وسـائل الهـروب ولكنـه أبى ذلـك وألحـوا عليـه فأصـر علـى =

وابـن الحاجـب المـالكي ، ولم يكـن أي الشـيخين يملـك الـدفاع عـن نفسـه في السـجن ، فاشـتعل غضـب النـاس علـى السـلطان الصـالح وحاشـيته ، ومضـوا يسـألون في الأمـر شـيوخهم ، فأيـد الشـيوخ رأي الشـيخين ، ثم عـاد السـلطان الصـالح إسماعيـل إلى دمشـق وأفـرج عنهمـا[1] ، وكـان إفراجـه بسـبب خوفـه مـن ثـورة النـاس الـذين غضـبوا واضـطرب أمـرهم عنـدما اعتقـل الشـيخين ! ثم أمـر العـز بـأن يلـزم داره ، ونهـاه عـن الفتـوى ، وعـن الاجتمـاع بالنـاس لكـيلا يسـتمر في تحريضـهم عليـه[2] ؛ ولم تـذكر المصـادر مكـان السـجن الـذي اعـتقلا فيـه هـل هـو القلعـة ، أم سـجن مـن سـجون المدينـة ؟![3] ، بينمـا يذكر محمد كرد علي[4] ولؤي البواعنة[5] أنهما سجنا بقلعة دمشق.

= الإبـاء فعرضـوا عليـه بـأن يختبـئ في مكـان أمـين لا يهتـدي إليـه السـلطان ورجالـه فـرفض هـذا العـرض . الإسـلام بـين العلمـاء والحكـام ، المكتبـة العلميـة ، المدينـة المنـورة ، د.ت ، ص ١٩٤ . وقـال أيضـاً : " والله لا أهـرب ولا أختبـئ وإنمـا نحـن في بدايـة الجهـاد ، ولم نعمـل شـيئاً بعـد ، وقـد وطنـت نفسـي علـى احتمـال مـا ألقـى في هـذا السـبيل ، والله لا يضـيع عمـل الصـابرين " . علـي بـن أحمـد بـاكثير : وا إسـلاماه ، دار مصـر للطباعة ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٠٠ .

(١) بعـدما أفـرج عـن ابـن الحاجـب توجـه إلى الكـرك فأقـام عنـد الناصـر داود مـدة ، وأحسـن إليـه الناصـر ، ثم سافر إلى الديار المصرية وأقام بها إلى أن مات . أبو الفداء : المختصر (١٦٩/٣) .

(٢) علـي عبـدالحليم محمـود : الغـزو الصـليبي والعـالم الإسـلامي ، دار التوزيـع والنشـر الإسـلامية ، القـاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، ص ١٩٢ . مسـألة الإفـراج عـن الشـيخ حينئـذ مسـألة سياسـية ، لمـا كـان للعلمـاء آنـذاك مـن المكانـة العاليـة في النفـوس ولا سـيما الشـيخ كـالعز بـن عبدالسـلام . علـي الجمبلاطـي وأحمـد بـن محمد بن حسن : مع القائد الروحي للشعب سلطان العلماء ، ص ٨٢

(٣) عبـدالرؤوف بـن جـبر القططـي : السـجون في مصـر وبـلاد الشـام في الـدولتين الأيوبيـة والمملوكيـة (٥٦٧ – ٩٢٣هـ/١١٧١ – ١٥١٧م) ، رسـالة ماجسـتير ، الجامعـة الإسـلامية بغـزة ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص ٤١.

(٤) خطط الشام (٩٧/٢) .

(٥) دور العلماء المسلمين ، ص٣٤٠ .

أستأذن العز بن عبدالسلام السلطان الصالح إسماعيل في الخروج لصلاة الجمعة ، والذهاب إلى الطبيب أو المزين – الحلاق – إذا احتاج إليهما ، فسمح له[1] ... ثم ضاقت على العز الإقامة الجبرية بدمشق ، وكان قد ناهز الستين من عمره فقرر الرحيل عنها[2] متجهاً إلى مصر ، ماراً ببيت المقدس عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، وخرج من دمشق لم يحمل شيئاً من حطام الدنيا ، أو ماكدّسه من مناصب وأعمال[3] ، واتجه إلى بيت المقدس وقد وافاه الملك الناصر داوود صاحب الكرك بالغور[4] أثناء رحلته ، فقطع عليه الطِريق ، وأخذه فأقام عنده في نابلس[5] مدة يسيرة وأكرمه ، ثم ثم استأذنه في الخروج وقال له : أقم هنا معنا وأنا لا أخرج عن أمرك ، فاعتذر له العز

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٢٤٣/٨) ؛ المقريزي : السلوك (٤٠٧/١) .

(٢) يذكر الباحث محمد بن حسن عبدالله سبب رحيل العز عن دمشق ، فيقول : إن العز قرر الرحيل بعد أن شاهد الصالح إسماعيل يعبث بأرض المسلمين ومقدساتهم ويستهين بعواطفهم الدينية ، ويتنكر لأمجاد أسرته ذاتها التي زلزلت قواعد الإمارات الصليبية وحطمتها . وهنا يتشكل واجب العالم المسلم .... ؛ فإذا كان الصالح إسماعيل قد اعتقله ومنعه من الكلام في دمشق فليس الحال قابلاً الاستكانة والصبر والاعتصام بالحق ؛ لأن الحق لا تهاجمه الألسنة هذه المرة –كما حدث من قبل في فتنة الحنابلة – وإنما تهاجمه الحرب !! وعلى العز أن لا يهمل في العمل ، فإذا عز العمل في دمشق فأرض الله واسعة . عز الدين بن عبدالسلام بائع الملوك ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ص٩٦ .

(٣) علي بن محمد الصلأبي : الشيخ عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء وبائع الأمراء ، دار الأندلس الجديدة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٩٠ .

(٤) الغور : غور الأردن بالشام بين البيت المقدّس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ولذلك سمي الغور . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٤ /٢١٧) .

(٥) نابلس : تقع في وسط فلسطين ويحدها شمالاً جنين ، وجنوباً بيت المقدس ، وهي مستطيلة قليلة العرض . المقدسي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١١/١٩٩١، ص ١٧٤ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان (٥ /٢٤٨) ؛ سعيد بن عبدالله البيشاوي : نابلس (٤٩٢ – ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩ – ١٢٩١م) ، د.ن ، عمان ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص٣٤ . وتبعد عن القدس مسافة ٦٩ كم. مجموعة من المؤلفين : الموسوعة الفلسطينية (٤١٥/٣) .

ابن عبدالسلام قائلاً : " هذا بلد صغير ، وأنا أحبّ الانتقال إلى بلد أنشر به ما عندي من العلم " [1] .

فأذن له ثم رحل إلى بيت المقدس وأقام بها ، وقد وافق هذا وصول الصالح إسماعيل مع أعوانه من الصليبيين إلى تلك الجهة أيضاً قاصدين الديار المصرية ، ولما علم بوجود العز أرسل إليه ليصالحه ، وطلب من رسوله ملاطفة الشيخ وملاينته بالكلام الحسن وأن يعرض عليه الاعتذار للسلطان ، وقال : " وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي "[2] .

ذهب الرسول إلى الشيخ وكان في غاية اللين والملاطفة علّه يؤثر فيه ، فقال له : بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير -كناية عن رضاه على فعل السلطان- ؛ لكن الشيخ كان ثابتاً في موقفه رافضاً هذا العرض ، فقال له العز في شموخ وعزة وإباء : والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي – يقصد أن يقبل السلطان الصالح إسماعيل يد الشيخ العز – فضلاً أن أقبل يده ، يا قوم أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ ، والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به ، فقال له : إذاً فقد أمر الملك باعتقالك فقال العز : افعلوا ما بدا لكم[3] !

فأخذ العز واعتقل مرة ثانية في خيمة مجاورة إلى خيمة الملك ، وكان بخيمته صابراً على ابتلائه وراضياً بقضاء الله محتسباً للأجر مشغلاً وقته بالعبادات من قراءة القرآن بصوت عالٍ وذكر لله ليل نهار ، ولما اجتمع السلطان الصالح إسماعيل مع وفد من الصليبيين لإبرام اتفاقية معهم سمع صوت الشيخ يقرأ ، فقال لهم وهو يحاول استرضاءهم : هل تسمعون هذا الذي يقرأ القرآن ؟ قالوا : نعم ، قال متفاخراً : هذا هو أكبر قساوسة المسلمين ، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابة بدمشق ، وعن مناصبه ، ثم أخرجته فجاء إلى

---

(١) النويري : نهاية الأرب (٢٩/٢٩٥) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٤٣)

(٣) النويري : نهاية الأرب (٢٩/٢٩٥) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٤٤) .

القــدس ، وقــد جــددت حبســه واعتقالــه لأجلكــم . فقــال لــه أحــد أعضــاء الوفــد الصليبي : لو كان هذا قسيساً عندنا لغسلنا رجليه ، وشربنا مرقتها[1] .

وبقـي العـز بـن عبدالسـلام في المعتقـل حـتى جـاءت جيـوش نجـم الـدين وهزمـت الصـالح إسماعيل[2] وحلفاءه من الصليبيين[3] ، وفك أسر العز وواصل طريقه إلى مصر[4] .

لقـد كـان لهـذه الهدنـة أثـر سياسـي يتجلـى ذلـك في ازديـاد الفرقـة والخـلاف بـين أبنـاء البيــت الأيــوبي حيــث حــاول الصــليبيون اســتغلال هــذا الخــلاف مــن أجــل تحقيــق مصالحهم والحصول على أكبر المكاسب .

نلحـظ هنـا إن مـا قـام بـه العـز بـن عبدالسـلام مـن معارضـة للسـلطان الصـالح إسماعيـل ووقوفـه بصـلابة في مقاومـة المحتـل وكـل مـن يحـاول أن يتعـاون معـه لمصـالحه الخاصـة هـو دليـل بـيّن علـى عظمـة دور العلمـاء في الحفـاظ علـى سـياج الأمـة الإسـلامية ، وعـدم

---

(١) النويري : نهاية الأرب (٢٩/٢٩٥ – ٢٩٦) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢٤٤) . ويعلق أحد الباحثين على هذا الموقف بقوله : " تلك إجابة الفرنج إلى السلطان الخائن التي كانت سهماً في قلبه وإنكاراً متضمناً لفعله ، والفضل ما شهدت به الأعداء " . عبدالعزيز البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، ص ١٩٦ .

(٢) قـال السلطان الصـالح إسماعيـل عنـدما هـزم هـو والفـرنج " قـد علمـت أنـا لمـا سـرنا تحـت الصلبان أننـا مـا نفلـح أبــدا " . الصــفدي : أمــراء دمشــق في الإســلام ، تحقيــق : صــلاح الــدين المنجــد ، دار الكتــاب الجديــد ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، (٢/ ١٣٣) .

(٣) فالشــيء المؤكــد أن الصــليبيين كــانوا أضــعف وأذل مــن أن يقــدموا عونــاً أو مســاعدة لمــن يطلــب مــنهم المسـاعدة ، ولـو لا ضـعفهم – بسـبب هـزائمهم السـابقة علـى أيـدي نـور الـدين وصـلاح الـدين – لا نتهـزوا الخلافـات بـين الأيـوبيين لمصـلحتهم وتقويـة وجـودهم ؛ ولكـنهم لم يسـتطيعوا ذلـك عجـزاً مـنهم وقصـوراً ، ولم يقـدموا شـيئاً يـذكر عنـدما طلـب التحـالف معهـم مـن الأيـوبيين ، حيـث كانـت الهزيمـة تلحـق بهـم مخلفـة قتلـى وضـحايا لا حصـر لهـم ، وكـان بإمكـان الأيـوبيين التعجيـل بتحريـر أراضـي الشـام مـن الصـليبيين . يسـرى أحمد : الفقهاء والعامة في مصر والشام ، ص ١١٨ .

(٤) السـبكي : طبقـات الشـافعية (٨ /٢٤٤) . وذكـر ابـن حجـر : أن أحـد الصـليبيين أنكـر مـا وقـع للشـيخ العـز مـن اعتقـال ، فكـان اعـتراض الصـليبيي سـبباً في إطـلاق سـراح العـز بـن عبدالسـلام . رفـع الإصـر عـن قضـاة مصر ، ص ٢٤٠ .

أهليــة هــؤلاء الحكــام لولايــة المســلمين وإســقاط حقهــم بالســمع والطاعــة عنــد عــدم حكمهم بشرع الله والتنازل عن أراضي الأمة الإسلامية .

ونلحـظ كـذلك مـن خـلال هـذه الحادثـة اسـتعداد العـز بـن عبدالسـلام التضـحية بنفسـه في سـبيل ديـن الله ، والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ، والجهـر بالواجـب مهمـا كانـت العواقـب ، وأنـه لم يخـرج مـن دمشـق مسـقط رأسـه وبلـده هـو وأسـرته ومجتمعـه الـذي أثبـت نفسـه فيـه بعـد أن عزلـه السـلطان الصـالح إسماعيـل ليخلـد إلى الراحـة ، بـل قصـد الهجـرة في سـبيل الله تعـالى ، والنصـح لله ولرسـوله ولكتابـه ولأئمـة المسلمين وعامتهم .

ونخلـص كـذلك ممـا سـبق إلى أن العـز بـن عبدالسـلام عـاش في بـلاد كانـت تجوبهـا متغـيرات سياسـية واضـطرابات مختلفـة التوجهـات والمشـارب ونزاعـات داميـة علـى السـلطة والمناصـب ومـع هـذا كلـه لم يرغـب في تحقيـق أطمـاع دنيويـة ليجمـع المـال مـن التقـرب للسـلاطين ومراعـاة متطلبـاتهم السياسـية ، ولم يسـتجب لتهديـدات السـلاطين المتواليـة عليـه مـن الفصـل مـن الخطابـة أو التهديـد بالسـجن وقطـع المـال ولم يلـق لـذلك بـالاً ولم يوظـف العلـم والـدين لخدمـة سـلاطين عصـره بـل كـان يـتعلم ويعلـم ليكـون سـبباً في نشـر الـدين و تفقيـه النـاس بـدينهم كمـا نـزل علـى رسـوله – صـلى الله عليـه وسـلم – وكـان سـلاحه الاسـتدلال مـن القـرآن والسـنة بمـا يرضـي الله سـبحانه وتعـالى بعيـداً عـن تحقيـق متطلبـات البشـر ، ولهـذا السـبب كـان لـه أثـر واضـح في عصـره إذ تعلـق بـه عامـة النـاس وخاصـتهم لمـا يـرون منـه مـن الصـدق والصـبر والعلـم والثبـات حـتى توارثـت الأجيـال مواقفـه وعلمـه جيلاً بعـد جيـل إذ لا يـزال علـى قيـد الحيـاة باسـتمرار علمـه وعملـه فأصـبح رمزاً للعلم والعمل .

إن رحيـل العـز مـن دمشـق وتكبـده المصـاعب في سـبيل نشـر العلـم وتبليغـه يؤكـد علـو همتـه إذ لا يرضـى لنفسـه أن يكـون في بلـد صـغير علـى علمـه وهنـاك بلـدان مجـال نشـر العلـم فيهـا أوسـع وأكـبر وفيمـا يعلمـه الجميـع أن الطلبـة هـم مـن يبحثـون عـن العلـم

ويقطعون المسافات لطلبه على أيدي علماء أفذاذ ولكن العز بن عبدالسلام اختلف وتميّز بكونه العالم الذي يبحث عن أعداد كبيرة من الطلبه ليزيدهم من واسع علمه .

وعن موقف السلطان الصالح في وجود الشيخ العز في بيت المقدس استنتجت الباحثة أن السلطان الصالح إسماعيل يريد أن يأمن تحريض العز بن عبدالسلام وإنكاره ، وكذلك خاف السلطان أن ينتشر حديث خيانته بمصر إذا دخلها العز ، كما حاول أن يستميله ليقينه التام بحب الناس للعز وشدة تأثيره عليهم ، وفي حال لم يستطع إقناعه فقد اختار أن يُبقيه معتقلاً بجانبه وتحت أنظاره .

نلاحظ هنا محاولات السلطان الصالح إسماعيل لجعل العز بن عبدالسلام في صفه ومن أتباعه عندما قيل له بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة ، لكنه فوجئ بجبل شامخ من صاحب علم راسخ ، وعالمٍ لا يأبه بمنصب ولا وظيفة دنيوية ، ينطبق عليه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1] ، فقد كان العز يأبى الخضوع للظلمة والطغاة حتى ولو أدى ذلك إلى عزله من مناصبه واعتقاله حيث نذر نفسه للدفاع عن المسلمين وأراضيهم والوقوف مع الحق والصلابة فيه .

إن العز بن عبدالسلام رجل تفخر به الأجيال ، يظهر بمواقفه التي تخلد ويضرب بها المثل ، عرف عنه جرأته في قول الحق وأنه يعتبر نفسه جزءًا منه ، فقد قال : " ينبغي لكل عالم إذا أُذِلّ الحقُّ ، وأُخمِلَ الصوابُ أن يبذل جُهده في نصرهما ، وأن يجعل نفسَه بالذُّل والخمول أولى منهما ، وإن عزّ الحقُّ فظهر الصواب أن يستظل بظلِّهما ، وأن يكتفي باليسير من رشاش غيرهما "[2].

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٩ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٢٢٨/٨) .

وتبين للباحثة من رد أحد الصليبيين على الصالح إسماعيل عندما قال : متفاخراً قاصداً العز " هذا هو أكبر قساوسة المسلمين وقد حبسته لإنكاره علي تسلمي لكم حصون المسلمين ... " ، تقديرهم واحترامهم لرهبانهم حيث قالوا : لو كان عندنا رجل بهذا الإخلاص للأمة وبهذه القوة والشجاعة لغسلنا رجليه وشربنا الماء الذي غسلنا به رجليه ! على الرغم من كونهم غير مسلمين[1] والمفارقة بأن السلطان الصالح إسماعيل يُقر بأن العز من كبار علماء المسلمين بقوله أكبر قساوسة المسلمين ومع ذلك يتعصب لآرائه ويجري خلف مصالحه الشخصية دون مراعاة للجانب الديني ظناً منه أن السلطة الإدارية منفصلة عن الدين وهذا ما يدعو به أعداء الإسلام منذ أبد الأزمنة حتى أصبح اليوم واقعاً ملموساً في بلاد المسلمين فأصيب الصالح إسماعيل بالخيبة والذل من ردهم وكانت بداية هزيمته وفشله .

يقول أحد الباحثين في هذا الصدد : " وأن هذا الموقف وأمثاله هو من الأسباب الرئيسة التي مكنت الصليبيين من البقاء فوق ربوع بلادنا الغالية سنين طويلة دون أن نستطيع القضاء عليهم وتطهير البلاد منهم "[2] .

---

(١) هذا الموقف يذكرنا ببردة فعل الصليبيين من السلطان الكامل عندما أمر المؤذنين بعدم الأذان في القدس ما دام الامبراطور به فلم يؤذن في الحرم ولم يصعد المؤذنون إلى المنابر ولما علم فردريك ذلك قال : " تغيرون أنتم شعاركم وشرعكم ودينكم لأجلي ! ، فلو كنتم عندي في بلادي ، هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم ؟! الله الله لا تفعلوا هذا أول ما تنقصون عندنا " . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ /٤٣٤) ؛ إبراهيم ياسين الخطيب : القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبي ، دار المناهج ، الأردن ، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١م ، ص ٢٩٣ .

(٢) عبدالرحمن بن محمد مراد : عز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء ، ص ٢٩ .

المبحث الثالث : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بمصر.

– موقفه من السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي.

وصل العز بن عبدالسلام إلى مصر بعدما لقي من حكام الشام صنوف الأذى من اعتقال وسجن وتضييق ، فاستقبله ملكها نجم الدين أيوب الذي كان يعرف مكانته وعلمه استقبالاً حافلاً وسلم إليه أعلى المناصب منها خطابة جامع عمرو بن العاص وقاضي القضاة[1] .

وقد سعت إليه المناصب الرفيعة لجدارته بها ، حيث التزم بقول كلمة الحق ، ومجاهرة الحكام بها في مصر والشام ، ولم تكن له مطامع شخصية أو رغبة في المصالح الخاصة ، ولا أدل على ذلك من موقفه اتجاه حانة التي تبيع الخمور في القاهرة عندما أنكرها على السلطان نجم الدين أيوب لسكوته عليها وكان هذا الإنكار على مشهد من الناس عندما كان السلطان يحتفل بيوم العيد وبالرغم من كون الأخير ملكاً شديد الهيبة لا يستطيع أحد أن يتكلم بحضرته أبداً ، إلا أن الشيخ العز بن عبدالسلام صدع في قول الحق .

حيث وصف لنا السبكي[2] هذا الموقف فيقول سمعت شيخنا الباجي – تلميذ العز – يقول طلع شيخنا عز الدين مرّة إلى السلطان نجم الدين في يوم عيد إلى القلعة فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل الأَرض بين يدي السلطان فالتفت الشيخ إلى السلطان ، وناداه باسمه

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٠٣) ؛ رشا بنت خليل أحمد علي : الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي (٥٦٧ – ٦٤٨هـ/١١٧١ – ١٢٥٠م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١٠م ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢) طبقات الشافعية (٨ /٢١١ – ٢١٢) .

مجرداً بلا ألقاب بقوله : يا أيوب !! ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوئ لك ملك مصر ، ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال الشيخ : نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة وكان يناديه كذلك بأعلى صوته ، والعساكر واقفون فقال : يا سيدي هذا أنا ما عملته هذا من زمان أبي فقال الشيخ : أنت من الذين يقولون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ آبَاءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[1] عندئذٍ أخرج السلطان مرسوماً يأمر بإبطال تلك الحانة ، ومنع بيع الخمور .

وشاع خبر تلك الحادثة واستغرب الناس من جرأة الشيخ ؛ لأن هذا السلطان كان جباراً مستبداً برأيه ، فقال الباجي : "سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع هذا الخبر : يا سيدي كيف الحال ؟ فقال : يا بني رأيته في تلك العظمة ، فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه ، فقلت : يا سيدي أما خفته ؟ فقال : والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط "[2] .

يؤكد هذا الموقف على أن الإيمان قوة عظمى ، كما يدل على إيمان قوي عظيم يستعلي به المؤمن على كل قوى الأرض ، وكل شهوات الدنيا ، ويصبح حراً لا سلطان لأحد عليه إلا الله ، لا يذل إلا لله ، ولا يطلب إلا من الله ، ولا يأمل إلا من الله ، ولا يتوكل إلا على الله[3] ، فما أحكم هذا الموقف الذي بسببه أزيلت المنكرات .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٢٢ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٢) .

(٣) ماجد بن مجدي الزهراني : جهود الإمام العز بن عبدالسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قسم الحسبة ، ١٤٢٦هـ ، ص ١٧٤ .

إن صدع العز بالحق دون الالتفات إلى لومة لائم علانية أمام الناس ، دليل على عقليته الفذة ، وحرصه على تربية السلطان ، فقد قام بإنكار منكرين في وقت واحد ، أحدهما الحانة التي يباع فيها الخمور ، والآخر الغرور والأبهة وصنيع الأمراء من تقبيل الأرض بين يديه والمبالغة في الزينة ، التي بدأت تكبر في نفس السلطان هذه كلها عادات وممارسات ظهرت ليست من الإسلام هي إنما الهدف منها إظهار عظمة السلطة .

كما أن اختيار العز مناداة السلطان باسمه مجرد اً سيكون له أبلغ الأثر في الإنصات والاهتمام بما يقوله ، وقد تحقق مطلب العز عندما التفت نجم الدين ليرى من الذي يناديه باسمه بلا ألقاب ، ولما كان للعز بن عبدالسلام مكانة عنده قبل منه ذلك وأمر بإزالة المنكرات .

وموقف العز هذا يعد أنموذجاً واحداً من نماذج كثيرة تدل على جرأته في قول الحق والصدع به ، وشجاعته عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم خوفه إلا من الله سبحانه وتعالى ، فقد كان قدوة يقتدى به في هذا الجانب .

وعلق على هذه الحادثة رضوان الندوي[(١)] في كتابه بقوله : " وفي هذه الكلمات البسيطة المخلصة كشف الشيخ عن سر جرأته في الحق وشجاعته : استحضار هيبة الله وعظمته ، الذي يجعل أشداء الملوك كأضعف الدواب أمامه " .

كما قال عنه اليافعي[(٢)] : " وكان عز الدين رحمه الله يصدع بالحق ، ويعمل به متشدداً في الدين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يخاف سطوة ولا سلطانًا ، بل يعمل بما أمر الله ورسوله " .

---

(١) العز بن عبدالسلام ، ص ١٦٠ .

(٢) مرآة الجنان (٤ /١١٧) .

ووصفه صاحب كتاب مفتاح السعادة[1] بقوله : " كان رحمه الله يتكلم بالحق ويصدع به لا تأخذه في الله لومه لائم ، وكان ينادي سلاطين مصر بأسمائهم في مجالسهم العظام عند تقبيل العلماء أيديهم ، بل الأرض بين أيديهم " .

لقد أدرك العز أن دور العلماء لا يقتصر على التدريس والتعليم والخطابة فحسب بل يتعدى ذلك إلى انكار المنكر قولاً وفعلاً ، حتى وأن كان صادراً من وزيراً أو سلطان ، فقد كان ينكر عليهم ويشير عليهم بما يرى أن في صلاحاً للإسلام والمسلمين ، وأثر عليه قوله : " والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إعزاز الدين "[2] ، حيث حرص على نصح الحكام وتوجيههم ؛ لأن في صلاحهم صلاحاً لمن تحت أيديهم ، فجاهد بعلمه ولسانه وقلمه ولم يكن ضد الحكام والملوك والسلاطين المسلمين ، إنما كان ينكر عليهم لا يسكت إذا رأى الباطل .

- موقف العز بن عبدالسلام مع أمراء المماليك .

كان السلطان نجم الدين أيوب شديد البأس صلباً قوياً طموحاً وله أطماع واسعة فأراد أن يقوي جيشه ، ويصفي قواده ، ويحمي نفسه ، فاشترى من مال الدولة المماليك الأتراك ، واستجلبهم من أواسط آسيا وغربها ودربهم على الفروسية والفتوة والقتال حتى نالوا ثقته ، فاتسع نفوذهم إلى أن صاروا أمراء وقادة للجيش وبلغ

---

(١) طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى (ت : ٩٦٨هـ/١٥٦١م) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، در الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، (٢ /٣٥٣) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٢٨) .

أحـدهم أن صـار نائـب السـلطان[1] مباشـرة ، وكـان هـؤلاء الأتـراك المماليـك ذوي قـوة في بلاط الدولة المصرية[2] .

ولما تـولى العـز بـن عبدالسـلام منصـب قاضـي القضـاة لم يقبلـه لمجـرد الجـاه والأبهـة ، بـل اسـتلمه لإصـلاح الأمـور وإقامـة العـدل ، ومنـع الانحـراف والخطـأ ، فاكتشـف الخلـل في الإدارة والسـلطة ، وأن القـادة الأمـراء لا يزالـون في حكـم الـرق لبيـت مـال المسـلمين ، فلـم يثبـت عنـده أنهـم أحـرار ، وبالتـالي فـإن الحكـم الشـرعي عـدم صـحة ولايـتهم مـن جهة ، وعدم نفوذ تصرفاتهم الخاصة والعامة من جهة أخرى[3] .

فماذا فعل العز بن عبدالسلام أمام هذا الأمر ؟

هـل سـكت وانسـحب ؛ لأن الخصـم في هـذا الموقـف هـم أمـراء الدولـة المعروفـون ببطشهم وقوة نفوذهم ؟

هل سكت عن إقامة حكم الله وشرعه والدفاع عن حقوق المسلمين[4] ؟

لا ، بـل لم يشـهر بهـم ، ولم يرفـع ضـدهم رايـة العصـيان ، وإنمـا بلغهـم ذلـك أولاً وأوقـف تصـرفاتهم ثانيـاً ، كمـا لم يصـحح لهـم بيعـاً ولا شـراءً ولا نكاحـاً ، فتعطلـت مصالحهم ، وكان من جملتهم نائب السلطنة [5] .

---

(١) لعله ركن الدين بيبرس إذ هو أكبر أمراء نجم الدين أيوب . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦ /٣٢٤) .

(٢) أبو الفداء : المختصر (٣ /١٨٨) ؛ محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، ص٢١ – ٢٢ ؛ أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ٩٤ ؛ محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٦) .

(٤) محمد بن إبراهيم الخليفه : العز بن عبدالسلام ، ص ١٩٠ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٦) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة (٢ /١٦٢) .

وعنـدما بلغهـم ذلـك عظـم الخطـب علـيهم واضـطرب أمـرهم واستشـاطوا غضـباً ، وثـارت ثـائرتهم ولكـنهم كبحـوا جمـاح الغضـب وجـاءوا للشـيخ العـز بالحسـنى والمسـاومة واجتمعـوا بـه للاستفسـار عـن مصـيرهم في رأيـه ، فصـمم علـى حكـم الشـرع وأنـه يجـب بـيعهم لصـالح بيـت المـال ثم يـتم عـتقهم ليصـبحوا أحـراراً ، ثم يتولـون تصـريف الأمـور ، وقـال لهـم بكـل وضـوح : " نعقـد لكـم مجلسـاً وينـادى علـيكم لبيـت مـال المسـلمين ، ويحصل عتقكم بطريق شرعي "[1] .

لكـنهم رفضـوا ذلـك واسـتكبروا ورفعـوا الأمـر إلى السـلطان نجـم الـدين أيـوب ، وأراد السـلطان أن ينصـف مماليكـه وأن ينتصـر لأمرائـه وقـواد جيشـه وحمـاة عرشـه فأرسـل إلى الشـيخ ينهـاه عمـا يفعـل بالمماليـك ويصـده عمـا قـرر بشـأن هـؤلاء الأمـراء وأنكـر عليـه موقفـه حيـالهم وتدخلـه في أمـرهم وكـان كـلام السـلطان فيـه غلظـة أبـان لـه فيـه أنـه لا يجـوز له التدخل في هذا الشأن وأن هذا الأمر لا يعنيه ولا يتعلق به[2] .

وهنـا أدرك العـز بـن عبدالسـلام أن السـلطان تعـاون مـع أولئـك الأمـراء المماليـك علـى الباطـل ، وأنهـم رفضـوا تنفيـذ الشـرع وتطبيـق الأحكـام لـذلك لجـأ العـز إلى الانسـحاب السـريع وعـزل نفسـه مـن القضـاء وقـرر الرحيـل إلى الشـام فوضـع متاعـه علـى حمـار وأهلـه علـى حمـار آخـر ومشـى خلفهـم وخـرج مـن القـاهرة ، ولم يغـادر نحـو نصـف بريـد[3]

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٦) ؛ الداوودي : طبقات المفسرين (١ /٣١٧) .

(٢) السـبكي : طبقـات الشـافعية (٨ /٢١٦) ؛ محمـد بـن إبـراهيم الخليفـه : العـز بـن عبدالسـلام ، ص١٩١ ؛ نهى حسام الدين السيد : العز بن عبدالسلام ، ص١٧٧ .

(٣) البريـد : هـو مسـافة معلومـة مقـدّرة بـاثني عشـر مـيلاً ، وقـد قـدّره الفقهـاء وعلمـاء المسـالك والممالـك بأربعـة فراسـخ ، والفرسـخ ثلاثـة أميـال ، والميـل ثلاثـة آلاف ذراع بالهـاشميّ ، وهـو أربعـة وعشـرون أصـبعاً ، كـلّ أصـبع سـتّ شـعيرات معترضـات ، ظهـر إحـداها لـبطن الأخـرى ، والشّـعيرة سـبع شـعرات معترضـات مـن ذنـب بغـل أو بـرذون ، ويكـون مقـدار البريـد بالأمتـار (٢٢١٧٦م) أي حاصـل ضـرب (٥٥٤٤) مـتراً وهـو أطـول الفرسـخ ، بالعـدد أربعـة فراسـخ . المقدسـي: أحسـن التقاسـيم (١ /٦٥ – ٦٦) ؛ القلقشـندي : صـبح الأعشى (١٤ /٤١٢) .

إلا وقد لحق أهل القاهرة خلفه لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف عن الركب وفي مقدمة هؤلاء العلماء والفضلاء والتجار وأمثالهم[1] .

وهكذا وجد السلطان نفسه في موقف لا يحسد عليه ، واحتار من أمره حتى همس أحد معاونيه في أذنه قائلاً له : " تدارك ملكك وإلا ذهب بذهاب الشيخ "[2] فركب السلطان بنفسه ، ولحق بالشيخ العز ، واسترضاه ، وطيب قلبه ، وطلب منه الرجوع والعودة إلى القاهرة ، فوافق العز على شرط أن يتمم بيع الأمراء بالمناداة عليهم ورجع الجميع إلى القاهرة بعد أن وافق السلطان على بيع أمراء الدولة في المزاد وبعد ذلك حاول نائب السلطنة محاولة أخرى بأن يستدرك الأمر ، ويبعد عن نفسه وجماعته مهانة العرض أمام الجمهور والمناداة عليهم بالبيع . فأرسل إليه بالملاطفة ثم بالتهديد والوعيد لكن العز كان قاضياً عادلاً صارماً لم يتأثر بالترغيب ولا بالتهديد فلم يرجع عن حكمه وأصر على تنفيذه[3] ، وعند ذلك فقد نائب السلطنة صوابه من شدة الغيظ ، وصاح بكبرياء قائلاً : "كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض ؟ والله لأضربنه بسيفي هذا "[4] .

فركب بنفسه وأخذ معه جماعته ، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده ، وطرق الباب بعنف ، فتح ولد الشيخ – لعله عبد اللطيف كما يظن السبكي – الباب ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد إلى أبيه يخبره وهو مفزوع خائف على

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٦ – ٢١٧) ؛ علي بن محمد الصلأبي : الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، ص٨٤ .

(٢) محمد بن حسن : عز الدين بن عبدالسلام ، ص١٠٣ ؛ عبد المنعم الهاشمي : العز بن عبدالسلام ، ص٦٨ .

(٣) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٨١ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٧) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة (٢ /١٦٣) .

والـده ، لكـن العـز واثـق بنصـر الله لم يكـترث لـذلك ولم يتغـير وقـال بلغـة المـؤمن الـورع : " يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله "[1] .

ثم خرج كأنـه قضـاء الله قـد نـزل علـى نائـب السـلطنة وهنـا ظهـر أثـر شخصـية العـز بـن عبدالسـلام القويـة المهابـة الـتي تفـرض نفسـها علـى الآخـرين فرضـاً ؛ لأن صـاحبها قـد سـاوى بـين الحيـاة والمـوت ولم يسـاو بـين الحـق والباطـل فكسـب بـذلك قـوة لا تعـدلها قوة[2] .

روى لنـا السـبكي هـذه الحادثـة قـائلاً : " فحـين وقـع بصـره علـى النائـب ، يبسـت يـد النائـب ، وسـقط السـيف منهـا ، وأرعـدت مفاصـله ، فبكـى وسـأل الشـيخ أن يـدعو له ، وقال : يا سيدي إيش تعمل ؟

قال : أنادي عليك وأبيعكم .

قال : ففيم تصرف ثمننا ؟

قال : في مصالح المسلمين .

قال : من يقبضه ؟

قال : أنا "[3] .

وهكـذا استسـلم جـبروت الأرض لحكـم السـماء ، وأعلـن المـزاد العـام ، ووقـف العـز ينـادي علـى أمـراء الدولـة واحـداً واحـداً ، ويغـالي في ثمـنهم ، وتـدخل الشـعب في المزايـدة ، حـتى ارتفـع السـعر إلى أقصـى غايتـه ، وعجـز الأفـراد عنهـا فقـام السـلطان نجـم الـدين أيـوب بدفعـه مـن مالـه الخـاص ، وبعـد أن امتلـك هـؤلاء المماليـك اعتـق

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٧) .

(٢) رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص١٤٤ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٧) .

رقابهم ، فصاروا أحراراً ، واحتفظ بهم قادة ، وقبض الشيخ العز الثمن ، ووضعه في بيت المال ليصرفه في شؤون المسلمين ووجوه الخير المختلفة[1] .

قال السبكي[2] : " فتم له ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد رحمه الله " روى السبكي هذه القصة رواية الواثق بما يروي الحريص على تفاصيلها ، بما لا يدع لإنسان مجالاً للشك في صحتها[3] .

في هذا الموقف العظيم خلّد التاريخ ذكر العز وسجل له موقفاً فريداً لم يشهده العالم أجمع فعرف ببائع الملوك ، وأنىّ لأمة بمثل هذا العالم الفذ ، إذ لم يجرؤ أي عالم آخر أن يقوم بعمل يضاهيه في القوة والشجاعة فمن ذا الذي يستطيع أن يتجرأ على الحكام والسلاطين ؟! إذ عرّض نفسه للمخاطرة الشديدة ، ووقف في وجه السلطان دون خوف وصحح مساره وقدم له النصيحة ، وأعلى صوت الحق وأتم تطبيق شرع الله وهزم الباطل وطاشت سهام السلطة والقوة المادية أمام سلطان الله وحكمه[4] وصدق على العز حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر "[5] ، في هذه الحادثه نقف وقفة تأمل وتدبر ترينا كيف أن الله عز

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٧) ؛ ابن إياس :بدائع الزهور (١ /٢٧٤) ؛ محمد بن حسن : عز الدين بن عبدالسلام ، ص١٠٥ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٧) .

(٣) خالد بن محمد الحريري : قاضي القضاة ودوره في دولة المماليك البحرية (٦٥٨ – ٧٨٤هـ/١٢٦٠ – ١٣٨٢م) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) ، ص ١٦٥ .

(٤) محمد الزحيلي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٨٢ .

(٥) أبو داود : سنن أبي داود (٤ /١٢٤) ؛ الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) : سنن الترمذي ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى البأبي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، (٤ /٤٧١) .

وجل ينصر من ينصره ، ولو وقفت كل قوى الباطل ضده مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١) .

وتبين لنا من الحادثة ومن سيرة العز بن عبدالسلام بصفة عامة قيمة العلم والعلماء بمصر في ذلك الوقت ، واحترام الناس لكلمة الشرع ، وكل هذا كان له أثر بالغ في تكوين الشعب المصري وفي استجابته لنصائح العلماء(٢) .

– موقف العز بن عبدالسلام من وزير الدولة معين الدين .

هذا موقف آخر للعز بن عبدالسلام يتّسم بالقوة والجرأة وقفه من وزير السلطان نجم الدين وهو معين الدين بن شيخ الشيوخ(٣) أستاذ دار(٤) الملك ، الذي كان يرافق السلطان في خروجه ، وله نفوذ وسلطة في الدولة ويعد قائد الجيش في المعارك وهو

---

(١) سورة الحج : آية ٤٠ .

(٢) راغب السرجاني : قصة التتار ، ص ٢٦٥ .

(٣) اختلف المؤرخون في ذكر أستاذ الدار فمنهم من قال فخر الدين ومنهم من قال معين الدين ويبدو لي أنه معين الدين وذلك ؛ لأن فخر الدين الذي ذكره السبكي في هذه الفترة كان مسجوناً حتى إن المقريزي ذكر أنه في سنة ٦٣٩هـ كثر تردد الناس على فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعدما أطلقه السلطان من السجن فكره السلطان ذلك وأمره بأن يلزم داره وما أفرج عنه إلا سنة ٦٤٣هـ ، وفخر الدين أخو معين الدين وكان نائباً للسلطان الكامل والد نجم الدين وكان ملازماً لداره بأمر من نجم الدين بعد إطلاق سراحه من السجن . الكتبي : فوات الوفيات (٣٥١/٢) ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٢١٠/٨) ؛ المقريزي : السلوك (٤١٢/١، ٤٢٤) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٣٥٢/٦) ؛ حامد بن زيان غانم : العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٥٠ – ٢٥ ؛ رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٤٦ ؛ علي الفقير : الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٨٣.

(٤) الأستاذ دار : هو لقب مركب من لفظتين فارسيتين : إحداهما إستاذ ومعناها الأخذ والثانية دار ، ومعناها الممسك ، والمعنى المتولّي للأخذ وسمّي بذلك ؛ لأنه يتولّى قبض المال . القلقشندي : صبح الأعشى (٤٢٩/٥) . وفي العصر المملوكي الأمير المسؤول عن رعاية بيوت السلطان وشؤونه الخاصة ، والإشراف على مطابخه والعاملين فيها ، وقبض أموال السلطان وصرفها على الوجوه التي يراها . مصطفى عبدالكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص ٢٧ – ٢٨ .

الذي فتح دمشق ، كان معتدًا بقوته ومنصبه ، إذ تجرأ على منكر كبير يخالف أحكام الدين ويسخر بالشرع ويسيء إلى مشاعر المسلمين.

فقد كان بجوار بيته مسجد فأمر غلمانه ببناء فوق هذا المسجد طبلخانة — أي قاعة لسماع الغناء والموسيقى - وذلك سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م[١] وعندما ثبت ذلك عند العز بن عبدالسلام الذي كان يتولى منصب قاضي القضاة وكذلك النظر في عمارة المساجد غضب من فعل هذا المنكر العظيم المهين لبيت من بيوت الله الذي فيه إعلان للمنكر من فوق البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيها اسمه ، فأرسل إلى الوزير معين الدين يأمره بهدم ما استحدثه على ظهر المسجد وإعادة المسجد إلى ما كان عليه ، فلم يجب الوزير إلى ذلك ثم عاوده العز فلم يستجب ، أمر الشيخ طلبته أن يأتوه في غد ، ومع كل واحد معوله[٢] ففعلوا ذلك ، وذهبوا إلى المسجد وهو بصحبتهم ، ثم قاموا بإزالة المنكر وهدم البناء المستحدث بالمسجد[٣] .

---

(١) ثمة اختلف تأريخ الحادثة فقد أهمل أبوشامة ذكر أي شيء عن الحادثة ومؤرخ مهم ناهيك عن تاريخها ولم يورد ذكراً لها ضمن حوادث سنة ٦٤٠هـ ، بينما ابن واصل ذكرها ضمن حوادث سنة ٦٣٩هـ كإضافة لموضوع خلاف العز بن عبدالسلام مع الصالح إسماعيل من دون تحديد تاريخ . مفرج الكروب (٥ /٣٠٣ — ٣٠٤) . أما المقريزي حدد بإنها وقعت في سنة ٦٤٠هـ عندما أشار إلى بناء انكر عمله العز بن عبدالسلام وأشرف على هدمه بنفسه هو وأولاده ثم واصل كلامه بذكر قرار عزل نفسه عن قضاء مصر والوجه القبلي . السلوك (١ /٤١٦) .

(٢) المعول : هو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر. الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ/١٠٠٣م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، (٢ /٧١٥) ؛ ابن منظور : لسان العرب (٤٨٧/١١) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٠٣) ؛ النويري : نهاية الأرب (٢٩ /٢٩٧ — ٢٩٨) ؛ السبكي: طبقات الشافعية (٨ /٢١٠) ؛ إبراهيم الوهيبي : العز بن عبدالسلام ، ٦٥ .

تـألم الـوزير معـين الـدين لـذلك ولم يمكنـه أن يحـدث فيـه شـيئاً[١] ، ولم يكتـفِ العـز بـذلك بـل إنـه أسـقط عدالـة الـوزير – بمعـنى عـدم قبـول روايتـه وشـهادته – ثم عـزل نفسـه عـن القضـاء حـتى لا يبقـى تحـت رحمـة السـلطان وتهديـده بـالعزل أو غـيره[٢] وذكـر أحـد البـاحثين أن العـز عنـدما عـزل نفسـه عـن القضـاء قـال مقولتـه المشـهورة : " إنـه لـن يتـولى القضـاء لسـلطان لا يعـدل في القضـية ولا يحكـم بالسـوية "[٣] ، ومـن خـلال اطـلاع الباحثة على المصادر لم تجد هذه المقوله التي نسبت للعز بن عبدالسلام .

ولمـا علـم السـلطان بـالأمر ذُهِـل مـن تلـك السـرعة الحاسمـة الـتي تصـرف بهـا العـز فلـم يكتـف العـز بإصـدار حكمـه في هـذا الشـأن ، بـل سـعى إلى تطبيـق ذلـك الحكـم في سـرعة هائلـة وربمـا خشـي مـن تبـاطؤ أولي الأمـر في تنفيـذ حكمـه هـذا وفـوُت علـى

---

(١) وبعـد مـدة يسـيرة – وهـو مـتربص بالشـيخ – جلـس العـز بـن عبدالسـلام بجـامع مصـر لتعـديل مـن شـهد بعدالتـه ، مـنهم : فخـر الـدين محمـد بـن الصـاحب بهـاء الـدين علـى بـن محمـد. واجتمـع لـذلك كثـير مـن العلمـاء والفقهـاء والأكـابر والقـرّاء ، وكانـت العـادة كـذلك فى إنشـاء العدالـة ، فوصـل الخـبر إلى الـوزير معـين الـدين ، فـانتهز الفرصـة ، ليهـين العـز في هـذا المجلـس الحافـل ، باسـم السـلطة متـذرعاً بالسياسـة ودواعـي الأمـن ، فـأمر والي مصـر أن يـدخل إلى المجلـس ، ويفـرّق ذلـك الجمـع ، ويقـول للشـيخ العـز بـن عبدالسـلام إن الـوزير يقـول لـك : بلـد السـلطان لا يجتمـع فيـه الجمـوع ففعـل الـوالي ذلـك . فصـرخ الشـيخ فى المجلـس بإسـقاط عدالـة الـوزير معـين الـدين – أي أعلـن فسـقه وخروجـه عـن العدالـة ، وكيـف يكـون الـوزير أو نائـب السـلطان فاسـقاً غـير عـدل مـع أنهـا شـرط في شـهود صـغار لـدى القاضـي قـد جمـع هـذا الحشـد مـن أجلهـم – ثم أعلـن اسـتقالته مـن منصـب القضـاء عقيـب ذلـك في المجلـس ، وكثـر اللّغـط ، وارتفعـت الأصـوات ، ولمـا وصـل خـبر إسـقاط عدالـة الـوزير إلى السـلطان ، منعـه مـن الـدخول عليـه ، واسـتمر ذلـك ثلاثـة أيـام ، حـتى أعـد الـوزير شـهوداً شـهدوا عنـد السـلطان بـأن قاضـي القضـاة العـز بـن عبدالسـلام حكـم بعـدم عدالتـه بعـدما اسـتقال مـن منصـبه ، وعلـى ذلـك لا يكـون قاضـي قضـاة ولا تصـح أحكامـه مـا دام خـارج منصـبه ، وأن الـوزير بـاقٍ علـى عدالتـه ، ففعـل السـلطان ذلـك ولكـن مكانـة الـوزير قـد اهتـزت لـدى السـلطان . النـويري : نهايـة الأرب (٢٩ /٢٩٨) .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب (٥ /٣٠٣ – ٣٠٤) ؛ النويري : نهاية الأرب (٢٩ /٢٩٨ – ٢٩٩) .

(٣) عبـدالقادر بـن محمـد العمـاري : العـز بـن عبدالسـلام عـالم لا يخـاف إلا الله ، مجلـة الـوعي الإسـلامي ، العـدد ٢٣٣ ، جماد الاولى سنة ١٤٠٤هـ ، ص ٢٥ .

خصمه فرصة إعفائه من منصبه فعزل نفسه بنفسه أمام كل هذا أدرك السلطان نجم الدين أن الحق مع العز ، وتلطف معه للعودة إلى القضاء ولكن الشيخ أصر على ذلك [1] .

ولم يتوقع وزيره معين الدين أن كلام العز سيكون له صدى كبيراً فقد انتشر الخبر في الآفاق حتى وصل إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله[2] في بغداد (٦٤٠ — ٦٥٦هـ/١٢٤٢ — ١٢٥٧م) ، وأخذ صداه الواسع في العالم الإسلامي .

وقد ظهر في رسالة أرسلت من السلطان نجم الدين أيوب إلى الخليفة العباسي المستعصم في بغداد ، فسأل الخليفة الرسول الذي أرسل إليه عن مصدر الرسالة ، هل سمعتها من السلطان أم بلغت إليه فأجاب الرسول بأنه لم يسمعها من السلطان وبين أن الذي حمله الرسالة هو معين الدين ابن شيخ الشيوخ - أستاذ الدار - فلم يقبل الخليفة هذه الرسالة ، فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة ثم عاد إلى بغداد [3] .

---

(١) نهى حسام الدين السيد : العز بن عبدالسلام ، ص١٨١ . " وقد حاول الوشاة والحساد أن يوغروا صدر السلطان عليه فقالوا : إنه لا يثني عليك في الخطبة كما يفعل غيره من خطباء الجوامع ، وإنما يدعو له دعاء قصيرا فردهم السلطان بغيضهم وقال لهم : دعوه فإني إلى دعائه القصير لأحوج مني إلى الثناء الطويل من غيره وما عزلته عن القضاء وإنما عزل نفسه ، ولو قبل أن يعود لأعدته ، وما يملأ عيني من العلماء غيره ، فإياكم أن تعودوا بالسعاية عندي بابن عبدالسلام " عبدالقادر بن محمد العماري : العز بن عبدالسلام عالم لا يخاف إلا الله ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد بن المستضيء الهاشمي العباسي البغدادي ، هو آخر الخلفاء العباسيين في العراق ، تولى الخلافة سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، كان حليمًا كريمًا سليم الباطن ، قليل الرأي ، رزق الشهادة على يد التتار سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٧م . للمزيد عن الترجمة انظر : ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر (٧ /٣٤٨ — ٣٤٩) ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /١٧٤ — ١٨٣) ؛ اليافعي : مرآة الجنان (٤ /١٠٧) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨/٢١١) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة (٢ /١٦٢) .

يلاحظ في هذه الحادثة إظهار قوة العز في الحق فهو لا يخاف في الله لومه لائم كما يتضح الصدق والإخلاص المجردين من أي لون من ألوان الخوف والتردد ، وندرك أيضاً مكانته في قلوب الناس وتقديرهم له واعتمادهم أقواله .

من جانب آخر نلحظ أن العز بن عبدالسلام يتولى أحياناً بنفسه تغيير المنكر بيده رغم كبر سنه استجابة لأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان "[1] ، كما كان يضع نصب عينيه قوله – عليه الصلاة والسلام – : " لا يمنعن رجلاً منكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه "[2]. ولعل مكانته في السلطة وحرصه على نصرة الحق كان لهما أكبر الاثر في ذلك .

يقول الباحث محمد الخليفة[3] معلقاً على هذه الحادثة : " وبهذا يتضح مكانة الشيخ وفضله إذ كان لحكمه بإسقاط عدالة وزير السلطان وأستاذ داره أثراً بعيداً ، كما أنه كان ضربة شديدة وجهت إلى أستاذ الدار ، بل إلى السلطان نفسه الذي يحمي مثل هذا الأستاذ ويرعاه ويأتمنه ويكلفه مهام الأمور ".

واتضح لنا مما تقدم أن الخليفة المستعصم كان ينظر إلى غالب المشكلات التي تمر بها البلاد الإسلامية وإن كانت صغيرة بنظر غيره ، وأن حكم العز بن عبدالسلام مقدم على غيره عند الخليفة[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، أن الإيمان يزيد وينقص ، حديث رقم : ٧٨ (١ /٦٩) .

(٢) وفي رواية " إذا رآه أو علمه أو رآه أو سمعه " . ابن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٧/٤٩٠) ، (١٨ /٢١) .

(٣) العز بن عبدالسلام ، ص١٩٧.

(٤) رعد بنت محسن السامرائي : الفكر السياسي عند الإمام العز بن عبدالسلام ، ديوان الوقف السني ، العراق – بغداد ، ٢٠١٤م ، ص ١٣٨ .

ويُلخص أحد الباحثين[1] هذه الحادثة بقوله : يذكر السبكي[2] أن العز بن عبدالسلام ، كان قد اختلف مع أستاذ دار السلطان الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بشأن بنائه لطبلخانة ملاصقة جدار مسجد بمصر ، مما تسبب احتجاج العز بن عبدالسلام على ضرب الطبلخانة التي بجوار المسجد ، وبعد ثبات الأدعاء حكم العز بن عبدالسلام على هدم ذلك البناء وخلعه ، أما اليونيني[3] فيربط الحادثة ببعض غلمان وزير السلطان الصاحب معين الدين أخ الأستاذ دار الأمير فخر الدين ، الذين بنوا على سطح بعض المساجد بمصر بنياناً اتخذه طبلخانة معين الدين ، فاتخذ العز بن عبدالسلام قراراً بهدم وتنفيذ هذا البناء هو وأولاده ، من دون أن يبدى أدنى اكتراث بما سيؤول إليه عمله أمام السلطان ، والمصادر المعاصرة كابن واصل[4] فقد أشارا صراحة في حوادث سنة ٦٣٩هـ ، إلى معين الدين كوزير السلطان نجم الدين وإلى الطبلخانة أوردها كما يوردها اليونيني ، ولا يختلف المقريزي[5] عن اليونيني في هذا سوى إشارة مقتضبة لكنها مهمة تخص علاقة السلطان بالحادثة بقوله : إن عمل هذا تم بأمر السلطان لخدمة ابن شيخ الشيوخ عماد الدين ، وهي الإشارة الوحيدة لعلاقة السلطان بالحادثة ، ولم تظهر في المصادر الأخرى التي سبقت المقريزي ، فقط النويري[6] يضيف عنصراً آخر للحادثة ليكمل بها المحتوى هو أن العز بن عبدالسلام لم يعد إلى تلك الإجراءات إلابعد تحذيره لمعين الدين مرتين بضرورة إزالة هذا البناء ، وثمة شئ واحد يتفق عليه جميع هؤلاء المؤرخون هو أن العز بن عبدالسلام يقف بمثابة

---

(١) مرتضي بن حسن النقيب : عز الدين بن عبدالسلام ومواقف من السياسة الأيوبية والمملوكية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٥٥ ، ٢٠٠١ ، ص ٢٢٣ – ٢٢٦ .

(٢) طبقات الشافعية (٨ /٢١٠ – ٢١١) .

(٣) ذيل مرآة الزمان (٢ /١٧٣ – ١٧٤) .

(٤) مفرج الكروب (٥ /٣٠٣ – ٣٠٤) .

(٥) السلوك (١ /٤١٦) .

(٦) نهاية الأرب (٢٩ /٢٩٨) .

العقل المدبر وراء حادثة الطبلخانة ، ونرى موقف السلطان نجم الدين أيوب لم يكن معادياً للعز بن عبدالسلام ، وما اقترن باسمه من موقف ، والذي اقتضى لعزل العز بن عبدالسلام عن الخطابة بمنشور سلطاني ، فقد جاء من حيث كونه إجراءاً إدارياً لابد منه ، بعدما عزل العز بن عبدالسلام نفسه من القضاء أجرته الإدارة المسؤولة عن معالجة الأزمة معه إلى النهاية ، والسبكي بطبيعة الحال فنجده يقلل من قيمة ما حصل للعز بن عبدالسلام بعد حادثة الطبلخانة وبتمسك بأن الشيخ العز بن عبدالسلام ظل يحتفظ بعلاقات ودية مع السلطان على الرغم من أنه في إشارات أخرى يناقض نفسه بنفسه عندما يعلن بأن حياة الشيخ في ولايات مصر والقاهرة التي أمضاها على مستوى سلطنة نجم الدين أيوب شهد الكثير من العجائب والغرائب – من دون أن يلمح إلى فحواها وطبيعتها – ومن دون شك ، أن بعضاً من هذا التناقض مبعثه الاختلاط الحاصل بين آراء السبكي المتحيز لجانب ابن عبدالسلام ، ومعلومات كاتب سيرته ولده عبداللطيف ، التي يورد فقراتها السبكي كما هي من دون تعظيم ، وبعضها الآخر ناجم من حقيقة الإجراءات نفسها التي لا تبدو واضحة في المصادر ، لكنها تسببت في سلب أهم وظائفه الشخصية بالتأثير في المجتمع كل من الخطابة الدينية والحكم بالقضاء في الديار المصرية .

– استنجاد السلطان الناصر داود بالعز بن عبدالسلام سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م :

عندما دخل الصليبيون مدينة نابلس سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م وقتلوا من بها من الرجال والشيوخ وسلبوا النساء والولدان ، ووضعوا الصلبان على مساجدها ، ارتاع السلطان الناصر داود لما شاهده من آثار القتل والتدمير الذي أصاب المدينة على يد الصليبيين – الداوية – فعبر عن مشاعره في رسالة بعث بها إلى الشيخ العز بن عبدالسلام واصفاً فيها فداحة الخسائر التي تعرضت لها نابلس وأهلها من جراء الهجوم

وما ارتكبه الصليبيون – الداوية – ، من جرائم ضد السكان[1] يستنجد به ويدعوه إلى القدوم لحث الناس على الجهاد ، فإن لقوله قبولاً عندهم ، وتأثيراً عميقاً في نفوسهم ، ومن بعض ما جاء في هذا الكتاب : أحسن الله عزاء المجلس السامي القضوى العزى في مُصاب المسلمين بمدينة نابلس التي قتلت فيها المشايخ والشباب وسبيت الحلائل والصبيان واستولت أيدي الكفار على ما كان فيها من خزائن الأموال ، والغلال ... فيا أيها العز الذي كنا نظن أن الإسلام يتزيد بسعيه غداً ، وأن رقّى عزائمه تكون عليه من سحر الكفار حرزاً ، ... ووجب على المجاهدين الإسعاد ، والإنجاد ، وتعين عليهم في طاعة الله الجهاد ، فيا لسان الشريعة أين الجدال فيه وأين الجلاد ؟ وأين مهند لسانك الماضي ، إذا كلّت المهندة الحداد ؟ أتغمد سيف لسانك في جفنه وقد هجرت سيوف الكفار جفونها ، وأجرت عيون الأنام على الإسلام شؤونها ... فأنا لله قول من عز عزاه في الإسلام وذويه ، وبذل في الدفاع عنه ما تملكه يده وتحويه ، وصبراً على احتمال الأذى ، ورؤية جانبه والله سبحانه وتعالى يتلافى الإسلام بتلافيه ، ويحميه بحمايته ، وحسن نظره فيه ، إنه قريب مجيب[2] .

على مر العصور تبقى شناعة ما يحمله الصليبيون في قلوبهم من غل وحقد دفين على المسلمين ، خصوصاً إذا بادروا بالحروب ، نجد أنهم يقومون بأشنع المجازر ، لهم بصمة عار خلدها التاريخ منذ عصور سابقة ، حتى عصرنا الحاضر من هول ما يفعلونه عند بدايتهم بالقتال والحروب لا يأبهون بمسن عاجز ولا بامرأة ثكلى ولا طفل ضعيف إنما يمثلون بهم شر تمثيل لا ينتمون للرحمة بأي صلة لا من بعيد ولا من قريب بل يتفننون بالتعذيب والتمثيل ممن يستولون عليه على عكس المسلمين أثناء فتوحاتهم يرحمون الصغير قبل الكبير يعطفون على الضعيف ، ولنا في صحابة رسول الله أسوة

---

(١) رئيسة بنت عبدالفتاح طلب العزة : نابلس في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، كلية الآداب ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص ٤٥ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (١ /١٥٧ – ١٥٩) . وقد ورد في الملحق الثاني نص لهذه الرسالة .

في ذلـك لقـد كـانوا يوصـون قـواد الجيـوش الإسـلامية بالرحمـة بالنبـات والحيـوان قبـل الإنسـان - رضـوان الله علـيهم - ، فمـن هـول مـا رأى السـلطان الناصـر داود مـن انـدفاع الصـليبين وعـدم رحمـتهم استنجد بالشـيخ العـز بـن عبدالسـلام فبعـث رسـالة يسـتنجد بهـا مـن الـدمار والقتـل الـذي خلفـه الصـليبيون علـى سـكان مدينـة نـابلس فجـرائهم لا تغتفـر ولا يمكـن السـكوت عنهـا لـذلك كتـب رسـالته يـدعوه للقـدوم للمدينـة ليحـث النـاس علـى الجهـاد لمـا يمتـاز بـه الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام مـن طلاقـة اللسـان وقبـولاً وشـعبية بـين النـاس فـإن مكانتـه بـين النـاس جعلـت لـه تـأثيرا علـى نفوسـهم ومشـاعرهم الـتي يكنونهـا له .

لهـذا بعـث السـلطان الناصـر داود إليـه وصـور لـه الأحـداث الـتي خلفتهـا جـرائم الصـليبين بعـد دخـولهم مدينـة نـابلس ، ابتـدأ رسـالته بعزائـه في مصـاب المسـلمين لمـا حـل بمدينـة نـابلس حيـث قتـل فيهـا المشـائخ والشـباب بـلا رحمـة مـنهم وسـبيت الحلائـل والأطفـال هـذا مـا طالتـه أيـدي المجـرمين الصـليبين مـن البشـر وأيضـا ذكـر لـه بـأنهم لم يكتفـوا بـذلك فحسـب بـل استولوا علـى مخـازن المدينـة والغـلال وأحـدثوا خسـائر فادحـة في المدينـة بعـدها ؛ طلـب يـد العـون منـه بنـداء يخـص العـز بـن عبدالسـلام ويليـق بمكانتـه وقوتـه ورقـي أخلاقـه وأنـه بمجـرد ذكـر اسمـه لـه وقـع علـى مسـامع النـاس بـأن يلقـي كلمـة الجهـاد علـى النـاس ويحـثهم عليـه للـدفاع عـن مـدينتهم وطلـب منـه بـأن يظهـر قـوة سـيفه في وجـوه الكفـار بـأن لا يبقـي سـيفه نائمـاً في غمـده في حـين يقظـة سـيوف الكفـار لجفونهـا ، فوصـف وصـفاً دقيقـاً يسـتعطف بهـا العـز بـن عبدالسـلام بـأن الكفـار صـامدون وحريصـون علـى القتـال وأنـه يجـب عليـه يبـذل مـا لديـه في الـدفاع عـن مـا تملكـه يـده ويصبر في ما يواجهه من أذى وختم رسالته بأن الله تعالى قريب مجيب لدعائه .

تبـين للباحثـة ممـا سـبق أن العلمـاء هـم ركيـزة أساسـية في اتصـال السـلطان بشـعبه وأنهـم الوسـيلة الأقـوى لاسـتنهاض همـم العامـة خاصـة في أمـور الحفـاظ علـى أراضـيهم وتوحيـد كلمـتهم ، ومـا كـان استنجاد السـلطان وقـت الشـدائد بـالعز إلا دلـيلا علـى تـأثيره القـوي

في توجيه آراء العوام ، ومما حدث يتبين أن أهل العلم دعامة يلجأ إليها الملوك عند اضطراب الأحوال السياسية على مر العصور ، ويبدو لي أنه في تلك الفترة ألف العز بن عبدالسلام كتابه ((ترغيب أهل الإسلام سكنى الشام)) ليثبت به المسلمين عندما فزع كثيراً منهم من اجتياح الصليبيين لبلاد الشام وبدأوا يفرون إلى الأمصار الأخرى ويتركون الشام ، وإن دل هذا الكتاب على شيء إنما يدل على أن العز لم يكن منعزلاً عن مجتمعه وإنما كان منغمساً في مشاكل مجتمعه والدليل على ذلك حرصه الشديد على المشاركة في ترغيب الناس في سكنى الشام في الوقت الذي بدأ فيه المسلمون يفرون منها بعد أن تكرر عليهم هجوم الصليبيين .

– دور العز بن عبدالسلام في معركة المنصورة[(١)] :

قبل أن نتعرف على ذلك الدور الذي قام به العز يتعين علينا أن نتعرف أولاً على ظروف تلك الحملة وما حدث فيها حتى ندرك مدى الإسهام الذي قام به الشيخ العز بن عبدالسلام في ذلك الصدد .

فقد كان لمعركة غزة واسترداد بيت المقدس سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م صدى كبير ورد فعل عنيف على الغرب الأوربي ، مما جعل الأوربيين يدعون إلى قيام حملة صليبية كبيرة تمكنهم من استعادة بيت المقدس[(٢)] .

---

(١) المنصورة : هي بلدة أنشأها السلطان الكامل بن العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة ورابط بها في وجه الإفرنج لما ملكوا دمياط وذلك في سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٥ /٢١٢) .

(٢) سعيد بن عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية (٢ /٨٣١) ؛ الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، ص١٢٧؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م ، ص٨٨ ؛ محمد بن عبدالله عنان : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، حسين عنان ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ص١٤٣ .كان ملك فرنسا لويس التاسع مريضاً آنذاك فنذر إن شفي أن يشن =

وقد كانت هذه الحملة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع[1] الذي استجاب لها واشتهر بتعظيمه للنصرانية وحرصه على مصالح الصليبيين ، حيث جهز جيشاً ضخماً للقيام بها وكانت خطته تقضي قصد مصر باعتبارها مركز القوة الإسلامية الرئيس[2] ؛ فأبحروا من مرسيليا قاصدين قبرص فوصلوها سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م[3] وقضوا فيها

= حملة على المسلمين ،فلما شفي أخذ يستعد للحملة ثلاث سنوات . علي عبدالحليم : الغزو الصليبي ، ص١٩٣ ؛ سالم الحميدة : الحروب الصليبية (٤ /٢٦٠) .

(١) لويس التاسع : تولى حكم فرنسا وهو في الثانية عشرة من عمره وكان تحت وصاية والدته بلانش القشتالية ، اشتهر بلقب القديس لويس لما اتصف به من تقوى وصلاح ، اقترن اسمه بالحملة الصليبية السابعة على الأراضي المصرية التي باءت بالفشل، امتازت دولته بالتنظيم الجيد والعدالة والمساواة في جمع الضرائب ، اتخذ موقفاً معادياً ضد اليهود وتطرف في اضطهادهم ، قاد حملة أخرى على تونس ٦٦٩هـ/١٢٧٠م وتوفي في السنة نفسها . ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطيب (ت : ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) : تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ٢٢٦ ؛ لمزيد من المعلومات عن الحملة الصليبية السابعة انظر : جوانفيل جان دي : مذكرات جوانفيل (القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام) ، ترجمة : حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٨١- ٩٢ ؛ سعيد بن عبدالفتاح عاشور : أوربا في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٦م (١ /٢٧٢ – ٢٧٧) ؛ جوزيف بن نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٦٤- ٨٤ ؛ محمد بن مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص٨٧ وما بعدها .

(٢) علي بن محمد الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي (٥٨٩ – ٦٥٧هـ/١١٩٣ – ١٢٥٩م) ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ ، ص٢٨٩ .

(٣) ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت : ٨٠٧هـ/١٤٠٤م) : تاريخ الدول والملوك المعروف بـ ((تاريخ ابن الفرات)) ، تحقيق : قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت ، ١٩٤٢م ، (٦ /١٣) ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ، ص٣٣٩ ؛ جوانفيل : القديس لويس ، ص٨١ . ؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (٣ /٤٤٤) ؛ انتوني بردج : تاريخ الحروب الصليبية ، نقلها للعربية : أحمد غسان ونبيل الجيرودي ، راجعه وقدم له : سهيل زكار ، دار قتيبة ، دمشق ، ص ٢٦٤ .

بضعة أشهر ثم واصلوا المسير حتى وطئت أقدامهم دمياط سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[1]، وعندما سمع السلطان نجم الدين أيوب[2] بمجيئهم نزل بأشموم طناح[3] وبدأ بتحصين دمياط[4] للتصدي لهذه الحملة ، واستمات الصليبيون للسيطرة على دمياط ورغم ما قام به الأيوبيون من تحصين لها إلا أنها سقطت بأيديهم[5] ؛ وارتاع المسلمون لسقوطها ، وحزن السلطان نجم الدين أيوب حزناً شديداً وحُمل إلى المنصورة في حراقة[6] وهو مريض كما نقل المعسكر إلى تلك المنطقة وتجمعت القوات الإسلامية فيها وأعلن النفير العام في البلاد فهرول عوام الناس أفواجاً من أنحاء مصر كافة إلى المنصورة ؛ لأجل الجهاد ضد الغزو ، وقد وصف أحد المؤرخين هذه الاستعدادات

---

(١) أبو الفداء : المختصر (٣ /٢١٦) ؛ المقريزي : السلوك (١ /٤٣٧) ؛ العريني : الشرق الأدنى ، ص ١٤٤ – ١٤٥ ؛ انتوني بردج : تاريخ الحروب الصليبية ، ٢٦٥ – ٢٦٦ ؛ جوزيف بن نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م ، ص٥٢ .

(٢) كان السلطان نجم الدين في بلاد الشام فعندما وصلت إليه الأنباء بتحركات الصليبيين أسرع بالعودة إلى مصر . ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /٦٨) .

(٣) أشموم طناح : إحدى المدن المصرية وهي تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الصغير الذي كان يسمى حينذاك بحر أشموم نسبة إلى هذه المدينة. ياقوت الحموي : معجم البلدان (١/٢٠٠).

(٤) عندما قصد الصليبيون مصر سنة ٦١٥هـ/١٢٢٨م في الحملة الصليبية الخامسة وساروا إلى دمياط فنزلوا في البر الغربي للنيل تجاه دمياط وقد توقع السلطان نجم الدين أنهم سينزلون هذه المرة في المكان الذي نزلوا فيه قبل ، والبر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط ويحيط بها ماء النيل والبحر الملح . المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ ، (١ /٤٠٤) . ويذكر محمد بن مصطفى زيادة : أن الشاطئ الغربي للنيل من ناحية ، وساحل البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى ،أي رأس البر الحالية . حملة لويس التاسع ، ص ١٠٣ .

(٥) زبيدة عطا : الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، نعمان بن محمود جبران : دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، الأردن ، ٢٠٠٠م ، ص٢١٤ .

(٦) الحراقة : هي نوع من أنواع السفن الحربية ، تحمل النفط والحجارة لمواجهة العدو . المقدسي : المطهر بن طاهر (ت : ٥٠٧هـ/١١١٣م) ، البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، د. ت ، (٦ /١١٠) .

بقوله : " ووقع النّفير العامّ في المسلمين فاجتمع بالمنصورة أمم لا يحصون من المطّوّعة والعربان والحرافشة ، وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطّفهم ، واستمرّ ذلك أشهراً "[١]، كما ذكر ابن واصل[٢] المعاصر للأحداث استجابةالمطوعة بجميع أصنافهم لدعوة الجهاد بقوله : " وجاء إلى المنصورة من الرجالة والحرافشة والغزاة المطوعة من سائر النواحي خلق كثير لايقع عليهم الإحصاء وورد من العربان أمم كثيرة وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومناوشتهم " .

واستمر المجاهدون يشنون هجمات على معسكرات الصليبيين ويأسرونهم وينقلونهم إلى القاهرة[٣] ، ورابطوا في المعسكر وكان من بينهم الشيخ العز بن عبدالسلام يحث على الجهاد ويلهب الحماس في نفوس المسلمين الذين يحاربون في البر والنيل ، ثم قرر الصليبيون الزحف صوب القاهرة ووقع قتال شديد بينهم وبين المسلمين حتى أرسل الله ريحاً فكان النصر أولاً للفرنج وقويت الرياح حيث استظهروا على المسلمين وزاد من ذعرهم وخوفهم ، فبدأ العز بن عبدالسلام يستجير بالله وينادي بأعلى صوته مشيرًا بيده إلى الريح : يا ريح خذيهم ، عدة مرات ، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها ، وكان الفتح ، وغرق أكثر الفرنج ، وقد انبهر أحد المقاتلين بما رأى ، فانطلق يقول : الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رجلًا سخر له الريح[٤] .

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٥٦٢) .

(٢) مفرج الكروب (٦ /٧٦) .

(٣) محمد الأنطاكي : معركة المنصورة (٦٤٧ – ٦٤٨هـ/١٢٤٩ – ١٢٥٠م) ، دار الشرق العربي ، بيروت ، د.ت ، ص٨٧ – ٩٠ ؛ يسري أحمد زيدان : دور المطوعة في هزيمة الصليبيين بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م ، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، مصر ، العدد ٦١ ، ٢٠١١م ، ص ٤٩ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٦) ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ، ص٢٨٠ – ٢٨١ . حينما أمعن النظر في موقف العز بن عبدالسلام عندما أخذ يستجير بالله في شدة المعركة والرياح مقبلة مع العدو فاستجاب الله دعاءه وصرف الرياح إلى الأعداء يذكرنا بما جرى للمسلمين من البلاء في غزوة الخندق =

يتضح مما سبق قوة إيمان العز بن عبدالسلام وهو في قلب المعركة حيث أشرك فيها لسانه ويده ، يقول الدكتور لؤي البواعنة[1] عن هذه الحادثة : " وعلى الرغم مما احتوته هذه الرواية من مبالغة واضحة في دور هذا الشيخ في مقاومة الفرنج لدرجة تسيير الرياح بأمر الله إلا أنها كانت تهدف إلى بيان حجم المشاركة الفعلية لهذا العالم وجهاده " ، كما قال رضوان الندوي[2] : " فالظاهر أنه دعاء بقلب صادق خاشع في أزمة عامة على المسلمين ، فاستجاب الله دعاءه ، وصرف الرياح إلى الأعداء ، وبيده ملكوت السموات والأرض ، وكم أبرّ يميناً أقسم عليه أشعث أغبر " .

يصور لنا هذا الموقف مدى الحرقة والهم الذي يحمله هذا العالم الجهبذ ، فهمه هم المسلمين وشغله شغلهم معهم في شدتهم ورخائهم وحربهم وسلمهم ، مشاركة بالفعل والقول والروح والجسد ، كما كان العز بن عبدالسلام يسير على هذا المنهج وعلى هذه الطريقة فقد كان عارفاً بربه موقناً بنصره ، فليس غريباً عليه هذا الهم وهذه المناشدة التي كانت من بعدها تسخير الرياح لتكون سبباً في هزيمة الأعداء ؛ لأن المسلمين كالجسد الواحد (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

ومن هذا كله ندرك اهتمام العز بن عبدالسلام بأمر المسلمين ، ويمثل دور العلماء الأقوياء الذين لا يرضون هزيمة جيشهم أياً من كان عدوهم ، لكن هذه الحادثة يتخللها بعض صيغ المبالغة في وصف الأحداث بأن الرياح انعكس مسارها واتجهت باتجاه العدو لتدمره ، وهذا ليس بعزيز على الله تعالى ، وأن أمر الله كائن لا محاله جل في علاه ، ولكن تبقى مبالغة في وصف هذه الحادثه خصوصاً أنه استجار بالرياح

= بصحبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي بدأ بالدعاء والاستغاثة والتضرع إلى الله فاستجاب الله دعاءَ نبيه على الأحزاب ، وأنعم على المسلمين بدحر تلك القوات حيث أرسل عليهم الريح الباردة الشديدة ، وألقى الرعب في قلوبهم ، وأنزل جنودًا من عنده سبحانه مما أدى إجبارهم على الرحيل عن المدينة وفك الحصار عنها .

(١) دور العلماء المسلمين ، ص٢٧٧ .

(٢) العز بن عبدالسلام ، ص١١٣ .

وطلب العون منها ، فغيرت مسارها ، ويظل هذا هو شيخنا الفاضل العز بن عبدالسلام قد بقي أثره وبصمته بانتصاراته وخدمته للدين الإسلامي .

ومما يجدر ذكره في هذا السياق مرض السلطان نجم الدين أيوب مرضاً شديداً حتى فارق من أثره الحياة سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م غير أن زوجته شجر الدر[(١)] ظهرت على مسرح الأحداث وأدركت خطورة إذاعة هذا الخبر على المجاهدين ، فأخفت خبر وفاته وتحملت الموقف بكل شجاعة ولم يعلم بذلك إلا الخاصة ، وبعثت في طلب ابنه توران شاه في حصن كيفا[(٢)] ليتولى الأمر بعد أبيه ، وسارت الأمور كأن لم يحدث شيء وتمكنت من إدارة العمليات العسكرية ، لكن رغم الاحتياطات والتحكم الشديد تسرب خبر وفاته مما أدى إلى ارتباك المصريين[(٣)] ، وهنا قام الشيخ برفع الروح المعنوية عند المصريين ، وحضّ العلماء الناس على الجهاد ، يقول المقريزي[(٤)] عن هذه الحادثة : " فورد في يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب فيه حض الناس على الجهاد أوله : انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم

---

(١) شجر الدر : هي أم الخليل بنت عبدالله ، كانت من حظايا السلطان نجم الدين أيوب ، أنجبت منه ولده خليلاً ومات صغيراً ، وكانت ذات حسن وظرف ودهاء وعقل ،ونالت من العز والجاه ما لم تنله امرأة في عصرها ، قامت بخدمة زوجها نجم الدين ، لا تفارقه حضراً ولا سفراً من شدة محبته لها ، قتلت سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧. ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٩ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٩٩/٢٣) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٣٥٢) .

(٢) كيفا : قلعة كبيرة على دجلة بين آمد وجزيرة عمر من ديار بكر . ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢ /٥٦٥) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ / ٣٠٤) ؛ المقريزي : السلوك (١ /٤٤١) ؛ انتوني بردج : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٦٦ ؛ جوزيف بن نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص٦٦ ؛ عزمي بن عبد محمد أبو عليان : مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، دار النفائس ، الأردن – عمان ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص١٢ – ١٣ ؛ محمد الأنطاكي : معركة المنصورة ، ص٧٩ .

(٤) السلوك (١ /٤٤٦) .

وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون وكان كتابا بليغاً فيه مواعظ جمة فقرئ على الناس فوق منبر جامع القاهرة وحصل عند قراءته من البكاء والنحيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يوصف " .

ولما وصل ابن نجم الدين المعظم توران شاه من الشرق إلى الديار المصرية ملكها وهزم الصليبيين وأسر ملكهم وعامل العز بن عبدالسلام بأحسن معاملة وعندما انتقل توران شاه إلى الرفيق الأعلى تولت الحكم بعده شجر الدر زوجة السلطان نجم الدين أيوب[1] .

ومما سبق تبين لنا أن دور العز بن عبدالسلام مع الأيوبيين في مصر والشام لم يقتصر على محاربة المنكرات والمظالم والمخالفات وتولي الوظائف الإدارية ، بل تعداه إلى الانخراط في فض النزاعات التي نشبت بين السلاطين والأمراء ، وأزالت الجفوة بين أبناء السلطان العادل وإصلاح ذات البين بينهم ؛ لأنه كانت مصلحة الإسلام والمسلمين في هذه الفترة تقتضي اجتماع كلمتهم ووحدة صفهم لذلك عمل العز على الإصلاح بين الأخوين المتنازعين على الحكم حرصاً على جمع الكلمة ووحدة الصف في وجه العدو الجاثم على بلاد المسلمين .

وكذلك أنكر التهاون مع الأعداء ضد إخوانهم المسلمين ، فقام العز بمساعٍ حميدة في توحيد الأمة والعمل على تماسك جبهتها الداخلية والخارجية ، وكان لجهوده أثر واضح في مصلحة أهل الشام ومصر .

وتبين لنا من خلال ذلك الدور الفاعل للعز بن عبدالسلام في المجتمع الإسلامي، والتلاحم القوي مع آلام وهموم العامة على الرغم من المضايقات التي تعرض لها ، وما قدمه يعد إنموذجاً حياً فلم يضن بالأمر بالمعروف ولم يسكت عن النهي عن المنكر .

---

(١) عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام : إيضاح الكلام ، ص١٤ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٥) .

ونخلص مما تقدم أن العز بن عبدالسلام جاهد بسيفه كما جاهد بلسانه ، فقد جاهد بسيفه عندما هاجم الصليبيون دمياط ، وأرادوا اكتساح الإسلام في أمنع دولة وأعز حصونه ، فنهض الشعب عن بكرة أبيه ، وأمامه أمراؤه وجنوده وعلماؤه ، خطب الشيخ خطبة مؤثرة ، أشعلت الحمية في الصدور ، ودفعت النفوس إلى الجهاد في سبيل الله[1] .

وفي هذا الصدد ينبغي علينا استنباط الفوائد وأخذ العبر من تاريخنا الإسلامي الذي بدأ يعيد نفسه في عصرنا الحاضر ، نتيجة لما يحدث من انقسامات ومنازعات بين الأقطار الإسلامية ، وتعاون مع الغرب ضد بعضها البعض ، والاستعانة بجيوش أجنبية لقتال المسلمين ، وإعراضٍ عن دين الله وشرعه ، واضطراب في صفوف المسلمين لنا فيما سطرت كتب التاريخ الإسلامي الكثير من الدروس التي توضح أثر العلماء الكبير في التأثير على الناس والقادة ، ودورهم الفاعل في الجوانب السياسية للدول خاصة بما قام به العز بن عبدالسلام من مواقف عظيمة .

يقول أحد الباحثين[2] : " فهذا الشيخ الذي عاش حياته يصارع فساد الحكام المنحرفين ، وتعصب العلماء الجامدة ، وضع نصب عينيه شيئاً واحداً ، جند فقيه لتربيته وتهذيبه ، وهو إنسانية الإنسان ، فأحاطها بالرعاية والرفق ، والتستر وأخيراً ... بالجمال " .

(١) محمد بن رجب البيومي : علماء في وجه الطغيان ، الدار القومية للنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٦٧ .

(٢) محمد بن حسن عبدالله : عز الدين بن عبدالسلام ، ص ١٤١ .

الفصل الثالث

دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر المملوكي .

المبحث الأول : معارضته لحكم شجر الدر .

المبحث الثاني : دور العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز .

أ – دوره في عزل المنصور علي .

ب– دوره في معركة عين جالوت .

المبحث الثالث : دوره في عهد الظاهر بيبرس .

أ – دوره عند مبايعة الظاهر بيبرس .

ب – موقفه من إحياء الخلافة العباسية .

المبحث الأول : معارضته لحكم شجر الدر[1].

ظهر دور شجر الدر أثناء موقعة المنصورة ، حيث أخفت خبر وفاة زوجها السلطان نجم الدين أيوب ، وذلك للحفاظ على معنويات الجند ، وأرسلت تستدعي توران شاه ابن زوجها من حصن كيفا ليتولى الحكم بعد أبيه ، وقد استطاع توران شاه هزيمة الصليبيين بمساعدة المماليك البحرية الذين حاربوهم وأوسعوهم قتلاً بل وأسروا قائدهم لويس التاسع[2] .

بعد النصر تنكر السلطان توران شاه لشجر الدر ، وبدلاً من أن يحفظ لها جميلها بعث يهددها ويطالبها بمال أبيه ، فكانت تجيبه بأنها أنفقته في شؤون الحرب ، وتدبير أمور الدولة ، فلما أوجست في نفسها خيفة منه ذهبت إلى القدس خوفًا من غدر السلطان بها وانتقامه ؛ وعلى الرغم من مساندة أمراء المماليك لتوران شاه في تحقيق النصر العظيم وإلحاق الهزيمة بالصليبيين في الحملة الصليبية السابعة إلا أنه عزم على التخلص منهم وجعل أمر البلاد بيد أصحابه الذين قدموا معه ، لكنهم كانوا أسبق

---

(١) يُعد المقريزي شجر الدر أولى سلاطين دولة المماليك في مصر فعبر عن ذلك بقوله : " أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك " ، بينما يُعدها ابن إياس آخر سلاطين الدولة الأيوبية ، والحقيقة أن شجر الدر كانت زوجة الملك نجم الدين أيوب وأم ولده خليل الذي توفي في حياة أبيه ، وقد اعدها بعض المؤرخين من المماليك البحرية ؛ لأنها اشتركت معهم في المؤامرة ضد توران شاه ، والأرجح أن شجر الدر قريبة من المماليك من حيث النشأة ، فهي أرمنية الأصل وليست مملوكية تماماً . السلوك (١ /٤٥٩) ؛ بدائع الزهور (١ /٢٨٦) ؛ عصام بن محمد شبارو : السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري ، المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص٩ .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٨٤ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /١٠١ ، ١٢٤ – ١٢٥) ؛ النويري : نهاية الأرب (٢٩ /٣٣٧) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٣٠٤) .

إلى التـآمر عليـه والغـدر بـه لينتهـي الأمـر بقتلـه علـى أيـديهم يـوم الأثـنين ٢٧ محـرم سـنة ٦٤٨هـ/٢ مايو سنة ١٢٥٠م[١] .

وبعـد مقتـل تـوران شـاه تمـت البيعـة لشـجر الـدر أرملـة السـلطان نجـم الـدين أيـوب وأم ولـده خليـل[٢] في ١٠ صـفر ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[٣] ، لتقـبض زمـام الأمـور ، وهـي ثـاني امـرأة تتـولى الحكـم في الإسـلام[٤] ، وأول امـرأة تحكـم مصـر بعـد الفـتح العـربي

(١) أبـو شـامة : الـذيل علـى الروضـتين ، ص ١٨٥ ؛ المقريـزي : السـلوك (١/٣٦٠) ؛ أحمـد مختـار العبـادي : قيـام دولـة المماليـك الأولى ، ص ١١٧ –١١٩ ؛ أكـرم حسـن العلـبي : الملـك المعظـم تـوران شـاه الأيـوبي بطـل معركـة المنصـورة (٦٤٨هـ) ، دار المـأمون للـتراث ، دمشـق ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص٦٢ – ٦٣ ؛ ثـامر بـن نعمـان مصـطاف : دور المـرأة في الحيـاة العامـة في عصـر المماليـك البحريـة (٦٤٨ – ٧٨٤هـ/١٢٥٠ – ١٣٨٢م) ، مجلـة واسـط للعلـوم الإنسـانية ، جامعـة واسـط ، العـدد (٢٣) ، ٢٠١٣م ، ص ٢٧٢ . الـذين قـاموا بتنفيـذ مـؤامرة قتـل تـوران شـاه أربعـة مـن الأمـراء مـنهم فـارس الـدين أقطـاي وبيـبرس البندقـداري وقـلاوون الصـالحي . سـعيد بـن أحمـد برجـاوي : الحـروب الصـليبية ، ص ٥٧٠ ؛ أحمـد مختـار العبـادي : في التـاريخ الأيـوبي والمملـوكي ، ص٩٩ . لم نجـد في المصـادر الـتي بـين أيـدينا ذكـر شـيئ عـن موقـف العـز بـن عبدالسـلام تجاه مقتل توران شاه .

(٢) هـو خليـل بـن الصـالح نجـم الـدين أيـوب بـن الكامـل محمـد بـن العـادل أبي بكـر بـن أيـوب بـن شـاذي ولـد سـنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠ م ، ومات صغيراً . الحنبلي : شفاء القلوب ، ص٣٨٢.

(٣) ابـن واصـل : مفـرج الكـروب (٦ /١٣٣٢) ؛ المقريـزي : السـلوك (١ /٤٥٩) ؛ قاسـم بـن عبـده قاسـم : في تـاريخ الأيـوبيين والمماليـك ، عـين للدراسـات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعيـة ، القـاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ١٥٠ – ١٥١ . يـذكر ابـن إيـاس أنهـا بويعـت في يـوم الخمـيس ٢ صـفر سـنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، وبايعهـا القاضي تاج الدين بن بنت الأعز على السلطنة مكرهاً . بدائع الزهور (١ /٢٨٦) .

(٤) تُعـد رضـية الـدين سـلطانة دلهـي في الهنـد أول امـرأة تولـت الحكـم في الإسـلام ، وقـد اسـتمر حكمهـا أربـع سـنوات مـن (٦٣٤ – ٦٣٨هـ/١٢٣٦ – ١٢٤٠م) ، وهـي ابنـة السـلطان التـتمش المؤسـس الحقيقـي لدولـة سـلاطين المماليـك في الهنـد ، وتولـت ابنتـه رضـية السـلطنة بعـد وفاتـه . عصـام شـبارو : السـلاطين في المشـرق العربي ، ص ٩ ، الحاشية .

الإسـلامي ، وقـد اعتبرهـا المقريـزي[1] : " أول مـن ملـك مصـر مـن ملـوك الـترك المماليك " ، وتم بعد ذلك تعيين عز الدين أيبك[2] أتابكاً[3] وقائداً للجيش[4] .

بـدأت شـجر الـدر تمـارس صـلاحياتها الفعليـة كحاكمـة لمصـر ، وبـالرغم مـن علـو همتهـا وحسـن تصـرفها إلا أن توليهـا للحكـم لم يكـن مألوفـاً بالنسـبة للمجتمـع العـربي الإسـلامي[5] ولم يقبـل الفقهـاء والعلمـاء سـلطنتها ، فنـددوا بهـذا الأمـر علـى منـابرهم

(١) السلوك (١ /٤٥٩) .

(٢) عـز الـدين أيبـك التركمـاني الصـالحي الجاشـنكير ، وهـو مـن مماليـك الصـالح نجـم الـدين أيـوب ، اشـتراه في حيـاة والـده وكـان يعمـل جاشـنكيراً وهـو المسـؤول عـن تـذوق الطعـام قبـل أن يأكـل منـه السـلطان خوفـاً مـن وجـود السـم داخلـه وصـف بالعقـل والـدين والكـرم ، تـولى ملـك مصـر في ربيـع الآخـر سـنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، وتـوفي ٦٥٥هـ/١٢٥٧م بتـدبير مـن زوجتـه شـجرة الـدر . بيـبرس المنصـوري ، ركـن الـدين بيـبرس بـن عبـدالله المنصـوري (ت : ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) : مختـار الأخبـار تـاريخ الدولـة الأيوبيـة ودولـة المماليـك البحريـة حـتى سـنة ٧٠٢هـ ، تحقيـق : عبـد الحميـد صـالح حمـدان ، الـدار المصـرية اللبنانيـة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص ٩ ؛ الـذهبي : سـير أعـلام النـبلاء (٢٣ /١٩٨) ؛ الصـفدي : الـوافي بالوفيـات (٩ /٢٦٣ – ٢٦٦) ؛ المقريـزي : السـلوك (١ /٤٦٣) ؛ ابـن تغـري بـردي : النجـوم الزاهـرة (٧ /٤) . أيبـك : بفـتح الهمـزة وسـكون اليـاء وتفخيمهـا ، لفـظ تركـي مركـب مـن كلمتـين ((أي)) معنـاه القمـر ، و ((بـك)) بمعـنى أمـير والمعـنى ((أمـير قمـر)) ، وهـو اسـم لشـخص تـولى مرتبـة أتابـك العسـكر (أبـو العسـاكر) أي أمـير الجنـد زمـن شجر الدر بمصر . محمد بن أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٣) الأتابـك أو الأطابـك : يتـألف هـذا اللقـب مـن لفظـين تـركيين ، وهمـا أطـا بمعـنى أب ، بـك بمعـنى أمـير ، أصـله أن السـلاطين السـلاجقة منـذ أيـام ملكشـاه بـن ألـب أرسـلان (٤٦٥ – ٤٨٥هـ/١٠٧٣ – ١٠٩٢م) كـانوا يطلقـون لفـظ أطابـك علـى كبـير أمـرائهم ، يولونـه الوصـاية والرعايـة مـن بعـدهم علـى سـلطان أو أمـير صـغير . ثم أطلـق هـذا اللقـب في أيـام المماليـك بمصـر علـى مقـدم العسـاكر أو القائـد العـام ، علـى اعتبـار أنـه أبـو العسـاكر والأمـراء جميعـاً ، وكـان يسـمى أتابـك العسـاكر . القلقشـندي : صـبح الأعشـى (٤ /١٨) ؛ حسـن الباشـا : الألقـاب الإسـلامية ، ص ١٢٢ – ١٢٥ ؛ محمـد بـن أحمـد دهمـان ، معجـم الألفـاظ التاريخية ، ص١١ .

(٤) ابـن واصـل : مفـرج الكـروب (٦ /١٣٢) ؛ بيـبرس المنصـوري : مختـار الأخبـار ، ص ٩ ؛ ابـن تغـري بـردي : المنهل الصافي (٦ /٢٢٠) .

(٥) رفـض المصـريون قيـام امـرأة في السـلطنة فقـاموا بمظـاهرات واضـطرابات عديـدة في القـاهرة حـتى اضـطرت الحكومـة إلى غلـق أبـواب القـاهرة منعـاً لتسـرب أنبـاء الاضـطرابات إلى بقيـة الـبلاد . أحمـد مختـار العبـادي : =

ودروسهم وكان من أشدهم العز بن عبدالسلام الذي استنكر الأمر وعارضه ، وأدلى بقوله : " ولا يليق بالرجال الكاملة أديانهم وعقولهم ، أن تحكم عليهم النساء ، لنقص عقولهن وأديانهن ، وفي ذلك كسر لنخوة الرجال ، مع غلبة المفاسد ، فيما تحكم به النساء على الرجال ، وقد قال – عليه الصلاة والسلام – لن يفلح قوم ، ولوا أمرهم امرأة "[1] ، نلحظ هنا أن العز بن عبدالسلام أصدر فتواه التي تركز على أن المفهوم الإسلامي لا يعطي المرأة الحق في أن تصبح حاكمة لدولة ، ورأى أن ولاية شجر الدر إهانة للرجولة في ذلك العصر ، بالإضافة إلى مخالفته للشريعة الإسلامية ، ومن وجهة نظري يعد ذلك تحريضاً صريحاً للرأي العام المصري بخاصة والإسلامي بعامة ضد حكم شجر الدر ، ونسأل هنا هل تأثر الناس بقول العز بن عبدالسلام ؟ نعم تأثروا بدليل خروج الناس للمظاهرات في جميع أنحاء القاهرة تنادي بتنحي شجر الدر انصياعاً للفتوى الدينية .

فذكر العز بن عبدالسلام أن ولاية المرأة للسلطنة بلية من البلايا ، وقارنها بالصبي في درجة التصرف ، فقال : " ولو ابتلي الناس بتولية امرأة أو صبي مميز ، يرجُع إلى رأي العقلاء فهل ينفذ تصرفهما العام فيما يوافق الحق ، كتجنيد الأجناد ، وتولية القضاة والولاة ؟ ففي ذلك وقفة "[2] ، أن العز بن عبدالسلام عد ولاية المرأة أمر

= في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، ص ١١٨ ؛ الدور السياسي لشجرة الدر : هيفاء بنت سليم القشلق ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية الآداب ، السودان ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م . وقد وثق ابن أيبك الدواداري ذلك بقوله : " أن الامراء لما نظروا لما جرى من التشويش ، وما الناس فيه من النهب وقلة الحرمة .. علموا أن المرأة لا تقوم بسياسة الملك " . كنز الدرر (٨ /١٣).

(١) العز بن عبدالسلام : قواعد الأحكام (١ /٢٤٧) . وقد أجمعت الأمة في العصور الأولى من الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة والفقهاء والعلماء والمحدثين والمفسرين على اختلاف مذاهبهم على أن لا تصلح المرأة للإمامة الكبرى ، ولا يجوز توليتها رئاسة المملكة . حافظ بن محمد أنور : ولاية المرأة في الفقه الإسلامي ، دار بلنسية ، الرياض ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ١٦١ .

(٢) العز بن عبدالسلام : قواعد الأحكام (١ /٨٥) .

المسلمين ابتلاء في نظره وقارن بينها وبين الصبي المميز في حكم واحد وأشار إلى أن الأمر في ولايتها كالأمر في ولايته ، ومع أن شجر الدر شاركت بنفسها مع الجيش لإجلاء القوات الصليبية من مصر إلا أن العز بن عبدالسلام لم يقبل أن تتولى الحكم امرأة ، وبالرغم من أهمية الموضوع لم أجد في المصادر المتاحة تفصيلاً لموقف العز ابن عبدالسلام تجاه حكم شجر الدر .

أشار السيوطي[1] إلى هذا في معرض حديثه بقوله : " ولما تُوليت تكلم الشيخ عز الدين بن عبدالسلام في بعض تصانيفه على ما إذا ابتلي المسلمون بولاية امرأة " ، تكلم العز بن عبدالسلام في هذا الأمر يريد أن يزن الأمور بميزان الشرع ويضعها في نصابها من وجهة نظر الدين فلم يتعجل بالحكم بل كانت المطالبة بخلع شجر الدر بطريقة غير مباشرة من خلال تصانيفه .

كما قال ابن إياس[2]: " قال الشيخ عز الدين بن عبدالسلام : لما تولت شجرة الدر على الديار المصرية ، عملت في ذلك مقامة ، وذكرت فيها بماذا ابتلى الله به المسلمين بولاية امرأة عليهم " ؟! فقد كان لتولي شجر الدر منصب السلطنة ضجة كبيرة في عصرها ، إذ لم يكن مألوفاً لدى عامة الناس أن تتولى حكم المسلمين امرأة[3] ، فنرى العز بن عبدالسلام أنشأ مقامة ذكر فيها ما ابتلى الله به المسلمين بتولي امرأة عليهم ، ويكمل ابن إياس روايته بذكر موقف شجر الدر عندما بلغها ردة فعل الخليفة العباسي[4] حيث جمعت الأمراء والقضاة ، وخلعت نفسها من السلطنة

---

(١) حسن المحاضرة (٢ /٣٦) .

(٢) بدائع الزهور (١ /٢٨٦) .

(٣) ابن تغر بردي : النجوم الزاهرة (٦ /٣٣٧) .

(٤) انتشر الخبر إلى أن وصل الخليفة المستعصم في بغداد ، كما حصل في السابق عندما انتشر خبر إسقاط عدالة الوزير معين الدين ، فأرسل الخليفة إلى أهل مصر يعاتبهم بقوله : " أعلمونا إن كان ما بقي عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة ، فنحن نرسل إليكم من يصلح لها " . السيوطي : حسن المحاضرة (٢ /٣٦) ؛ ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٢٨٧) .

برضاها[1] ، ومن وجهة نظري أن شجر الدر لم تخلع نفسها بسبب موقف الخليفة العباسي ؛ لأنه كان سلطة اسمية آنذاك في مصر لكنها خلعت نفسها لردة فعل العلماء وأهل مصر وبخاصة العز بن عبدالسلام ؛ لأنه كان شخصية مهمة في ذلك الوقت وكلمته مسموعة حيث كان لا يهاب سلطاناً في قول الحق .

وعندما بلغ شجر الدر ذلك أدركت بثاقب نظرها ، وحسن تقديرها ، أن بقاءها على العرش سيثير لها مشاكل ، فبادرت إلى الزواج من الأمير عز الدين أيبك التركماني[2] ، وتنازلت له عن العرش[3] ، في يوم السبت ١٩ ربيع آخر ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م بعد حكم دام ثمانين يوماً[4] تمكنت من خلالها حكم مصر بجدارة وحسن

---

(١) بدائع الزهور (١ /٢٨٧) .

(٢) يذكر ابن إياس أن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز أشار على شجر الدر بأن تتزوج بالأمير عز الدين أيبك ، فلما وافقت عقد بينهما قبل أن يقوم من المجلس . بدائع الزهور (١ /٢٨٧) .

(٣) اختارت شجر الدر الأمير عز الدين أيبك بعناية لضعفه واشتهاره بعزوفه عن الصراع . علي بن محمد الصلأبي : السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت ، مؤسسة اقرأ ، مصر ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص٦٦ . ويدل قبول شجر الدر بهذا الزواج على مدى ذكائها حتى تجنب مصر من الخلاف بسبب جنس السلطان ، وحتى تتمكن من أن تحكم ولكن من وراء ستار وتمثل ذلك الستار في عز الدين أيبك ، الذي بادر بدوره إلى إرضاء الأيوبيين فأجلس طفلاً من النسل الأيوبي إلى جانبه على عرش مصر وهو الأمير موسى من سلالة السلطان العادل ؛ وكذلك حقق هذا الزواج أهدافاً سياسية منها إرضاء الرأي العام المصري ، وإرضاء الخلافة العباسية في بغداد . ابن زنبل ، الشيخ أحمد الرمال (ت : ٩٦٠هـ/١٥٥٢م) : آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، تحقيق : عبدالمنعم عامر وتقديم : عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ٦٧ ؛ إبراهيم شرف الدين علي : عظيمات لعبت بتاريخ العالم ، عظيمات غيرن وجه التاريخ ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص ٥٧ ؛ فاضل بن جابر ضاحي ، و ثامر بن نعمان مصطاف ، الزواج السياسي في عصر المماليك (٦٤٨ – ٧٨٤هـ) ، دار الضياء للطباعة والنشر ، واسط ، ٢٠٠٧م ، ص ٥١ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /١٤٠) ؛ بيبرس المنصوري : مختار الأخبار ، ص ٩ ؛ سعدون بن عباس نصر الله : رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص ٤٧ ؛ أحمد عبدالرزاق : المرأة في مصر المملوكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٥٣ .

تـدبير ، فقـال ابـن تغـري بـردي[1] : " إنـه تزوّجهـا أيبـك بعـد سـلطنته ، وكانـت مسـتولية علـى أيبـك فى جميـع أحوالـه لـيس لـه معهـا كـلام " ، فقـد كـان للعـز بـن عبدالسـلام دور كبير في قصر مدة شجر الدر .

هكـذا لعبـت شـجر الـدر دوراً واضـحاً في الأحـداث السياسـية خـلال اللحظـات الفارقـة بـين العصـرين الأيـوبي والمملـوكي ، واسـتطاعت بفضـل دهائهـا أن تخـرج مـن كـل المواقف التي واجهتها سياسياً منتصرةً ، فقد امتازت بمواهب قلما تجتمع في امرأة[2] .

ذهبـت الباحثـة سمـاح بـاحويرث[3] إلى القـول بـأن العـز بـن عبدالسـلام قـد اضـطر إلى مبايعـة شـجر الـدر وفنـدت ذلـك لعـدة أسـباب فقـد ذكـرت أن الظـروف الصـعبة الـتي تمـر بهـا الـبلاد في تلـك الفـترة ممثلـة بالحملـة الصـليبية السـابعة علـى مصـر ، فلـم يـرد الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام إثـارة البلبلـة بـين المسـلمين وهـم في أمـس الحاجـه للوحـدة ومواجهـة العـدو فضـلاً عـن أنـه اعتبرهـا أخـف الضـرر ، " والملاحـظ هنـا أن هـذه المسـألة وهـي تـولي امـرأة للحكـم موضـع خـلاف بـين العلمـاء ، ومـع اعتقـادي أن الرجـل هـو الأقـدر علـى هـذه المهمـة الصـعبة ، إلا أن لكـل قاعـدة شـواذاً . فالصـفات الـتي تحلـت بهـا شـجرة الـدر مـن حسـن تـدبير وبصـيرة أهلتهـا لأن تكـون سـلطانة للـبلاد المصـرية لمـدة ثمـانين يومـاً كـان مـن أحـرج الفـترات في التـاريخ المصـري ، ولكـن القاعـدة الشـرعية الـتي تـنص علـى عـدم تـولي امـرأة لهـذه الوظيفـة ، كلهـا عوامـل سـاعدت شـجر الـدر في التخلـي عـن هـذه المهمـة الـتي أوكلـت إليهـا . وأنـا أعتقـد مـن منظـوري الخـاص أنهـا رحمـة مـن الله بـالمرأة أنـه لم يوجـب عليهـا تـولي الحكـم أو السـلطنة ؛ لأنهـا مـن الأمـور العظيمـة والشـاقة الـتي تتطلـب المجهود الذهني والعقلي الذي قد لا تقوى عليه المرأة " .

---

(١) النجوم الزاهرة (٦ /٣٧٤) .

(٢) علـي بـن إبـراهيم حسـن : نسـاء لهـن في التـاريخ الإسـلامي نصـيب ، مكتبـة النهضـة المصـرية ، القـاهرة ، ١٩٨١م ، ص ١١٠.

(٣) الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء ، ص ٢٤ .

تبين لنا مما تقدم رفض المجتمع بصورة حازمة أن يكون على رأس الإدارة فيه امرأة مهما أوتيت من الذكاء والخبرة ، وحسن الإدارة فهرع إلى رمز السلطة الدينية لمقاومة هذه الظاهرة الجديدة ، فقام العلماء وأهل الحل والعقد بدورهم لاسقاط هذه المرأة ، وتزعم العز بن عبدالسلام المجتمع الغاضب ، حتى أنه كتب مقامه في تولي شجر الدر الحكم ، وثارت القاهرة ، وعمها الاضطراب ، وأغلقت أبواب المدينة خوفاً من انتقال عدوى الرفض لغيرهم من المدن والبلاد[1] .

ونخلص مما سبق إلى أن سبب معارضة العز بن عبدالسلام رحمه الله لحكم شجر الدر ؛ لأن جلوسها على العرش مخالفً للشرع ورفضه مستمد من قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2]، كما نستنتج أنه مهما تحلت المرأة بصفات حسنة من حنكة وحسن تدبير إلا أنه يظل الرجل هو الأقوى والأقدر على تولي الحكم ، وأرى أن رفض تولي المرأة للحكم لا يعد هذا انتقاصاً للمرأة ولا استخفافاً بها إنما هو إنزال لها في المكان الذي أراد الله أن تكون فيه مراعاة لفطرتها وطبيعتها التي فطرت عليها فهي غير قادرة على تحمل مهام وأعباء الدولة فإن تحملت شيئاً فلا تستطيع أن تقوم بالآخر.

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٢٨٦) ؛ محمد بن عبدالله عواده : دور شجر الدر في قيام دولة المماليك في مصر ، رسالة ماجستير ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٩٨ .

(٢) سورة النساء : آية ٣٤ .

المبحث الثاني : دور العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز .

أ – دوره في عزل المنصور علي[1] :

مني العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري بالهجمة التترية المغولية فاستولوا على بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس ، وقضوا على الدولة الخوارزمية ثم واصلوا مسيرهم حتى استولوا على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، فدمروها واسقطوا الخلافة العباسية ، ثم تقدموا إلى بلاد الشام المكونة آنذاك من عدد من الإمارات المتنازعة الضعيفة ، فأغاروا على حلب في صفر سنة ٦٥٨هـ/ يناير ١٢٦٠م ، ولما ملكوها غدروا بأهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم توجهوا نحو دمشق واستولوا عليها في السنة نفسها[2] .

---

(١) المنصور علي : هو علي بن أيبك التركماني ، تولى السلطنة بعد مقتل والده سنة (٦٥٥هـ /١٢٥٧م) ، وهو صغير ولقب بالمنصور ، خلع من السلطنة في أواخر سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٨م) ، وتوفي في القسطنطينية بعد أن نفاه الظاهر بيبرس إلى القسطنطينية هو وبعض أفراد أسرته . أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٩٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /٣٨١ – ٣٨٢) ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص٢٦٢؛ ابن تغري بردي : الدليل الشافي (١ /٤٥١) .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ؛ بيبرس المنصوري : التحفة المملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ – ٧١١هـ ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٤١ – ٤٣ ؛ ابن الفوطي ، كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد بن محمد الصأبوني (ت : ٧٢٣هـ/١٣٣١م) : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق : مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ٢١٣ وما بعدها ؛ أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (٦٤٨ – ٦٧٦هـ/١٢٥٠ – ١٢٧٧م) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ص٤٤ – ٥٩ ؛ محمد التونخي : بلاد الشام إبان الغزو المغولي ، ص ١٥١ – ١٥٥ . مما يجدر التنبيه إليه أن انهيار الإمارات والمدن الإسلامية في بغداد ودمشق يعود لأسباب عديدة يقف في مقدمتها التنازع والصراع الدائر فيما بينهم ، وعدم وجود قيادة مركزية قادرة على مواجهة الخطر الذي يداهمهم ، ولا سيما أن السلطان في مصر المنصور علي كان صبياً صغيراً ورث الحكم عن أبيه السلطان معز الدين أيبك . رعد بنت محسن السامرائي : الفكر السياسي عند الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٠٨.

ولما تعرض الشام لهذا الخطر المحدق بعث السلطان الأيوبي الناصر[1] صاحب حلب القاضي ابن العديم[2] إلى مصر – التي ظلت موحدة وقوية برغم كل الأحداث – ليطلب منهم النجدة على قتال التتار وكان السلطان آنذاك المنصور علي صبياً صغيراً لم يتعد عمره ١٥سنة ، ولم يكن له من أسباب السلطة إلا أنه ابن معز الدين أيبك الذي كان سلطاناً من قبل وكان سيف الدين قطز وصياً عليه[3] .

وما أن وصل ابن العديم إلى القاهرة حتى سارع قطز إلى جمع القضاة والفقهاء وأعيان البلاد في قلعتها[4] لمشاورتهم واتخاذهم ما يلزم لمواجهة التتار وكان من بين الحاضرين الشيخ العز بن عبدالسلام[5] الذي بلغ آنذاك الثمانين من عمره[6] .

---

(١) السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف أيوب ، ولد في رمضان ٦٢٧هـ/١٢٢٩م ، اتصف بالحكمة والكرم ، اضطرب الأمن خلال حكمه ، وهو آخر بني أيوب في الشام ، قتله هولاكو سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /٢٠٤) ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٣ /٢٤٩) ؛ الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ٣٦٤ ، ٣٧٢ – ٣٧٤ .

(٢) ابن العديم : عمر بن أحمد هبة الله بن أبي جرادة الصاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم العقيلي الحلبي المعروف بابن العديم ، ولد سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، درّس وأفتى وصنف ، جمع تاريخاً لحلب في نحو ثلاثين مجلداً . وولي خمسة من آبائه على نسق القضاء ، وقد ناب في سلطنة دمشق ، توفي بمصر سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م . ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /٣٤٧) ؛ الذهبي : العبر (٣ /٣٠٠) ؛ الزركلي : الأعلام (٥ /٤٠) .

(٣) بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق : دونالد س . ريتشاردز ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص ٢٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /٣٨٢) ؛ سعيد بن أحمد برجاوي : الحروب الصليبية ، ص ٥٨٤ ، ٥٩٧ ؛ محمد بن حسن : عز الدين بن عبدالسلام ، ص ١٠٩.

(٤) دار السلطنة بقلعة الجبل . ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /٢٦٢) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /٢٦٢) ؛ ابن تغري بردي النجوم الزاهرة (٧ /٧٢) .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٥) .

وعندما اكتمل المجلس ، قام رجل بين يدي الشيخ ابن عبدالسلام ، ((وذكر هيئة سؤال في أمر هولاكو)) أنه استولى على البلاد ، ووصل إلى حلب ، وأن بيت مال المسلمين خالٍ من الأموال ، " وأن الوقت محتاج لإقامة سلطان تركي كبير تخشاه الرعية ، وأن السلطان الآن صغير السن وضاعت مصالح المسلمين ، والعدو زاحف على البلاد ، فما الجواب عن ذلك ؟ " [1] ، ويذكر أن قطز تولى السلطنة بعد " أن جمع الأمراء والعلماء والأعيان ، وأفتوا بأن المنصور صبي لا يصلح للملك ، ولاسيما في هذا الزمان الصعب الذي يحتاج إلى ملك شهم مطاع لأجل إقامة الجهاد ، والتتار قد وصلوا البلاد الشامية ، وجاء أهلها إلى مصر يطلبون النجدة "[2] وتشير هذه الرواية إلى إنتهاء المجلس بفتوى العلماء الذين أشاروا بعدم أهلية الملك المنصور للحكم ومن أبرزهم العز بن عبدالسلام .

استغل قطز هذا الاجتماع المهيب وأدلى بدلوه بقوله إن المنصور صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة في مثل هذا الوقت الصعب ، ولا بد من أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه كل الناس ، وينتصب للجهاد ضد التتار[3] ، وذكر مفاسده وتحكم أمه فيه مما تسبب في اضطراب الأمور[4] ، في حقيقة الأمر أن ما ذكره قطز كان

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٣٠١) . لم يذكر ابن إياس أن العز بن عبدالسلام أشار برأيه في مسألة عزل الملك المنصور علي لكنه عمم بذلك في روايته بقوله : " إن الأمراء تكلموا مع القضاة في إقامة سلطان تركي تهابه الرعية فوقع الاتفاق على سلطنة الأتابكي قطز فخلع الملك المنصور علي من السلطنة وولي قطز " . بدائع الزهور (١ /٣٠٢) .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة (٢ /٣٨) .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /٢٦٢) ؛ المقريزي : السلوك (١ /٥٠٧) . تشير بعض المصادر إلى أن قطزاً أطمأن إلى موقف الفقهاء تجاه ولاية الصبي الصغير المنصور علي . السيوطي : حسن المحاضرة (٣٨/٢) ؛ ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٣٠٢) .

(٤) بيبرس المنصوري : مختار الأخبار ، ص ١٠ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٢٦٢ .

عين الواقع ، فقد روي أن السلطان المنصور علي كان يركب الحمير ويلعب بالحمام مع الخدم[1] .

لاحظت من ذلك أن العلماء في هذا الاجتماع أشاروا إلى عدم أهلية المنصور علي للسلطنة وعجزه عن التصدي للخطر المغولي باعتباره صبياً ، ومن وجهة نظري أرى أن العز بن عبدالسلام جهر برأيه بحكم أنه من أكبر العلماء في ذلك الوقت وكلمته مسموعة ، فطالب بخلع السلطان الصغير للمصلحة السياسية حيث إنه لا يستطيع تحمل أعباء المرحلة التي تمر بها البلاد وإعلان حكم سيف الدين قطز لصلاحه وقوته ولأنه كبير البيت[2] ونائب السلطان وزعيم الجيش بهدف توحيد كلمة المسلمين ووافقه العلماء على ذلك . وليس من المستبعد أن قطزاً خاف على العز بن عبدالسلام أن يصيبه سوء من قبل السلطان المنصور علي والأمراء الذين يعز عليهم أن يخضعوا لقطز فرتب له رجالاً أشداء لحراسته حتى أبلغوه مأمنه[3] .

وحتى يتمكن قطز من خلع السلطان الصغير[4] انتهز فرصة خروج كبار الأمراء ذات يوم للصيد فقبض على المنصور يوم السبت ٢٤ ذي القعدة سنة

---

(١) المقريزي : السلوك (١ /٤٩٥) .

(٢) كبير البيت : يرجع إليه أمر كل مملوك ومستخدم ، وبأمره يؤخر من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ، وعصاه محمولة على رقاب الكل ، مبسوطة في العفو والعقاب . القلقشندي : صبح الأعشى (١١ / ١٦٩) .

(٣) محمود شلبي : سلطان العلماء ، ص ٢٣٧ .

(٤) كان اغتصاب العرش بالقوة نظاماً سائداً في دولة المماليك البحرية فأكثر دهاء وشجاعة وقوة هو من يمتلك زمام السلطة ، لذا لم يقم العلماء والفقهاء بدور كبير في اختيار سلاطينهم وكان حضورهم عند البيعة والشهادة لا يتعدى كونه أمراً اسمياً فضلاً عن حرصهم لإسباغ الشرعية لحكمهم . قاسم بن عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ٢٧ ؛ علي بن إبراهيم حسن : آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية ، مجلة جامعة فؤاد ، ١٩٤٤م ، م٢ ، ص ٧٨ ؛ عبدالمنعم ماجد : التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ١٢٨ .

٦٥٧هـ/١٢٥٩م وأخيه ناصر الدين قاقان[١] وأمهما واعتقلهم في برج السلسلة[٢] بقلعة الجبل[٣] وأعلن نفسه سلطاناً على مصر [٤].

ولما رجع الأمراء من الصيد وبلغهم ما فعل نائب السلطنة ركبوا إلى قلعة الجبل وأنكروا ما كان من قبض قطز على المنصور ووثوبه على الملك ، فاستقبلهم السلطان الجديد استقبالاً حسناً وألان لهم الحديث ، واعتذر لهم بحركة التتار إلى جهة الشام ثم مصر ، وقال قطز في سياق تبريره لما حدث : " وإني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتار ولا يتأتى ذلك بغير ملك . فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم أقيموا في السلطنة من شئتم "[٥].

---

(١) لم أقف على ترجمته في الكتب المتوافرة بين يدي .

(٢) برج السلسلة : يقع على النيل بدمياط ، سمي ببرج السلسلة ؛ لأنه كان فيه سلاسل حديدية ضخمة بين طرفي النيل ، وهي بمثابة القفل للديار المصرية ، عمره المظفر سيف الدين قطز . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٢ /٢٣٢) ؛ المقريزي : السلوك (١ /٥٠٨) ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس (٢ / ٢٠٥) ؛ هالة بنت نواف الرفاعي : السجون في مصر في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ،كلية اللدراسات العليا ، ٢٠٠٨م ، ص٦٠ – ٦١ .

(٣) قلعة الجبل : هي قطعة من الجبل وهي تصل بجبل المقطم ، وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة ، فتكون القاهرة في الجهة البحرية منها ، ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الحبش في الجهة القبلية الغربية ، والنيل في غربها ، وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية ، وهي القلعة التي بناها صلاح الدين ابن يوسف بن أيوب سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) ، وأصبحت من بعد صلاح الدين داراً للملك بديار مصر. المقريزي : الخطط (٣ /٣٥١ – ٣٥٢) . ظل المنصور علي ووالدته وأخيه ناصر الدين في المعتقل إلى أن تولى السلطان الظاهر بيبرس الملك فنفاهم إلى بلاد الأشكري . المقريزي : السلوك (٢ /٢١٢) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٧ /٥٥)

(٤) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٣ ؛ بيبرس المنصوري : مختار الأخبار ، ص ١٠ ؛ زبدة الفكرة ، ص ٤٦ ؛ المقريزي : السلوك (١ /٥٠٧) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٧ /٥٥) . جلس على سرير الملك وتلقب بالملك المظفر ؛ لأنه وجد في نفسه الكفاءة في حزم الأمور . زبدة الفكرة ، ص ٤٦ ؛ محمد التونجي : بلاد الشام إبان الغزو المغولي ، ١٥٧ .

(٥) المقريزي : السلوك (١ /٥٠٨) .

يتضح من هذا النص أن المعارضة كانت من القوة بحيث دفعت السلطان قطز أن يخافهم ويعتذر منهم ، وحتى التنازل لهم عن السلطنة بعد درء خطر المغول ، فضلاً عن وعده لهم بأن يقيموا في السلطنة من يريدون [١] .

كذلك اتضح لنا مما سبق أن سبب إقدام العز بن عبدالسلام على مبايعة السلطان قطز[٢] حرصه على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم أمام الخطر المغولي الذي اجتاح العراق وتمدد في بلاد الشام فكانت مبايعته درءاً للمفاسد رغم أن هناك من فسر فعل قطز بأنه يعمل على تحقيق مصالح شخصية فقد قال الدكتور محمود الحويري[٣] : " أن قطزاً كان يعمل على اغتصاب السلطنة ، فاستغل تهديد المغول لبلاد الشام من أجل الإطاحة بالمنصور علي وسلطنته والجلوس مكانه " . أنه لا يصلح لنا أن نقول ما قاله المحللون الغربيون المستشرقون ، أو بعض المحللين المسلمين الذين يعتمدون في تحليلاتهم على المدارس الغربية في التحليل والنقد : بأن قطزاً قال ذلك ليقمع المناوئين له ، وليثبت نفسه في كرسيه ، مستغلاً حب المسلمين للجهاد ، فلا يصلح لنا أبداً أن نطعن في نية قطز من وراء الكلمات التي قالها ، ولا أن نفترض أن وراء هذه الكلمات مرامي أخرى ، وإحسان الظن بالمؤمنين أمر مطلوب شرعاً ، فإن الكلمات والأفعال دائماً تقوم وتحسب في ضوء سيرة الشخص وحياته ، وهذه الجملة في منتهى الأهمية ، ولم يخلد تاريخ المسلمين رجل اختلطت في قلبه النوايا ولعبت به الأهواء ، لذلك قطز نحسبه على خير ، ولا نزكي على الله أحداً ، وقد أجمع علماء أمة الإسلام على عدالته وفضله وتقواه ، وقالوا فيه كلاماً كثيراً . وإذا كان

---

(١) سالم بن يونس محمد المولى : الأوضاع السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام في عصر الملك المظفر قطز ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٨ .

(٢) ومما يجدر توضيحه أن الشيخ العز بن عبدالسلام كان يقول : " ما ولي أمر المسلمين بعد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله من يعادل قطزاً رحمه الله صلاحاً وعدلاً " . راغب السرجاني : قصة التتار ، ص ٣٦٧ .

(٣) تاريخ مصر في العصور الوسطى : دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ،٢٠٠٣م ، ص ٢٤٤ .

من الممكن قبول عذر المستشرقين والمحللين الغربيين في أن قطزاً كان يقصد الملك وليس الجهاد ؛ لأنهم في سياستهم وحياتهم لا يرون إلا هذه الأمثلة التي تريد الدنيا ، فما هو عذر المحللين المسلمين الذين قالوا مثل ذلك الكلام ؟ فليس لهم عذر في الحقيقة ؛ لأن هذا المثال المخلص الراقي الذي لا يريد شيئاً لنفسه ولا لذاته ، ويهب حياته بكاملها لربه ولدينه ولشعبه ، ولقضايا أمته ، كثير ومتكرر جداً في أمتنا وفي تاريخنا، وقد سبق قطزاً على هذا الطريق الكثير والكثير من أبطالنا ، ولحق به كذلك آخرون ، وسيظل الخير بإذن الله في أمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى يوم القيامة[1] .

فكان اختيار العز بن عبدالسلام لقطز اختياراً موفقاً وسديداً فقد اختار القائد الشجاع المناسب في الوقت المحرج والظروف المناسبة ؛ ولا أدل على ذلك من صدقه في خطابه أمام العلماء لرغبته واهتمامه في قتال التتار بمشورتهم وطلب فتواهم ليقينه التام بمدى تأثيرهم على أوساط المجتمع الذي يعيشون فيه .

---

(١) راغب السرجاني : قصة التتار ، ص ٣٦٧ .

ب ـ دوره في معركة عين جالوت[1] :

لقد ساهم العز بن عبدالسلام بجهد فاعل في تجهيز الجيش لمواجهة خطر التتار الذي هدد أرض مصر ، فعندما استولى قطز على الحكم (٦٥٧ – ٦٥٨هـ/١٢٥٩ – ١٢٦٠م)[2] كان يعلم ما تحتاج إليه الدولة من قوة وعتاد ، وكانت الأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد في ذلك الوقت طاحنة ، وليس هناك وقت ، ولابد أن يختار قراراً سريعاً من أجل مواجهة المغول ، فعقد مجلساً في قلعة الجبل حضره كبار أهل الرأي من العلماء والقضاة والأمراء والقادة لمشاورتهم فيما يعتمدون عليه في أمر التتار وسألهم في أخذ شيء من أموال الرعية لمساعدة الجند ، وكان على رأس الحاضرين سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، فسكت الجميع من الأمراء والعلماء والقضاة فلم يجرؤ أحد أن يعترض على ما عزم عليه السلطان المظفر في فرض الضرائب ، " وأفاضوا فى الحديث ، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبدالسّلام ، وخلاصة ما قال : إنّه إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم ، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيّة ما تستعينون به على جهادكم ، بشرط ألّا يبقى فى بيت

---

(١) تعد معركة عين جالوت أول صدام بين المغول والمماليك وتُعد هذه المعركة إحدى الوقائع التاريخية المهمة ، وترتب عليها نتائج بالغة الأهمية ، ومن أهمها : أن المغول لقوا لأول مرة في تاريخهم في الشرق هزيمة حاسمة وتعرض جيشهم للدمار ، وقضى المماليك على الخرافة القائلة بأن المغول قوم لا يغلبون ، وكذلك إعادة الوحدة بين مصر والشام بعد أن أدى ضعف أبناء صلاح الدين وتنازعهم إلى تمزيقها ، والجدير بالذكر أن هذه الوحدة كانت ضرورية لمواجهة الأخطار التي جابهت المسلمين في الشرق ، وبعث الانتصار في هذه المعركة روحاً جديدة في المسلمين ، وأسفرت هذه الواقعة عن فشل ذريع لسياسة الصليبين في الشرق والغرب ومنحت مصر مركز الزعامة في العالم الإسلامي بعد أن استطاعت أن تتصدى للصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى . فؤاد الصياد : المغول ، ص ٣١٤ – ٣١٨ ؛ محمد بن سهيل طقوش : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، دار النفائس ، بيروت ،١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص ٨٠ – ٨٢ .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ٢٠٣ .

المال(١) شيء ، وتبيعوا مالكم من الحوائص(٢) المذهبة والآلات النفيسة ، ويقتصر كلّ الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامّة ، وأمّا أخذ الأموال من العامّة مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا ، وانفضّ المجلس على ذلك .... "(٣) .

---

(١) بيت المال : تعددت دلالات مصطلح بيت المال في النظام الإسلامي ، ففي البداية كان المقصود بيت المال خزانة الدولة التي تحفظ فيها الأموال العامة للدولة الإسلامية ، ثم أصبح المصطلح يدل على الإدارة التي تشرف على هذه الأموال ، أما الدلالة الأكثر شيوعاً خاصة لدى المتأخرين من الفقهاء الدلالة المجازية التي ترى أن بيت المال جهات وليس مكاناً ، فهو مجموعة الموارد الشرعية للدولة الإسلامية ، وهو كذلك أوجه الإنفاق التي تلتزم بها الدولة ، وترجع نشأة بيت المال إلى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وليس عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كما هو شائع ؛ لأن في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وعهد الخليفة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – كانت النفقات في معظم الأحيان تفوق الإيرادات ، مما جعل الدولة تعاني من حالة عجز مالي متكرر ، أوهم بعض المؤرخين بأنه لم يكن للمسلمين بيت مال إلا في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – . رفعت العوضي : النظام المالي الإسلامي ، منشورات المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ؛ عماد بن بدر الدين : دراسة دبلوماتية وثائق البيع من أملاك بيت المال في عصر المماليك الجراكسة ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٩٥م ، ص ١٥٤ ؛ عبدالعزيز صالح : نشأة بيت المال في الدولة الإسلامية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد ٥٠ ، ١٩٩٨م ، ص ٢٤ .

(٢) الحوائص : حياصة ، وهي الحزام أو المنطقة . وهي في الأصل السير الذي يشد به حزام سرج الحصان ، وذكرها القلقلشندي عند الكلام على الآلات الملوكية فقال : إن ملوك الزمان لم تجر لهم عادة بشد منطقة ، وإنما يلبسها الملك للأمراء عند إلباسهم الخلع والتشاريف ؛ وهي تختلف بحسب اختلاف الرتب ، فمنها ما يكون من ذهب مرصع بفصوص ومنها ما ليس كذلك . محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، ؛ محمد بن أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٦٥ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب (٦ /٢٦٢) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام (١٤ /٦٧٧) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٧ /٧٢ – ٣٧) . اتضح لنا مما تقدم مدى تدهور اقتصاد الدولة وذلك يعود لأسباب من أهمها سوء الإدارة المالية للحكام بسبب استئثار فئة قليلة من الناس بالأموال والتحكم فيها ، مما دفع السلطان قطز إلى الاقتراض من كبار التجار ، واذا يعني بقاء الأزمة وتفاقمها ؛ لأن الديون أثقل من =

فكانت فتواه هذه تأييداً معنوياً لقطز عندما صدع بفتياه العظيمة الصريحة وقال : إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم _ أي العالم الإسلامي _ وجاز[1] لكم أن تأخذوا من الرعيّة ما تستعينون به على جهادكم ، بشرط ألّا يبقى فى بيت المال شيء من السلاح والسروج[2] الذهبية والفضية والكنابيش[3] الزركش[4] والسيوف المحلاة بالذهب ، وأن تبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة _ أي يبيع الحكام والأمراء والوزراء ما يملكون _ ، ويقتصر كلّ جندي على سلاحه ومركوبه ، وتتساووا في ذلك أنتم والعامّة ، وأمّا أخذ الأموال من العامّة مع بقائه فى

= القيود التي تسبب إضعاف ميزانية الدولة وكذلك سياستها . رعد بنت محسن السامرائي : الفكر السياسي عند الإمام العز بن عبدالسلام ، ص ٢٠٩ .

(١) يتبين لنا من هذه الحادثة أن الإمام يجيز جمع المال - بشروط — بهدف الحفاظ على المصلحة العامة وإن كان جمع المال مفسداً لمن أخذ منهم ، فيدرأ المفسدة الأكبر ، ويذكر الإمام الشاطبي " أن وجه المصلحة هنا ظاهر ، فإن لو لم يفعل الإمام ذلك النظام بطلت شوكته ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار " ، فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق لهم بأخذ بعض من أموالهم ، فلا يتمارى في ترجيح الثاني عن الأول وهو مما يعلم عن مقصود الشرع قبل النظر في الشواهد . الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت : ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) : الاعتصام ، تحقيق : سليم عيد الهلالي ، دار ابن عفان ، السعودية ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، (٢ /٦١٩) ؛ طلعت بن عكاشة عايد حسن : أثر الفتوى الدينية في قضايا المجتمع في مصر والشام في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ — ٩٢٣هـ/١٢٥٠ — ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، ص ١١٦ .

(٢) سروج : مفردها سرج وجمعها سروج ، وهو رحل الدابة ، كان يصنع من جلود الشياه . ابن منظور : لسان العرب (٢ /٢٩٧) ؛ الزبيدي : تاج العروس (٦ /٣٦) .

(٣) الكنبوش : هو ما يستر به مؤخر ظهر الفرس وكفله ، وهو تارة يكون من الذهب الزركش ، وتارة يكون من المخايش ، وهي الفضة الملبسة بالذهب ، وتارة يكون من الصوف المرقوم وبه يركب القضاة وأهل العلم ، وكذلك غطاء للسيف . القلقشندي : صبح الأعشى (٢ /١٤٤) ؛ محمد بن أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٣١ .

(٤) الزركش : طرز الثوب من حواشيه بخيوط الذهب ، وزركش الثوب أي زخرفه ، وقد تكون لجميع الثوب . محمد بن أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٨٦ .

أيـدى الجنـد مـن الأمـوال والآلات الفـاخرة فـلا[1] . وأرى هنـا أن العـز بـن عبدالسـلام تحفـظ على هـذا القـرار فلـم يوافـق علـى قطـز إلا بعـدما اشـترط عليـه شـرطين فأصـدر فتـواه الـتي كانـت في منتهـى الجـرأة فلـم تأخـذه في الحـق لومـة لائـم ، دافـع عـن الرعيـة بـأن لا تؤخـذ أمـوالهم وجيـوب الأمـراء ممتلئـة ، وطالـب بمسـاواتهم مـع العامـة وهـذا مـن الـدلائل لحسـن تصـرف العـز وسـدادة رأيـه ، وعلمـه أن الأمـوال المكتنـزة في حواصـل هـؤلاء الأمـراء سـتكفي الإنفـاق علـى المعركـة ، وبـذلك سـاهم في الحـافظ علـى حقـوق الجميـع عامـة وعلـى حـق الـبلاد خاصـة ومنـع الطبقـة الحاكمـة مـن التعـدي علـى أمـوال العامـة . وقـد ذكـر أحـد البـاحثين " أن هـذه الموافقـة المشـروطة لم تنفـذ – علـى حـد علمـي – إلا مـرة واحـدة فقـط في عهـد سـيف الـدين قطـز عنـد تجهيـزه الجـيش لصـد الزحـف المغـولي ، بإفتـاء الشـيخ عـز الـدين بـن عبدالسـلام "[2] . وانتهـى المجلـس علـى هـذه الكلمـات التوجيهيـة الرشـيدة الـتي رُفـع فيهـا الظلـم عـن العامـة ووقـف إلى جانـب حقـوقهم ، ورد إلى بيـت المـال مـا تكدسـت بـه خـزائن الأمـراء مـن الـذهب والفضـة . غـير أن السـلطان المظفـر رأى أنـه مـن السـهل عليـه أن يأخـذ الأمـوال مـن العامـة ، لكـن لـيس مـن اليسـير أن يأخـذ مـن أمـوال الأمـراء دون أن يحـدث ذلـك شـغباً فـيهم قـد يوقـد في الـبلاد فتنـة يصـعب إخمادهـا ، فبعـث إلى الشـيخ ابـن عبدالسـلام ليشـرح لـه صـعوبة الأخـذ مـن أمـوال الأمـراء ، وأن يفتيـه بجـواز الأخـذ مـن أمـوال العامـة إذا صـعب عليـه الأخـذ مـن أمـوال الأمراء[3] .

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٧ /٧٢) .

(٢) طلعت بن عكاشة : أثر الفتوى الدينية في قضايا المجتمع في مصر والشام ، ص ١٢٤ .

(٣) علـي بـن أحمـد بـاكثير : وا إسـلاماه ، ص ١٧٢ ؛ و محمـود شـلبي : حيـاة سـلطان العلمـاء ، ص٢٤٠ . ولم نجد في المصادر المتاحة طلب السلطان قطز من الشيخ العز بن عبدالسلام أن يفتيه بجواز الأخذ من أموال العامة إذا صعب عليه من أموال الأمراء إنما اكتفت بذكر فتوى الشيخ بواجب أخذه الأموال المكدسة عند الأمراء وإذا استنفذت يحق له الأخذ من أموال العامة ، لكن ما ذهب إليه كل من الباحثين علي بن أحمد ومحمود شلبي قد يكون مجرد استنتاجٍ منهما .

مع ذلك استجاب قطز لفتوى العز بن عبدالسلام وامتثل لكلامه فأحضر هو وعساكره ما عندهم لتجهيز الجيش لكن لم تكف هذه الأموال التي جمعت لنفقة الجيش ، فقرر السلطان قطز على كل رأس من أهل مصر والقاهرة من كبير وصغير ديناراً[1] واحداً ، وأخذ من أجرة الأملاك شهراً واحداً ، وأخذ من أغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلاً ، وأخذ من الترك الأهلية[2] ثلث المال ، وأخذ من الغيطان[3] والسواقي[4] أجرة شهر واحد ، وبلغ جملة ما جمعه من الأموال أكثر من ستمائة ألف دينار[5].

وبأسلوبه هذا جمع السلطان قطز المال الحلال الذي لا ظلم فيه ولا عدوان ، حيث إن المسلمين في الدولة الإسلامية لا يدفعون سوى الزكاة ، ولا يدفعها إلا القادر عليها ، وبشروط الزكاة المعروفة ، أما فرض الضرائب فوق الزكاة فهذا لا يكون إلا في ظروف خاصة جداً ، ولابدّ من وجود سند شرعي يبيح ذلك ،

(١) الدينار : فارسي معرب ، وأصله دنار ، بالتشديد بدليل قولهم دنانير ودنينير ، ويزن إحدى وسبعين شعيرة ونصف شعيرة تقريباً بناء على أن الدانق ثماني حبات وخمس حبة وإن قيل الدانق ثماني حبات ، فالدينار ثمان وستون وأربعة أسباع حبة والدينار هو المثقال . ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) : المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م ، (٩ /٢٩٩) ؛ والفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت : ٧٧٠هـ /١٣٦٨م) : المصباح المنير ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، د.ت ، (١ /٢٠٠) .

(٢) الترك الأهلية : بكسر التاء وفتح الراء ، يبدو أن المقصود بها تركات الأهالي ، أي تركات المتوفين . عبدالله بن سعيد الغامدي : جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، مطبعة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ ، ص ١١٠ الحاشية .

(٣) الغيطان : مفرد غيط وهو المطمئن الواسع من الأرض ، ويطلقه أهل مصر على الحقل . إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، إسطنبول ، ١٩٨٩م ، (٢ /٦٦٦) .

(٤) السواقي : مفردها ساقية وهي القناة التي تسقي الأرض والزرع وبها دولاب يدار فيرفع الماء إِلَى الحقل . إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط (١ /٤٣٧) .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٣٠٥ – ٣٠٦) . في هذا مبالغة والمعقول أنه أخذ من كل قادر موسر ديناراً .

فكانت فتوى العز بن عبدالسلام بمثابة السلطة الروحية التي ساعدت السلطان المظفر في الحصول على استجابة عامة الناس ، وأحدثت تلك الفتوى أثراً معنوياً كبيراً ، مما جعل عامة المسلمين يدفعون ما قرر عليهم من أموال مستشعرين بأن ذلك واجب يفرضه عليهم دينهم الحنيف .

وفي رمضان من سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[١] أمر السلطان قطز العسكر بأن يتجهزوا ليخرجوا لمواجهة العدو بعد العيد ، فطلع إليه العز بن عبدالسلام وقال : قم ، ما وجه تأخرك ؟ قال : حتى نهيء أسبابنا فإنا عاجزون . قال : لا ، قم . قال : أفتضمن لي على الله النصر ؟ قال : نعم[٢]. لعله بهذا يتأول قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

ومما يحسن ذكره أن الشيخ العز بن عبدالسلام قد خرج مع الجيش الإسلامي حينما توجه من مصر إلى الشام لقتال المغول بالرغم من كبر سنه[٤] ، ولا نعلم أهو شارك في ساحة القتال أم لا ؟ لكن على أي حال كانت توجيهاته السديدة وآراؤه

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية (١٣ /٢٢٠) ؛ يذكر ابن الفوطي أن المعركة جرت في محرم سنة ٦٥٩هـ . الحوادث الجامعة : ص ٢٤٧ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٥) ؛ المناوي : الشيخ عبدالرؤوف بن علي بن زين العابدين (ت : ٩٥٢هـ/١٥٤٥م) ، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص ١١٣ ؛ عبدالله بن فراج الشهري : دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول (٦١٦ – ٧٢٠هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

(٣) سورة الروم : آية ٤٧ .

(٤) عبدالله الغامدي : دور المتطوعة في حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، المجلد الأول ، العدد ٢ ، مارس ١٩٩٤م ، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ص ٣٣٩ .

الصائبة جهاداً معنوياً لأفراد الجيش حيث كان لها الأثر الكبير في تحقيق النصر منذ دخول المغول بلاد المشرق الإسلامي[1] .

عندئذ خرج السلطان المظفر وألقى خطابه الذي قال فيه : " يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزو كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته ، فإن الله مطلع عليه "[2]، كلام في منتهى الدقة ، ومنتهى الروعة .

لقد كان الشيخ العز بن عبدالسلام وعلماء مصر يحثون الناس على الجهاد[3] في سبيل الله تعالى ، كما وعظوا الأمراء والحكام فتسابق الجميع إلى بذل الجود حتى كثرت الأموال ، وأعدت العدة وجُمع السلاح ، وأقيمت معسكرات التدريب في كل مكان واهتزَّت البلدة بالهتاف والتكبير ، وصار كل مسلم يشتهي الوصول إلى المعركة[4] .

---

(١) يذكر ابن واصل المعاصر لهذه الأحداث عندما وصل خبر محاصرة المغول لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، أمر الشيخ العز بن عبدالسلام رحمه الله الأئمة والخطباء أن يقنتوا في الصلوات الخمس ؛ لأجل هذه النازلة العظيمة التي نزلت بالمسلمين . مفرج الكروب (٦ /٢١٧) .

(٢) ابن دقماق : نزهة الأنام ، ص٢٦٢ .

(٣) انطلق الشيخ العز بن عبدالسلام ومن معه من علماء الأمة يصعدون منابر المساجد ، ويلهبون مشاعر الناس بالجهاد ويرغّبونهم في الجنة ، ، وعظّموا لهم أجر الشهداء ، وحدثوهم عن عظماء المسلمين المجاهدين كخالد والقعقاع والزبير والنعمان وطارق بن زياد وموسى بن نصير ويوسف بن تاشفين وعماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ، وذكّروهم بأيام الله ، كيوم بدر والأحزاب وفتح مكة واليرموك والقادسية ونهاوند ، وذكّروهم بموقعة حطين الخالدة ، فاشتعل الحماس في قلوب الشعب . راغب السرجاني : قصة التتار ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) عبدالحليم عويس : السلوك من التبعية والفتنة إلى القياده والتمكين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م ، ص ١٢٢ — ١٢٥ ؛ سميرة المضيان : الغزو المغولي للعالم الإسلامي من خلال المصادر العربية المعاصرة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر دراسة نقدية مقارنة ، جامعة القصيم ، وكلية التربية للبنات ببريدة ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص ٣٢٧ .

كـان هـذا العمـل الجليـل مـن أسـباب النصـر في تلـك المعركـة الفاصـله في التـاريخ الإسـلامي عـين جـالوت وهـو مصـدق لقولـه تعـالى : ﴿ إِنْ تَنْصُـرُوا اللَّـهَ يَنْصُـرْكُمْ وَيُثَبِّـتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[1] ونصر الله لا يكون إلا بتطبيق شرعه .

نعـم لقـد ترتـب علـى مـا قـام بـه سـيف الـدين قطـز في الاسـتماع لـرأي الشـيخ العـز بـن عبدالسـلام شـحنة معنويـة قويـة شـحذت همـم النـاس للجهـاد وبـذل الغـالي والنفـيس في سـبيل الله ، وبخاصـة أن الفتـوى الـتي أصـدرها العـز بـن عبدالسـلام آنـذاك كـان الشـرق الإسـلامي بـلا خلافـة شـرعية[2] ، ممـا جعلـه يـؤدي نفـس الـدور الـذي كانـت الخلافـة تؤديـه فيمـا لـو كانـت قائمـة ، فهـو بمثابـة السـلطة الروحيـة –كمـا ذكرنـا آنفـاً– الـتي ساعدت المظفر في مواجهة العدو[3] .

كمـا كـان لصـدق كلمـات العـز بـن عبدالسـلام وصـرامته في الحـق أن طبـق السـلطان قطـز مـا رآه الشـيخ ، فبـدأ بنفسـه وبـاع كـل مـا يملـك وأمـر الأمـراء والـوزراء أن يفعلـوا ذلـك ، فانصـاع الجميـع لـه فأحضـر كـل مـا يملكـون مـن مـال وحلـي نسـائهم ، كمـا أقسـم كـل واحـد مـنهم أنـه لا يملـك شـيئاً في البـاطن ، ولمـا جمعـت هـذه الأمـوال ضـربت سـكاً ونقـداً وأنفقـت في تجهيـز الجـيش[4]. وهـذا الموقـف يـذكرنا بمـا فعلـه الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – عنـد تجهيـز جـيش العسـرة في غـزوة تبـوك سـنة ٩هـ/٦٣٠م ، عنـدما

---

(١) سورة محمد : آية ٧ .

(٢) كـان سـقوط الخلافـة العباسـية في بغـداد سـنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وأعيـدت الخلافـة العباسـية سـنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م) واتخذت القاهرة مقراً لها .

(٣) عبدالله الغامدي : جهاد المماليك ، ص ١١٠ .

(٤) علي بن محمد الصلأبي : السلطان سيف قطز ، ص ١١٣ .

حث على الإنفاق في سبيل الله ، فتبرع المسلمون كلاً على حسب طاقته وبعضهم تبرع بكل ما يملك كأبي بكر الصديق – رضي الله عنه[1]– .

يتضح لنا مما سبق أثر الشيخ العز بن عبدالسلام على السلطان قطز في شحذ همة السلطان ومن يقع تحت يديه من الخاصة والعامة ، وهذا درس مهم في أهمية التكامل بين أمراء المماليك والعلماء في مقاومة التتار .

وتبين لنا كذلك مما سبق اهتمام السلطان قطز بالعلماء والقضاة بأن جعل لهم نصيباً من المشورة وسماع رأيهم وطلب فتواهم لعلمه مدى تأثيرهم على عامة الناس[2].

ومما يدل على حرص العز بن عبدالسلام على أحوال أمته وحميته لثباتها والحفاظ عليها والدفاع عنها وسعيه إلى رفع راية الجهاد في سبيل الله أنه ألف كتاباً وسمه بـ ((أحكام الجهاد وفضائله)) ، ليرغب الناس في الجهاد ويحثهم عليه[3] فتكلم فيه عن الجهاد وأحكامه وما يتعلق به وفضله ، وفي نظري يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي ألفها العز بن عبدالسلام على الإطلاق ؛ لأنه سعى بعلمه إلى التصدي لأزمات الأمة ولم يكن عالماً منعزلاً عن هموم مجتمعه بل كان يدرك ما تعانيه الأمة من مشكلات . وبناءً على ذلك قام العز بتأليف هذا الكتاب لكي يبث روح الجهاد في

---

(١) للمزيد عن غزوة تبوك وتجهيز جيش العسرة انظر إلى : الواقدي ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (ت : ٢٠٧هـ/٨٢٣م) : المغازي ، دار الأعلمي ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م (٣ / ٩٨٩ _ ١٠٠) ؛ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ/٩٢٢م) : تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، دار التراث العربي ، بيروت ، ١٣٨٧هـ (٣ /١٠٠ – ١١٤) .

(٢) مما يجدر التنبيه إليه أن العز بن عبدالسلام يقول : ينبغي لمن يتولى أمور المسلمين أن يقتدي بالنبي محمد – صلى الله عليه – وسلم فيشاور في كل تصرفٍ من كان عارفاً بذلك التصرف ، ولا يشاور في كل فنٍ إلا أربابه ، مقدماً لأفضلهم وأماثلهم على من دونهم . العز بن عبدالسلام : أحكام الجهاد وفضائله ، تحقيق : نزيه حماد ، دار الوفاء ، جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٩٦ .

(٣) عبدالله الشهري : دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد ، ص ١٩٠ .

نفـوس المسـلمين للتصـدي للأخطـار المحدقـة بالأمـة الإسـلامية في ذلـك الوقـت[1] .
ويمكـن للمطلـع علـى هـذا الكتـاب أن يسـتنتج أن العـز بـن عبدالسـلام كـان علـى درايـة تامـة بفنـون القتـال مما يـدل علـى أنـه اشـترك في الجهـاد بنفسـه ، ليكـون قـدوة لغـيره مـن المسـلمين وخاصـة في معركـة المنصـورة عنـدما كانـت الأمـة الإسـلامية في أمـس الحاجـة إلى من يشد أزرها ويرفع معنوياتها للجهاد والتصدي لمواجهة الصليبيين .

فقـد كـان للعـز بـن عبدالسـلام دورٌ واضـحٌ في هـذه المعركـة الـتي تعـد مـن أهـم المعـارك الحاسمـة في التـاريخ ؛ لأنهـا غـيرت المسـار التـاريخي خـلال تلـك الحقبـة الزمنيـة ، إذ إنهـا أنهـت أسـطورة المغـول الـتي لا تقهـر وفتوحـات جـيش امتـدت انتصـاراته بحـدود أربعـة آلاف ميل .

وبهـذا عمـل العـز علـى إذكـاء روح الجهـاد في نفـوس النـاس ،حيـث هـب يحرضـهم ويشـحذ هممهـم قـادة وشـعباً علـى الجهـاد في سـبيل الله ، فلـم يخـش حاكمـاً في فتـواه ولم يـنس محكومـاً في مصـلحة مـن مصـالح العبـاد فكـان يعـيش مشـكلات الأمـة السياسـية والاقتصادية والاجتماعية أولاً بأول[2] .

---

(١) كـذلك ألـف كتابـاً تحـدث فيـه عـن المصـائب والصـبر عليهـا فكـان لهـذا الكتـاب علاقـة كبـيرة بالمصـائب الـتي حلـت بالدولـة الإسـلامية في عصـره مـن الحمـلات الصـليبية علـى بـلاد الإسـلام وهجمـات المغـول ، فضـلاً عـن المجاعـات والأوبئـة الـتي هـددت الـبلاد وسمـاه بـ ((الفـتن والبلايـا والمحـن والرزايـا)) . نهـى حسـام الـدين السـيد : العز بن عبدالسلام ، ص ٩٥ .

(٢) عمـر بـن عبـدالرحمن الساريسـي : نصـوص مـن أدب عصـر الحـروب الصـليبية (دراسـة وتحليـل) ، دار المنـارة ، جدة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص ١٢٠ .

المبحث الثالث : دوره في عهد الظاهر بيبرس .

أ – دوره عند مبايعة الظاهر بيبرس :

كان الظاهر بيبرس جندياً من جنود السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، قاد له الجيوش المصرية في حروبه ضد السلطان الصالح إسماعيل ، واشترك في معركة المنصورة ولعب دورًا رئيسًا في هزيمة الصليبيين ، كما قاد طليعة المماليك في موقعة عين جالوت ، وكان لمهاراته العسكرية أثر كبير في النصر الذي انتهت به المعركة[1] .

جلس الظاهر بيبرس على عرش مصر بعد رجوعه من معركة عين جالوت واغتياله السلطان قطز[2] . وعند توليه الملك استدعى الأمراء والعلماء لمبايعته ، فبايعوه ، وكان من بينهم الشيخ العز بن عبدالسلام ، الذي فاجأ الظاهر بيبرس والحاضرين بتوقفه عن المبايعة في بادئ الأمر ، وذلك لعدم ثبوت حريته عنده قائلاً :

---

(١) محمد بن إبراهيم الخليفة : العز بن عبدالسلام ، ص ٢٠٢ .

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص٢١٠ . واختلفت آراء بعض المؤرخين حول سبب اغتيال السلطان قطز ، فيذكر ابن كثير أنه بعد انتصار قطز على المغول في معركة عين جالوت أرسل الظاهر بيبرس ليطرد التتار من حلب ويتسلمها ووعده بنيابتها فلما طردهم منها وتسلمها المسلمون لم يفِ قطز بوعده بل استناب عليها غيره وهو علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ ، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما فاقتضت قتل السلطان المظفر سريعاً . ابن كثير : البداية والنهاية (١٧ /٤٠٤) . بينما يذكر بيبرس الدواداري سبب وفاته وهو أقرب إلى الحدث فيقول : أن قطزاً رحل من دمشق عائداً إلى الديار المصرية وفي نفوس البحرية منه ومن استاذه ما فيها لقتلهما الفارس إقطاي ، واستبدادهما بالملك ، فأتفق الظاهر بيبرس البندقداري وسيف الدين أنص الأصبهاني وسيف الدين الرشيدى وبدر الدين بكتوت الجواكنداى وسيف الدين بيدغان الركنى على قتله . زبدة الفكرة ، ص٥٣ . مما تجدر الإشارة إليه أن العز بن عبدالسلام خشى على الأمة بعد أن فقدت قطزاً رحمه الله ، فقد كان يخشى أن يضيع النصر الكبير ، وتنهار الأمة من جديد .. فقال بعد موت قطز وهو يبكى بشدة : "رحم الله شبابه ، لو عاش طويلاً لجدد للإسلام شبابه" . راغب السرجاني : قصة التتار ، ص ٣٦٧ .

" يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البندقداري[1] " أي لا تصلح مبايعة المملوك في استلام السلطة ، فما كان من الظاهر بيبرس إلا أن أثبت أن البندقداري قد وهبه للملك الصالح أيوب الذي أعتقه ، وكان ذلك بإحضاره من يشهد بهذا الأمر[2] ، وكان ما قام به العز بن عبدالسلام استكمالاً لما قام به أيام الملك نجم الدين أيوب من تحرير المماليك أنفسهم لجواز توليتهم شرعاً[3] .

لم يعارض العز بن عبدالسلام مبايعة الظاهر بيبرس ؛ لأنه قتل قطزاً إنما عارض ؛ لأنه مملوك وقد آثر العز بن عبدالسلام عدم الخروج على السلطان الظاهر بيبرس حتى يُجنب البلاد الفتن ومراعاة للصالح العام ، وذكر في كتابه قواعد الأحكام " تصحيح ولاية الفاسق مفسدة ، لما يغلب عليه من خيانة في الولاية ، لكن صححناها في حق الإمام الفاسق والحاكم الفاسق ؛ لما في إبطال ولايتهما من تفويت المصالح العامة... "[4].

ولأن العز ذو قوة وصلابة في تطبيق الحق من غير تفريق بين حاكم ومحكوم ، بايعه ، بعد أن تأكد من أهليته للحكم ، فلم تمنعه قوة السلطان ومكانته في معارضة المبايعة وبحثه عما يثبت أن الظاهر بيبرس غير مملوك .

---

(١) البندقداري : نسبة إلى البندقدار وهو لفظ فارسي مركب معناه حامل غرارة أي كيس البندق خلف الأمير أو السلطان وقد سمي الظاهر بيبرس باسم البندقداري ؛ لأنه كان في أول أمره مملوكاً للأمير أيدكين البندقدار ثم انتقل إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب وصار من مماليكه البحرية . القلقشندي : صبح الأعشى (٥ /٤٣١) ؛ محمد بن جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص٢٩ .

(٢) الكتبي : فوات الوفيات (٢ /٣٥٢) ؛ الداوودي : طبقات المفسرين (١ /٣١٩)

(٣) إيهاب بن محمد رزق : الدور السياسي والثقافي لفقهاء الشافعية في مصر في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤هـ/١٢٥٠ – ١٣٨٢م) ، رسالة ماجستير ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٦م ، ص ٥٦ .

(٤) العز بن عبدالسلام : (١ /١٠٧) .

لقد كان للعز تأثيرٌ كبيرٌ بتوجيه الظاهر بيبرس في أمور الدولة ويدل على ذلك ما قاله النويري[1] عنه : " ولم يزل الشيخ – رحمه الله – معظماً عند الملك الصالح ، وغيره من الملوك بعده ، بالديار المصرية ، يرجعون إلى رأيه ، ويعتمدون على فتاويه ، ويقف الأكابر عند أوامره إلى أن ملك السلطان الملك الظاهر ، فزاد في تعظيمه وإكرامه وبره ، واستشاره في ابتداء دولته فيما يفعله ، مما فيه صلاح دولته ، فقال له : إن الدولة لا تقوم إلا بأمرين : أحدهما قيام الشرع الشريف ، والثاني تحصيل الأموال من وجوهها – أي الشرعية – ولا أرى لمنصب القضاء مثل تاج الدين عبدالوهاب ، يريد ابن بنت الأعز ، وللوزارة مثل بهاء الدين علي[2] . فرجع السلطان إلى رأيه ، وتمسك بقوله ، وفوض المنصبين لهما ، فقام كل منهما فى منصبه أحسن قيام ، وحمدت عاقبة هذه الولاية ، وشكر سداد هذا الرأي" ، حتى صار بيبرس أشهر حكام العصر المملوكي ، ودولته درة ذلك العصر وكان يلقب بأبي الفتوحات لكثرة الفتوحات في أيامه[3] . كما أن الظاهر بيبرس على شدته وهيبته يعظم الشيخ العز ويحترمه ، ويعرف مقداره ، ويحرص على كسب ثقته ، ويقف عند أقواله وفتاويه[4] ، ويعبر السيوطي[5] عن ذلك بقوله : " وكان بمصر منقمعاً ، تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبدالسلام ، لا يستطيع أن يخرج عن أمره " ، حتى قال لما مات

---

(١) نهاية الأرب (٣٠ /٧٦) .

(٢) بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا الصاحب وزير السلطان الظاهر بيبرس ثم وزير ولده من بعده ، ولد سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٥م كان ذا حزم وعزم ورأي وتدبير ، وتقلد المناصب الجليلة ، وأظهر بها كفاية ودراية وحسن أداء ، كان عفيفاً في عمله لا يقبل هدية من أحد نقداً أو عيناً ، وكان بعيداً عن مجالس الأصحاب ولا يقبل واسطة لأحد ، توفي بالقاهرة سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م . الكتبي : عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ، نبيلة عبد المنعم داود ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٤م ، (٢١ /٢٠٠ – ٢٠٤) ؛ المقريزي : السلوك (٢ /١١٣) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٧ /٢٦٤) .

(٣) ابن إياس بدائع الزهور (١ /٣٠٨) .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٥) .

(٥) حسن المحاضره (٢ /٩٥) .

الشيخ : " ما استقر ملكي إلا الآن " . كما أثر عنه قوله لما مرت جنازة الشيخ العز ابن عبدالسلام تحت القلعة ، وشاهد كثرة الخلق الذين معه قال لبعض خواصه : " اليوم استقر أمري في الملك ؛ لأن هذا الشيخ لو قال للناس أخرجوا عليه لانتزع الملك مني "[1] ، هكذا بلغ الأمر بهذا السلطان أنه يهاب الشيخ العز بن عبدالسلام ؛ خوفاً من نفوذه عند العامة ، وتهديده لسلطانه في البلاد[2] ، فقد كانت كلمة الظاهر بيبرس تعتبر أوضح دليل على أثر العز بن عبدالسلام في الأحداث السياسية في عصره .

ومع ذلك حزن الظاهر بيبرس حزناً شديداً عند وفاة العز بن عبدالسلام وتأسف لوفاته إبان حكمه ، ويظهر ذلك في قوله : " لا إله إلا الله ما اتفقت وفاة الشيخ إلا في دولتي "[3] .

فقد كان لقبول الظاهر بيبرس لكلام العز بن عبدالسلام أثر كبير فى تحقيق الإصلاح ، والقضاء على الظلم والفساد حتى أن السلطان الظاهر بيبرس وجه الشكر لابن عبدالسلام على سداد رأيه[4] .

يتضح مما سبق أن الظاهر بيبرس رغم حبه وإجلاله للشيخ العز بن عبدالسلام كان يخافه ، ويخشى الاصطدام معه ، ولا يأمنه على ملكه ، بل ينقاد لأوامره ، ولعل هذا الشعور السائد عند الملوك والسلاطين تجاه الشيخ يوضح قوته وصلابته في إظهار الحق ، وكونه القائد الديني الحقيقي لهم .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢١٥) ؛ الداوودي : طبقات المفسرين (١ /٣٢٣) .

(٢) حسن بن أحمد البطاوي : أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٢٤٥) .

(٤) عبدالباقى السيد عبدالهادي : ثورات الفقهاء فى مصر المملوكية ، بحث غير منشور تمت المشاركة به ضمن ندوة سيناء عبر العصور بالمجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، أبريل ٢٠١٥م ، ص١.

ب – موقفه من إحياء الخلافة[1] العباسية :

لقد سقطت الخلافة العباسية في بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، وظل العالم الإسلامي من غير خليفة لمدة ثلاث سنوات فأدرك مماليك مصر حاجتهم الماسة إلى خليفة يحث الناس على الجهاد في سبيل الله والتصدي لخطر العدوان الخارجي الذي بات يهدد الأمة من الشرق والغرب .

فكر الظاهر بيبرس بإحياء الخلافة العباسية[2] في القاهرة فكان هو أول من نفذها عملياً ؛ لتكون قوة يستند إليها في حكم مصر ، وفي سير الحدث أرى أن إحياءها كان بمشورة وموافقة العز بن عبدالسلام لاعتبارها من الأعمال الجليلة التي تعيد الهيبة للإسلام والمسلمين .

---

(١) الخلافة : هو اسم أطلق على الرئيس أو الحاكم في الدولة الإسلامية ، والخلافة مرادفة لكلمة الإمامة ولكلمة الإمارة التي تعني رئاسة الدولة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين والدنيا . محمد بن رشيد رضا : الخلافة ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م . ص١٧ .

(٢) سبقه التفكير في ذلك الملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق الذي ما كاد يعلم من الأمير عيسى ابن مهنا أن أميراً عباسياً قدم إلى دمشق فأرسل يستدعيه إليه ؛ غير أنه فوجئ بقدوم التتار، وكذلك حاول القيام بنفس العمل الملك المظفر قطز عندما قدم إلى دمشق بعد انتصاره على التتار في معركة عين جالوت فاستدعى الأمير أبا العباس أحمد لمبايعته للخلافة مستعيناً في ذلك بالأمير عيسى بن مهنا إلا أن مقتل قطز حال دون ذلك . قاسم بن عبده قاسم : تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٢١٥ ؛ قاسم بن عبده قاسم وعلي السيد علي : الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٦م ، ص ١٥١ – ١٥٢ ؛ أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى ، ص ١٨١ ؛ محمد بن جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر ، ص ٦٣ – ٦٤ .

وتم ذلك عندما سمع بوصول الأمير أبي القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر[1] مع جماعة من العربان[2] فارين من المغول إلى دمشق ، فبعث إلى نوابه بدمشق يطلب منهم القيام بخدمته وتعظيم حرمته ، وتسييره إلى مصر ، وفي يوم الخميس التاسع من شهر رجب سنة ٦٥٩هـ/ يونيو ١٢٦١م ، خرج السلطان الظاهر بيبرس من قلعة الجبل للقائه ، ومعه الوزير الصاحب بهاء الدين بن حنا ، وجملة من القضاة والعلماء يتقدمهم قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ، وسائر الأمراء ومقدمو العسكر ، وجمهور من أعيان القاهرة من الشهود والقراء والمؤذنين .

سار الظاهر بيبرس بالخليفة العباسي إلى باب النصر[3] ودخل به القاهرة وهو لابس لشعار بني العباس فخرج الناس لرؤيته ، وصعد قلعة الجبل وهو راكب ، ونزل في المكان الذي أخلي له ، وقد بالغ السلطان في إكرامه والترحيب به .

وفي يوم الإثنين الثالث عشر من الشهر نفسه ، استدعى الظاهر بيبرس قاضي القضاة ونواب الحكم وعلماء البلد وفقهاءها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية والأمراء ، ومقدمي العسكر ، والتجار ووجوه الناس ، بقاعة الأعمدة ، وحضر

---

(١) الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر : هو أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله ، توفي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م . الذهبي : سير أعلام النبلاء (٢٣ /١٦٨) ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٩ .

(٢) العربان الذين قدموا معه من عرب خفاجة ، وخفاجة بطن من قبيلة هوازن من بني عقيل وهم بنو خفاجة ابن عمرو بن عقيل بن كعب ، انتقلوا من جنوب شرق المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري إلى الكوفة بالعراق . القلقشندي : قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ص ١٢٢ .

(٣) باب النصر : أحد أبواب القاهرة الخمسة وهي باب النصر ، وباب زويلة ، وباب الفتوح ، وباب الخليل ، وباب القنطرة ، وضعه القائد جوهر ولكن نقل موضعه أيام المستنصر على يد أمير الجيوش بدر الجمالي . المقريزي :الخطط (٢ /٢٤١) ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٤ /٤٤) .

الخليفة[1] ، وكان في صدر المجلس المشار إليه شيخ الإسلام العز بن عبدالسلام[2]، وقد جلس الجميع بحضرة السلطان الظاهر بيبرس والخليفة العباسي أبي القاسم وذلك بهدف إثبات نسبه إلى البيت العباسي ، وشهد بذلك مجموعة من أهل بغداد الذين لجأوا إلى القاهرة بعد دخول المغول عليهم ، فضلاً عن أن بعضاً منهم قدموا إلى القاهرة بصحبة الخليفة[3] ، فقبل قاضي القضاة ابن بنت الأعز شهادتهم وأعلن ثبوت نسبه للبيت العباسي وأنه بالفعل ابن الخليفة العباسي الظاهر ، ولقبه بلقب أخيه وهو المستنصر بالله وبايعه بالخلافة ، وتقدم بعده السلطان الظاهر بيبرس فبايعه على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وأخذ أموال الله بحقها ، وصرفها في مستحقها ، ثم بايعه بعد السلطان الشيخ العز بن عبدالسلام ، ثم الأمراء وكبار رجال الدولة[4] .

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن موقف الظاهر بيبرس من إحياء الخلافة العباسية انظر النويري : نهاية الأرب (٣٠ /٢٩ – ٣٠) ؛ المقريزي : السلوك (١ /٥٢٩) .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٣١٣) .

(٣) شهد العربان وخادم البغاددة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين ابن الإمام الناصر أمير المؤمنين ، وأقام قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز جماعة من الشهود اجتمعوا بهؤلاء العرب وسمعوا شهادتهم وهم القاضي جمال الدين يحي بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحي نائب الحكم بمصر (الفسطاط) ، وعلم الدين بن رشيق ، وصدر الدين موهوب بن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزري قاضي مصر والوجه القبلي ، ونجيب الدين الحراني وسديد الدين التزمنتي نائب الحكم بالقاهرة ، فشهدوا بالاستفاضة عند قاضي القضاة تاج الدين . بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ، ص ١٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية (٨ /٣٨٧) .

(٤) بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ، ص ٦٠ – ٦١ ؛ التحفة المملوكية ، ص ٤٧ ؛ المقريزي : السلوك (١ /٥٢٩ – ٥٣٠) ؛ السيوطي : كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة ، تحقيق : محمد الششتاوي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص ٩٦ ؛ ابن ظهيرة ، محمد بن محمد القدسي (ت : ٨٨٨هـ/١٤٨٣م) : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق : مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

اختلف المؤرخون فيمن بايع الخليفة أولاً ، فذكر السبكي[1] أن العز بن عبدالسلام بايع الخليفة قبل السلطان حيث قال : " ومما يدل على منزلته الرفيعة عندهم أن الملك الظاهر بيبرس لم يبايع واحداً من الخليفة المستنصر والخليفة لحاكم إلا بعد أن تقدمه الشيخ عز الدين للمبايعة ثم بعده السلطان ثم القضاة " ، وكذلك قال مثله السيوطي[2] والداوودي[3] ، بينما ذكر المؤرخ المقريزي[4] أن الشيخ العز بن عبدالسلام بايعه بعد السلطان ، ولا نستبعد أن يكون أول من بايعه العز ابن عبدالسلام .

على أي حال يدل ما سبق على ما كان للعز من مكانة عظيمة وتقدير كبير لدى السلطان ، إذ لم يتقدم للمبايعة قبل أن يبايع العز ، قال السبكي[5] : " ثم سارت الدولة إلى الأتراك وكل منهم عامل الشيخ بأحسن معاملة ولا سيما السلطان الملك الظاهر بيبرس ركن الدين رحمه الله فإنه كان يعظمه ويحترمه ويعرف مقداره ويقف عند أقواله وفتاويه وأقام الخليفة بحضرته وإشارته " .

ونلحظ هنا تلك المكانه العظيمة التي كان يتسنمها فقهاء الشافعية في مصر حيث كانوا محور أخذ البيعة للخليفة المستنصر بالله سواء عن طريق اثباتهم لنسبه[6] أو عن

---

(١) طبقات الشافعية (٨ /٢١٥) .

(٢) حسن المحاضرة (٢ /٥٣) ؛ وقد نقل السيوطي في كتابه الآخر تاريخ الخلفاء نقلاً عن الشيخ قطب الدين أن السلطان كان أول من بايع الخليفة ثم قاضي القضاة تاج الدين ثم الشيخ العز بن عبدالسلام ثم الكبار على مراتبهم . ص ٣٣٦ .

(٣) طبقات المفسرين (١ /٣١٦) .

(٤) السلوك (١ /٥٢٩) .

(٥) طبقات الشافعية (٨ /٢٤٥) .

(٦) على الرغم من الإجراءات الصارمة التي اتخذها قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ولم يشك فيها الشيخ العز بن عبدالسلام ، فإنه يفهم من عبارات بعض المؤرخين أنهم يشكون في نسب هذا الخليفة إلى العباسيين ، ويتضح لنا في ذلك من عبارة أبي الفداء في هذا الصدد ونصها " وفي هذه السنة في ٦٥٩هـ قدم إلى مصر جماعة من العرب ، ومعهم شخص أسود اللون ، اسمه أحمد ، زعموا أنه ابن الإمام الظاهر= = بالله ، محمد بن الإمام الناصر " ثم قال في موضع آخر عند كلامه على سفر الخليفة إلى بلاد الشام

طريق استغلال السلطان الظاهر بيبرس لسمعتهم وثقة الشعب والعالم الإسلامي بهم وعلى رأسهم الشيخ العز بن عبدالسلام الشافعي الذي لو امتنع عن مبايعة الخليفة لشك يساوره لما تمت البيعة[1] .

ومن خلال ما سبق نلحظ كذلك دور العز بن عبدالسلام البارز في إحياء الخلافة العباسية وبُعد نظره وذلك ؛ لأنه يعلم المقاصد الشرعية في تنصيب إمام للمسلمين ، ويدرك للأهمية البالغة للخلافة الإسلامية بحكم امتدادها بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، حيث أدرك الناس أهمية وجود خليفة يقيم حدود الله في الأرض وينشر العدل فيهم ، وبخاصة بعد أن فقدت الخلافة العباسية دورها الفاعل في المجال السياسي والعسكري ، إلا أنها لم تزل تتمتع بمكانة روحية تجعل طبقات المجتمع كافة تكن لها احتراماً ؛ لأنها في نظرهم تمثل الرمز الديني الذي ينضوي الجميع تحت لوائه .

" وبرز الملك الظاهر والخليفة الأسود المذكور في رمضان من هذه السنة ، وتوجها إلى دمشق " ، ثم تبعه في هذا التشكيك بعض المؤرخين كأبن الوردي الذي نقل رواية أبي الفداء وأضاف عليها اعتراض نفيه على طريقة إثبات نسب هذا الخليفة التي تمت بالقاهرة ، وكذلك مفضل بن أبي الفضائل يسمي هذا الخليفة باسم المستنصر بالله الأسود . لعل الشك الذي يبدو من عبارة هذين المؤرخين لأن الخليفة أسود اللون ، لكننا نرى السواد لا يمنع من انتساب الخليفة إلى العباسيين ؛ فقد كان بعض خلفاء العباسيين كالمأمون مثلا أسمر اللون ، ويستدل على ذلك بما رواه لنا الذهبي وابن إياس حيث قال إن أم الخليفة المستنصر العباسي هذا كانت حبشية . ابن أبي الفضائل ، مفضل (ت : ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ، ١٩٣٢م ، ص ١٠٥ ؛ المختصر (٣ /٢١٢ – ٢١٣) ؛ الذهبي : دول الإسلام ، ص ١٢٧ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور (١ /٣١٣) ؛ محمد بن جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس ، ص ٦٦ ؛ عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي : الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك ، حوليات كلية دار العلوم ، العدد ٨ ، ١٩٧٧م – ١٩٧٨م ، ص ١٨٤ ؛ أسامة بن نجيب علقم : تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠–١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، كلية الآداب والعلوم ، الأردن – عمان ، ٢٠٠٥م ، ص ٦٨ .

(١) إيهاب بن محمد رزق : الدور السياسي والثقافي لفقهاء الشافعية ، ص ٤٣ .

ومن خلال استقصائنا لموضوع هذا المبحث نرى أن الظاهر بيبرس هو الذي قام بتنفيذ فكرة إحياء الخلافة العباسية لكي يضفي الشرعية لحكمه فهو بأمس الحاجة إليها ، بحكم أنهم أرقاء في الأصل ولم يرض الناس بحكمهم ، فضلاً عن أن هذا سيدعم موقفهم ضد الأيوبيين الذين كانوا يحكمون بلاد الشام آنذاك ويعتبرون المماليك مغتصبين لحقهم في مصر[1] . والعز بن عبدالسلام من أهم الشخصيات في ذلك الوقت لم يرفض فكرة إحياء الخلافة العباسية بل حضر وكان في صدر المجلس وبايع الخليفة ولو أنه لم يقتنع بذلك لما بايع الخليفة فهو لا يجامل أحداً في قول الحق فكان يرشد الحكام بما تقتضيه مصلحة الخاصة والعامة .

تجدر الإشارة إلى أن الظاهر بيبرس يبدو أنه قد أمَّن منصبه على عرش مصر ، فلم يعد يأبه بالخليفة المستنصر بالله[2] ، لكنه ما لبث أن خاف على منصبه لما قتل الخليفة المستنصر بالله وبقي العالم الإسلامي بلا خلافه ، حيث يدرك مكانة الخلافة لدى الرأي العام في العالم الإسلامي ؛ لأنه ليس من المعقول أن يظل منصب الخلافة العباسية شاغراً في القاهرة بعد أن أحياها الظاهر بيبرس ، فأرسل في طلب أمير

---

(١) زكي بن محمد جميل : مؤسسة الخلافة في العهد المملوكي (٦٥٩ – ٩٢٣هـ/١٢٦٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، ٢٠٠٤م ، ص ٤١ .

(٢) أعد السلطان الظاهر بيبرس جيشاً للخليفة المستنصر بالله لاسترداد بغداد من أيدي المغول وإرجاع الخلافة إليها تنفيذاً لرغبة الخليفة ، فخرج الظاهر بيبرس مع الخليفة إلى دمشق وعزم على تزويد جيش الخليفة بعشرة آلاف فارس لكن نصحه أحد أمراء الموصل ألا يفعل وقال له : " إن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر " ، فقبل الظاهر بيبرس نصيحته فترك الخليفة ولم يبعث معه سوى ثلاثمائة فارس وسار الخليفة المستنصر بالله بمن معه من العساكر نحو العراق فوصل إلى بغداد وهناك تصدى له المغول وحاربوه ، وشتتوا عساكره ، وقتلوه في محرم سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م . أبو شامة الذيل على الروضتين ،ص ٢١٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية (١٣ /٢٣٣) ، المقريزي : السلوك (٥٣٧/١) ، حامد ابن زيان غانم : صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك (الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٢٣ – ٢٤ ؛ زكي بن محمد جميل : مؤسسة الخلافة في العهد المملوكي ، ص ٤٥ .

عباسي جديد[1] يدعى أبا العباس أحمد[2] الذي وصل القاهرة في ربيع الأول سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م ، وأجريت له مراسيم الاحتفال والاستقبال كما أجريت للخليفة المستنصر بالله ، غير أنه لم يبايع إلا بمحرم من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م عندما عقد الظاهر بيبرس مجلساً عاماً في الإيوان الكبير بقلعة الجبل ، حضره عدد من القضاة وأعيان الأمراء وأرباب الدولة ، لإثبات نسبه ولقب بعد ذلك بالحاكم بأمر الله .

يذكر السبكي[3] والداوودي[4] أن العز بن عبدالسلام تقدم لمبايعة الخليفة الجديد ، قبل الظاهر بيبرس ، لكن من الثابت أن وفاة الشيخ العز بن عبدالسلام كانت في

---

(١) ظل منصب الخلافة شاغراً مدة سنة إلى أن استقر رأي الظاهر بيبرس على أقامة خليفة آخر ، وتكون له الزعامة الدينية على البلاد ويكون هذا الخليفة تحت سلطته . أسامه نجيب علقم : تطور السلطنة ، ص ٧١ .

(٢) أبو العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن الحسن بن علي القبي بن الخليفة المسترشد بالله ابن المستظهر بالله ، كان قد اختفى أثناء هجوم التتار على بغداد ثم تمكن من الفرار بصحبة جماعة ، فقصد حسين بن فلاح أمير بني خفاجة ، فأقام عنده مدة ، ثم ذهب إلى الشام وأقام عند الأمير عيسى ابن مهنا في مدينة الرحبة وتوفي سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م . ابن أبي الفضائل : النهج السديد ، ص ٩٣ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٣٧ ؛ علي بن صالح المحيميد : الإمارات الحدودية شمال الشام ودورها السياسي في العصر المملوكي (٦٥٨ – ٩٢٢هـ/١٢٦٠ – ١٥١٦م) (إمارتا آل فضل ودلغادر إنموذجاً)، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، ص ١٣ – ١٤ . عندما شرع الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة إلى حيز التنفيذ أرسل أول الأمر في طلب أبي العباس أحمد هذا وهو لا يزال في العراق ، فقدم أبو العباس إلى دمشق حيث جهزه نائبها إلى القاهرة ، غير أن أبا العباس هذا كان قليل الحظ ، إذ سبقه إلى حضرة الظاهر بيبرس شخص آخر من البيت العباسي وهو أبو القاسم أحمد – الخليفة المستنصر – ففضل أبو العباس الرجوع إلى الشام وقصد حلب حيث بايعه أميرها شمس الدين أقوش ، وجهزه على رأس جيش صغير فذهب إلى عانة حيث قابل المستنصر بالله ودخل تحت طاعته . السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٣٧ ؛ أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى ، ص ١٨٢ ؛ محمد بن حسين محاسنة ومحمد بن سالم الطراونة : دور الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة ، حوليات آداب عين شمس ، مصر ، المجلد ٣٠ ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٩ .

(٣) طبقات الشافعية (٨ /٢١٥) .

(٤) طبقات المفسرين (١ /٣١٦) .

جمادى الأولى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م ، أي قبل مبايعة الخليفة الحاكم بأمر الله بعدة أشهر ، ولعله شارك في مراسيم الاحتفال ، ولا نستبعد أن يكون له رأي ومشورة قبل وفاته في أمر الخليفة الحاكم بأمر الله ، حيث كان الظاهر بيبرس يأخذ بمشورته[١] كما رأينا في الأحداث السابقة .

نستخلص مما سبق كله أن العز بن عبدالسلام كانت له مكانة كبيرة لدى أهل مصر ، حيث أتضح لنا مدى تأثيره على الناس وجرأته في قول الحق لا تأخذه في الله لومه لائم ، وذلك عندما رفض ولاية شجر الدر ؛ لأن في ذلك مخالفة للشريعة الإسلامية ، وتبين لنا سرعة استجابة السلطانة شجر الدر وتنازلها عن العرش ، وكذلك دوره عندما قدم المغول في فترة حرجة والسلطان المنصور صبي صغير لا يعرف تدبير الملك فطالب بخلعه وتعيين قطز لتميزه بالقوة والشجاعة ، وكذلك أوجد لنا العز ابن عبدالسلام قدوة حسنة يحتذى بها في موقفه مع السلطان قطز عندما استشار القضاة والعلماء في أخذ الأموال من الرعية ليستعين بها على حرب المغول وكان على رأس العلماء العز بن عبدالسلام الذي كان في ذلك الوقت صاحب الكلمة الأولى المسموعة فأصدر فتواه الفذة التي رفعت الظلم عن الرعية وأشعر الناس بالعدل ، على الرغم من أن هناك من نظر للعز على أنه فقيه للسلطة واستند إلى بعض الأقوال والفتاوى ، حيث قال الدكتور حسين مؤنس[٢] في انتقاده للعز بن عبدالسلام : " كان ابن عبدالسلام شيخاً كثير الدعوة لنفسه ، يتظاهر بالجرأة في الحق ، وله في ذلك مواقف كثيرة ، لكنه في الحقيقة كان من فقهاء السلطنة ، وقد غطى بدعواه العريضة على شيوخ أجلاء " . إلا أن هذه الفتوى كانت من أسباب النصر في المعركة ، ولقد قام العز بن عبدالسلام في الدعوة للجهاد بالتحريض والتعبئة والمشاركة في مجالسه وكتابته لمواجهة المغول عند قدومهم إلى المشرق الإسلامي ومصر وخاصة

---

(١) السيوطي : حسن المحاضره (٢ /٩٥) .

(٢) تاريخ موجز للفكر العربي ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص ٣٠٥ .

في معركة عين جالوت ، ودوره القوي عندما رفض مبايعة الظاهر بيبرس إلا بعد ما تأكد من حريته حيث كان للعز ثقله ومكانته عنده فكان محل الإجلال والتقدير ، فشارك في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة لكي تعيد للإسلام والمسلمين الهيبة والقوة ، فكان لهذه الأحداث السياسية المضطربة أثر كبير في حياة العز بن عبدالسلام الذي كان متفاعلاً معها متأثراً بها ومؤثراً فيها .

الخاتمة

بعد التتبع في سيرة العز بن عبدالسلام واستعراض أحداث عصره ودوره فيها ، وتأثيره على الملوك ، والأمراء ، والعامة على حد سواء ، يتضح لنا الدور الكبير الذي يقدمه العالم لصلاح المجتمع وحمايته من الضلالات الفكرية والفتن ، حيث يمكنه التصدي لمثل هذه الأمور بالنصح والوعظ والإرشاد ، وإقامة الدروس ولتُثبت بهذا الأثر الكبير للعالم في الجوانب السياسية والاجتماعية ولا يكون محصوراً على الجانب الديني فقط .

وفي نهاية البحث في حياة العز بن عبدالسلام المليئة بالأحداث السريعة ، والمواقف المهيبة ، التي تبين سعة فهمه ، وقوة شخصيته ، وجرأته في الذود عن الحق ، وعلو همته ، حيث كان عالماً جليلاً يدرّس ويؤلف ويفتي ، وقاضياً عدلاً يحكم ويقضي ، وعاملاً يوجه ويرشد ، لم يخضع للمغريات من الجاه والمناصب ، ولم يخف من التهديد والحرمان ، ولم يضعف عزيمته الحبس والاضطهاد ، فهو بذلك رجل عصره ، وموجّه زمانه ، وقدوة لمن بعده .

عشت لحظات جميلة بين ثنايا بحثي هذا وراودتني مشاعر مختلفة امتزج بها الحزن مرة ، والفرح مرة أخرى ، تحكمت بعواطفي المواقف التي مر بها شيخنا الجليل ، وتأثرت كثيراً بردود أفعاله ، وعمق أفكاره ، حتى خلصت إلى النتائج التالية :

أولاً – إن المطلع على حياة العز بن عبدالسلام يجده قد نشأ بأسرة فقيرة يشغلها طلب الرزق عن طلب العلم ! لذا لم يدرك الشيخ التعلم في أولى مراحل حياته ، واتجه إلى العلم عندما كبر فجدّ واجتهد ، وحفظ المتون ، وتردد على حلق العلماء والشيوخ ، حتى وصل إلى مكانة رفيعة في شتى العلوم ، وضُرِب به المثل ، وقيل فيه : " ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبدالسلام " .

ثانياً – أثبتت الدراسة أن عصر العز بن عبدالسلام لم يكن عادياً تجري فيه الأمور مستقيمة ، بل كان مضطرباً ؛ لأن الفترة التي عاشها شهدت سلسلة من الفتن

الداخلية ، التي كان أبرزها اختلاف أبناء صلاح الدين وأبناء أخيه العادل على الحكم فيما بينهم ، كما حدثت في تلك الفترة حروب خارجية ، تتمثل في هجوم الصليبيين من الغرب وزحف التتار من الشرق ؛ مما أدى إلى زعزعة الاستقرار وانتشار الفساد والدمار في بلاد المسلمين .

ثالثاً – عاصر العز بن عبدالسلام الدولة الأيوبية ودولة المماليك في مصر والشام فبدأ مسيرته العلمية في الشام ، ثم تولى مناصب عدة فيها ، وانتقل إلى مصر ، مواصلاً مسيرته العلمية والتعليمية ، حتى وافته المنية فيها .

رابعاً – عاش العز بن عبدالسلام في عصر حركة ونشاط علمي ، على الرغم من فساد الحالة السياسية بسبب الفتن والاضطرابات التي حلّت بالأمة آنذاك ، بخلاف الحالة العلمية التي ظهر بها التعصب المذهبي والجمود الفكري في الفقه والتشريع ، والانشقاق بين العلماء ، والفتن بين أصحاب الفرق والعقائد ، حتى قامت الحركة العلمية على أسس سليمة ، فازدهرت ازدهاراً عظيماً .

خامساً – أكدت الدراسة مشاركة العز بن عبدالسلام في النشاط العلمي ، فقد كان له مجلس يدّرس فيه العلوم الشرعية بالمدرسة العزيزية التي تعد من أكبر المدارس بدمشق ، وامتازت بتنوع العلوم ، ودرّس بالمدرسة الشبلية البرانية خارج دمشق ، ثم درّس بالزاوية الغزالية الذي ذُكر أن الملك الكامل كلفه بالتدريس فيها ، وبعد هجرته إلى مصر ولاه السلطان نجم الدين أيوب التدريس في المدرسة الصالحية ، حتى ذاع صيته بالتدريس واشتهر بالفقه وأصوله حتى فاق أقرانه ، وتتلمذ على يده الكثيرون ممن أصبحوا أعلاماً ، بل وما زال الكثير يتتلمذ عليه من سيرته وكتبه .

سادساً – بينت الدراسة قوة العز بن عبدالسلام وثباته الذي اتضح في فتنة الحنابلة وما حدث عندما أعلن الشيخ عن رأيه بكل وضوح وبلا خوف وطالب السلطان الكامل بمجلس واجتماع للعلماء بدافع المناصحة وإظهار الحق ، حتى بعد أن جعله

السلطان يلازم بيته ، وألا يجتمع بأحد ويترك الفتوى ، لم يحتج أو يرفض إنما استجاب لولي الأمر وابتعد عن المعارضة غير الهادفة وإثارة المشاعر الدينية لدى عامة الناس .

سابعاً – تصدى العز بن عبدالسلام للكثير من الانحرافات والضلالات والخرافات التي وصل إليها بعضهم كاتباع الشيخ علي الحريري الذين يُقال لهم الحريرية واشتهر عنهم الاستخفاف بأمور الشرع ، وترك الصلاة ، وانتهاك الحرمات ، وإضلال الكثير من الناس ، حتى تمكن العز من جعل السلطان الأشرف يتخذ قراراً بحبس الحريري ، وتردد عليه الناس في الحبس ، إلا أن العز بن عبدالسلام والفقهاء أنكروا ذلك وطلبوا من الوزير ابن مرزوق أن يفعل الواجب فيه وإلا قتلوه ؛ لأن بقاءه خطر على عقيدة الناس ، ولهمة العز العالية وحزمه وتصديه للبدع والتيارات الضالة ، واقتران قوله بعمله وثباته .

ثامناً – استطاع العز بن عبدالسلام بمواقفه المشهودة إعلاء كلمة الحق ، وإظهار صلابته في الدين ، بإنكاره المنكر قولاً وفعلاً ، ففي خطبة في جامع دمشق أنكر على إسماعيل بن العادل تحالفه مع الفرنجة واستعانته بأعداء الله والإسلام ، مما جعله يغضب على العز ويحبسه في القلعة ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن رأى تعلق العامة بالعز وحبهم الشديد له ، ثم انتقل الشيخ إلى مصر وكان محل تقدير نجم الدين أيوب واستجاب له عندما أمر بهدم دار الغناء واللهو التي بناها الوزير فوق سطح أحد المساجد .

تاسعاً – اشتهر العز بالمواقف ، التي جعلته نبراساً للدعاة والعلماء في إعلاء الحق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد عرف ببائع الملوك بعد أن باع المماليك الأرقاء الذين اشتراهم نجم الدين ، ليصبحوا قادة الجيش ورؤساء المصالح والدواوين ، ولم يأبه لتهديد نائب السلطنة الذي رفض المبايعة ، بل واجهه بقوة وثبات ، حتى

أعلن المزاد العام ، ووقف العز ينادي على الأمراء واحداً واحداً ، فقبض الثمن ، ووضعه في بيت المال ليُصرف في شؤون المسلمين ، ووجوه الخير .

عاشراً – تنوعت أساليب العز بن عبدالسلام في المناصحة والتوجيه والوعظ فتارةً تكون مباشرة وتارةً أخرى خلاف ذلك ، وقد كان يتخذ المنهج المناسب مع المدعوين ويختار الطريقة الأنسب في دعوقم والتأثير فيهم مراعياً في هذا الزمان والظروف المحيطة حتى يبادروا في تنفيذ أوامر الشرع ، واجتناب المنكر وما حرمه الله .

حادي عشر – قدرة العز بن عبدالسلام على استنهاض همم العامة ، وتأثيره القوي في توجيه آرائهم ، جعلت السلاطين يستنجدون به كما حدث مع الناصر داوود ، عندما دخل الصليبيون نابلس عام ٦٤٢ هـ/١٢٤٤م ودمروها ، كتب للعز رسالة ، يخبره بما حل للمدينة وأهلها ، ويدعوه للقدوم وحث الناس على الجهاد ، لأن لقوله قبولاً عندهم وتأثيراً في نفوسهم .

ثاني عشر – لم يكتفِ العز بن عبدالسلام بالمجاهدة بلسانه بل جاهد بسيفه ، وذلك عندما رابط في معركة المنصورة وحث على الجهاد ، وأشعل الحماس في نفوس المسلمين المحاربين ، شاركهم في سلمهم وحربهم ، كان عارفاً بربه موقناً بنصره ، جسّد دور علماء الأمة في وقت أزماتها وضد أعدائها ، باللسان والسيف .

ثالث عشر – أوضحت الدراسة حسن تصرف العز بن عبدالسلام الذي ظهر في موقفه عندما حكمت شجر الدر مصر ، لم يعارض سلطتها مباشرة وذلك لسوء أحوال البلاد في تلك الفترة وتعرضها للحملة الصليبية السابعة ، إنما حرص على توحيد الجبهة الداخلية وتماسكها ، ثم أظهر معارضته لحكم المرأة في الوقت المناسب واستند بذلك على ميزان الشرع محاولاً وضع الأمور في نصابها من وجهة نظر الدين وبعيداً عن التعجل .

رابع عشر - أكدت الدراسة الدور السياسي للعز بن عبدالسلام في تولية ذوي المناصب وعزلهم منها ، والذي تبين لنا عندما جهر برأيه المعارض لحكم المنصور بن علي ، لعدم قدرته على تحمل أعباء المرحلة التي تمر بها البلاد ، ومواجهة المغول ، كما اختار سيف الدين قطز حاكماً للبلاد ، فكان اختياراً موفقاً وسديداً ،حيث اختار القائد الشجاع في الوقت الحرج ، واضعاً نصب عينيه المصلحة السياسية للبلاد.

خامس عشر - حرص العز بن عبدالسلام على حفظ حقوق المسلمين ، والتصدي لظلم الحكام ، ظهر ذلك عندما طلب العز من الأمراء ألا يأخذوا من الرعية شيئاً قبيل معركة عين جالوت ، إلا بعد أن لا يبقى في بيت المال شيء من السلاح والسروج الذهبية والفضية وإسقاط السيوف ، وبعد أن يبيع الأمراء من الحوائص الذهبية والآلات النفيسة ويقتصر كل الجند على سلاحه ومركوبه ويتساوون بالعامة .

سادس عشر - تأني العز بن عبدالسلام وحرصه على التثبت خاصة في أمور السلطنة ، كما حدث عند توقفه عن مبايعة الظاهر بيبرس ، لعدم ثبوت حريته ، وظنه أنه لازال مملوكاً ، حتى أحضر الظاهر بيبرس من يشهد بحريته ، فبايعه بعد أن تأكد من أهليته للحكم .

سابع عشر - شارك العز بن عبدالسلام في إحياء الخلافة العباسية بمصر ، وذلك بمبايعته للخليفة أبي القاسم ، مما يعني موافقته على إحياء الخلافة العباسية ، وبعد نظره ، وإدراكه للأهمية البالغة لوجود إمام للمسلمين يقيم حدود الله في الأرض وينشر العدل بها ، ويكون قوة يستند إليها في مصر ، محاولة لإعادة الهيبة للإسلام والمسلمين .

وأخيراً ، ظهر لنا من عصر العز بن عبدالسلام ، أن الدنيا رخاء وشدة ، وهزيمة وانتصار ، وصراع دائم بين الحق والباطل ، لكن لا يبقى إلا الصالح ، ولا يستمر

إلا الحق ، وظهر في عصره طغاة وظلمة ، وخونة وعبيد ، ومجاهدون وأبطال ، لكن التاريخ خلّد أسماء الصالحين المصلحين ، وسطر الغضب الدائم على الخونة والمستبدين ، والظلمة والمتخاذلين .

إن حياة العز بن عبدالسلام وشخصيته تستحق البحث والدراسة ، لما بها من مناهج خاصة في التربية والأخلاق والعلوم الشرعية ، كما يمكن استخلاص الكثير من المواعظ والعبر من المواقف التي مر بها ، والصعوبات التي واجهها .

كما أن توافق انتاجه العلمي الوفير ، مع نشاطاته العلمية وأدواره السياسية توحي لنا بإمكانية الجمع بين العلم الراسخ والعمل الجاد ، ليكون بهذا قدوة لمن بعده ؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء ، ومصابيح الدجى ، ومنار الهدى ، وتصلح بصلاحهم الأمة .

وهكذا لكل بداية نهاية ، وخير العمل ما حسن آخره ، وخير الكلام ما قل ودل ، وبعد هذا الجهد المتواضع ، أتمنى أن أكون قد وفقت في اختياري لهذا البحث ، وطرحت عناصره بأساليب لا ملل فيها ، وقدمت هذا الموضوع بالصورة التي يستحقها ، بما فيها من تشويق ومتعة ، كما أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه ، وأن يكتب لهذه الأمة أمراً رشداً يعز فيه أهل الطاعة ، ويذل فيه أهل المعصية ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر .

الملاحق

الملحق الأول

رسالة الشيخ عز الدين بن عبدالسلام إلى السلطان الملك الأشرف في الرد عليه[1] :

(١) رضوان الندوي : العز بن عبدالسلام ، ص ١٩٥ — ١٩٨ .

الملحق الثاني

نص رسالة الناصر داود صاحب الكرك إلى الشيخ عز الدين بن عبدالسلام يذكر فيه خبر هجوم الصليبيين – الداوية – على مدينة نابلس في الفترة ما بين يوم الجمعة ٤ جمادى الأولى سنة ٦٤٠هـ/ ٣١ تشرين الأول ١٢٤٢م حتى الأحد جمادى الأولى ٦٤٠هـ/٢ تشرين الثاني ١٢٤٢م .

" أحسن الله عزاء المجلس السامي القضوى العزى في مصابه بالمسلمين وصبّرنا وإياه على ما ذهى به حوزة الدين وأثاب الذين استشهدوا بما وعد به الشهداء من رضوانه ، عوضهم عن منازلهم بمنازل الأمن من قصور جنانه ، وسامحنا وإياه بما أهملناه من حمية الدين وحفظ أركانه ، وبما اعتدناه من إغفاله ، وخذلانه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قول معترف بتقصيره ، عن جهاد أعداء الله وأعداء دينه ، جهراً بلسانه وسراً بيقينه ، وذلك لمصيبة المسلمين بمدينة نابلس التي قتلت فيها المشايخ والشبان وسبيت الحلائل والصبيان ، واستولت أيدي الكفار على ما كان فيها من خزائن الأموال ، والغلال ، وما جمعه المسلمون لازمتهم في السنين الطوال ، فهو يوم ضرب الكفر بحرابه وتبختر بين أنصاره وأعوانه ، وتزهى على الإسلام برونق زمانه ، وهو اليوم الذي تقاتلا فيه فأحجم الإسلام ثم تولى ، واقتسما فيه بالسهمان فكان سهم الكفر هو السهم المعلى ، فيالها من فجيعة أبكت العيون ، وأبكت الجفون ، وهجمت على القلوب فودت لو أنها فودت لو أنها سقت بالمنون ، فيا ليتني نبذت قبل سماعها مكاناً قصياً ، أوليت ربي لم يجعلني بعباده حفيّا ، أوليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً ، ألا ليت أمي أيّم طول عمرها فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل ، وياليتها لما قضاها لسيد لبيب أريب طيب الفرع والأصل ، قضاها من اللاتي خلقن عواقر فما

بشـرت يومـاً بـأنثى ولا قحـل ، ويـا ليتهـا لمـا غـدت بي حـاملاً أصـليت بمـا احتفـت عليـه من الحمل ، ويا ليتني لما ولدت وأصبحت لشد إلى الشد فبات بالرجل.

لحقت باسلاً في فلمت ضجيعهم ... ولم أر في الإسلام ما فيه من خبل

فيـا أيهـا العـز الـذي كنـا نظـن أن الإسـلام يتزيـد بسـعيه غـداً ، وأن رقّـى عزائمـة تكـون عليـه مـن سـحر الكفـار حـرزاً ، تـيقن أن قـد عـمّ بالشـام النفـير ، ووجبـت الغـزاة علـى الحـدث الطريـر ، والشـيخ الكبـير ، وجـاز للحـرة أن تـبرز للقتـال بغـير إذن بعلهـا وللأمـة أن تبـارز برمحهـا ونصـلها ، ووجـب علـى المجاهـدين الإسـعاد ، والإنجـاد ، وتعـين في طاعـة الله الجهــاد ، فيالســان الشــريعة أيــن الجــدال فيــه وأيــن الجــلاد ، وأيــن مهنــد لســانك الماضـي ، إذا كلّـت المهنـدة الحـداد ، بعـد سـيف لسـانك في غمـده وقـد هجـرت سـيوف الكفــار جفونهــا ، وأجــرت عيــون الأنــام علــى الإســلام شــؤونها ، إلا وأن الإســلام بــدا غريبـاً وسـيرجع كمـا بـدا ، وتقاصـرت الهمـم عـن إسـعاده حـتى لا يـرى لـه مسـعداً فأنـا لله قـول مـن عـز عـزاؤه في الإسـلام وذويـه ، وبـذل في الـدفاع عنـه مـا تملكـه يـده وتحويـه ، وصــبر في الله علــى احتمــال الأذى وعــدم دونــه محاميــه والله ســبحانه وتعــالى يــتلا في الإسلام بتلافيه ، ويحميه بحمايته ، وحسن نظره فيه ، أنه قريب مجيب "[(١)] .

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (١ /١٥٧ – ١٥٩) .

الملحق الثالث

بعض مؤلفات العز بن عبدالسلام

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : المخطوطات :

أبي السعادات ، محمد بن أبي العباس بن محمد (ت : ٩٠٠هـ/١٤٨٥م) :

- تاج المعارف وتاريخ الخلايف ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٩٨ تاريخ تيمور.

ثالثاً : المصادر العامة :

ابن أيبك الدواداري ، أبو بكر عبد الله أيبك (ت : ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) :

-كنز الدرر وجامع الغرر ، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م .

ابن الأثير ، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :

- الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

- اللّباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

ابن أبي الفضائل ، مفضل (ت : ٦٧٢هـ/١٢٧٣م) :

- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، باريس ، ١٩٣٢م .

ابن الجزري ، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) :

- غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره : ج . برجستراسر ، مكتبة ابن تيمية ، د.م ، ١٣٥١هـ .

ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) :

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

- صيد الخاطر ، تحقيق : حسن المساحي سويدان ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

- تلبيس إبليس ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

السبكي ، تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت : ٧٧١هـ/١٣٦٩م) :

- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ .

ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطيب (ت : ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

- تاريخ مختصر الدول ، تحقيق : أنطون صالحاني اليسوعي ، دار الشرق ، بيروت ، ١٩٩٢م .

ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت : ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) :

- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م .

ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ابن العميد ، المكين جرجس بن العميد (ت : ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) :

- أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت : ٨٠٧هـ/١٤٠٤م) :

- تاريخ الدول والملوك المعروف ب ((تاريخ ابن الفرات)) ، تحقيق : قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت ، ١٩٤٢م .

ابن الفوطي ، كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني (ت : ٧٢٣هـ/١٣٣١م) :

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، تحقيق : مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

ابن القيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت :٧٥١هـ/ ١٣٤٩م) :

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣م .

- زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسال ة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) :

- تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : أحمد رفعت الراوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٠م .

ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي (ت : ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) :

- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (وعليه حواشٍ لجماعةٍ من العلماء منهم الأمير الصّنعاني) ، تقديم : فضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ، اعتنى به : علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، د.ت .

ابن إياس ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت : ٩٣٠هـ /١٥٢٤م) :

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت : ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ، دار الكتب ، مصر ، ١٩٣٢م .

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تقديم : سعيد عاشور ، حققه ووضع حواشيه : محمد أمين ، الهيئة المصريه العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق وتقديم : فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت :٨٥٢ هـ/١٤٤٨م):

- رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت : **٢٤١هـ/٨٥٥م**) :

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت : **٨٠٨هـ/١٤٠٦م**) :

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٠م .

ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت :**٨٠٩هـ/١٤٠٦م**) :

- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق : سعيد عاشور ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، مكة المكرمة ، د . ت .

- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام ، تحقيق : سمير طباره ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٩٩٩م .

ابن رافع السلامي ، أبو المعالي تقي الدين محمد (ت : **٧٧٤هـ/١٣٧٢م**) :

- تاريخ علماء بغداد ، المسمى منتخب المختار ، تحقيق : عباس العزاوي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

ابن زنبل ، الشيخ أحمد الرمال (ت : **٩٦٠هـ/١٥٥٢م**) :

– آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، تحقيق : عبدالمنعم عامر وتقديم : عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: **٤٥٨هـ/١٠٦٥م**) :

– المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠ م .

ابن شاهين الملطي ، عبدالباسط بن خليل (ت : **٩٢٠هـ/١٥١٤م**) :

– نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق : محمد كمال الدين عز الدين علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م .

ابن شداد ، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت : ٦٣٢هـ/١٢٣٨م) :

– سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي (ت : **٦٨٤هـ/١٢٨٥م**) :

– الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (تاريخ مدينة دمشق) ، تحقيق : سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م .

ابن ظهيرة ، محمد بن محمد القدسي (ت : **٨٨٨هـ/١٤٨٣م**) :

– الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق : مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

ابـن عبدالظاهـر ، أبـو الفضـل محـي الـدين عبـدالله بـن رشيـد الـدين (ت : ٦٢٩هـ/١٢٩٢م) :

– الـروض الزاهـر في سـيرة الملـك الظـاهر ، تحقيـق : عبـد العزيـز الخـويطر ، الريـاض ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

– الـروضة البهيـة الزاهـرة في خطـط المعـزية القاهـرة ، تحقيـق : أيمـن فـؤاد سيـد ، مـكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

ابـن فرحـون المـالكي ، برهـان الـدين إبـراهيم بـن علـي بـن محمـد اليعمـري (ت : ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) :

– الـديباج المـذهب في معـرفة أعيـان علمـاء المـذهب ،تحقيـق : محمـد الأحمـدي أبـو النـور، دار التراث ، القاهرة ، د.ت .

ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت : ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ١٤٢٣هـ .

ابـن قاضـي شـهبة ، أبـو بكـر بـن أحمـد بـن محمـد بـن عمـر الأسـدي الشـهبي (ت : ٨٥١هـ/١٤٤٧م) :

– طبقـات الشـافعية ، تحقيـق : الحـافظ عبـد العلـيم خـان ، عـالم الكتـب ، بـيروت ، ١٤٠٧هـ.

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :

– البدايـة والنهايـة ، تحقيـق : عبـدالله بـن عبدالمحسـن التركـي ، دار هجـر ، القـاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

– طبقـات الشـافعية ، تحقيـق : عبـدالحافظ منصـور ، دار المـدار الإسـلامي ، بـيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت : **٧١١هـ/١٣١١م**) :

- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

ابن نظيف الحموي ، أبو الفضائل محمد بن علي (ت : **٦٣٧هـ/١٢٣٩م**) :

- التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ، تحقيق : أبو العيد دودو ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٩٨١م .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت : **٦٩٧هـ/١٢٩٨م**) :

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٢ ، ٣ تحقيق : جمال الدين الشيال ، دار إحياء التراث القديم ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ، و ج ٤ ، ٥ تحقيق : حسنين محمد ربيع ، دارالكتب ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ، ج ٦ تحقيق : عمر عبدالسلام تدميري ، طرابلس ، ٢٠٠٤م .

أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي (ت : **٧٣٢هـ/١٣٣١م**) :

- المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٩٠٧م .

أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ/٨٨٩م) :

- سنن أبي داود، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د.ت .

أبو شامة ، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت : ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) :

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقق : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

- تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، تحقيق : محمد الكوثري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م .

الألباني ، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي (ت : ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) :

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

الإدريسي : محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحسني الطالبي (ت : ٥٦٠هـ/١١٦٦م) :

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .

الأدفوي ، أبو الفضل كمال الدين جعفر (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) :

- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق : سعد محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

الأسنوي ، جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي (ت : ٧٧٢هـ/١٣٧٠م) :

- طبقات الشافعية ، تحقيق : عبدالله الجبوري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧١م .

الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد حامد (ت : ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) :

- الفتح القسي في الفتح المقدسي ، تحقيق : محمد محمود صبح ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م .

- تاريخ دولة آل سلجوق ، شركة طبع الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.

الإمام مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت : ٢٦١هـ/٨٧٤م) :

- صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت : ٢٥٦هـ/٨٧٠م) :

- الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م) :

- سنن الترمذي ، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

التهانوي : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي (ت : بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م) :

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم ، تحقيق : علي دحروج ، نقل النص الفارسي إلى العربية : عبدالله الخالدي ، الترجمة الأجنبية : جورج زيناني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ١٩٩٦م .

الجرجاني ، الشريف علي محمد علي (ت : ٨١٦هـ/١٤١٣م) :

- التعريفات ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦هـ .

الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ/١٠٠٣م) :

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) :

- تاريخ فتح العالم ، نقله من الفارسية : محمد التونجي ، دار الملاحة للطباعة ، د.م ، ١٩٨٥م .

الحريري ، أحمد بن علي (ت بعد سنة : ٩٢٦هـ/١٥١٩م) :

- الإعلام والتبين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تحقيق : سهيل زكار ، مكتبة دار الملاح ، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت : ٨٧٦هـ/١٤٧١م) :

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق : ناظم رشيد ، وزارة الثقافة والفنون ، العراق ، ١٩٧٨م .

الحنفي ، محي الدين عبدالقادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن أبي الوفاء (ت : ٧٥٥هـ/١٣٧٣م) :

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : عبدالفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

الداوودي ، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت : ٩٤٥هـ) :

- طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

الـــذهبي ، شـــمس الـــدين أبـــو عبـــدالله محمـــد بـــن أحمـــد عثمـــان (ت : ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) :

- تاريـــخ الإســـلام تاريـــخ الإســـلام ووفيـــات المشاهـــير والأعـــلام ، تحقيـــق : عمـــر عبدالسلام التدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

- ســـير أعـــلام النـــبلاء ، تحقيـــق : مجموعـــة مـــن المحققـــين بإشـــراف الشـــيخ شـــعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

- دول الإســـلام ، تحقيـــق : فهيـــم محمـــد شلتـــوت ومحمـــد مصطفـــى ، الهيئـــة المصـــرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

- الـــعبر في خـــبر مـــن غـــبر ، تحقيـــق : أبـــو هاجـــر محمـــد السعيـــد بسيـــوني زغلـــول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

- تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

- معجـــم الشـــيوخ الكـــبير ، تحقيـــق : محمـــد الحبيـــب الهيلـــة ، مكتبـــة الصديـــق ، الطائف ، ١٤٠٨هـ .

الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني (ت : ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

- تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي (ت : ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) :

- الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

الزمخشري : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت : ٥٣٨هـ/١١٤٣م) :

- أســـاس البلاغـــة ، تحقيـــق : محمـــد باســـل عيـــون الســـود ، بـــيروت – لبنـــان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

السمعاني ، أبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني التميمي (ت : ٥٦٣هـ/١١٦٧م) :

- الأنساب ، تحقيق : عبدالله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ/١٥٠٥م) :

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧ م .

- المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي ، تحقيق : أحمد شفيق دمج ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

- الإتقان في علوم القران ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤ م .

- كوكب الروضة في تاريخ النيل وجزيرة الروضة ، تحقيق : محمد الشـشتاوي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

الشاطبي : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت : ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) :

- الاعتصام ، تحقيق : سليم عيد الهلالي ، دار ابن عفان ، السعودية ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت : ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

- أمـراء دمشـق في الإسـلام ، تحقيـق : صـلاح الـدين المنجـد ، دار الكتـاب الجديـد ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

- أعيـان العصـر وأعـوان النصـر ، تحقيـق : علـي أبـو زيـد ونبيـل أبـو عشـمة ومحمـد موعـد ومحمود سالم محمد ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

الطبرانـي ، أبـو القاسـم سليمـان بـن أحمـد بـن أيـوب بـن مطيـر اللخمـي الشـامي (ت : ٣٦٠هـ/٩٧١م) :

- المعجـم الأوسـط ، تحقيـق :طـارق بـن عـوض الله بـن محمـد وعبدالمحسـن بـن إبـراهيم الحسيني، دار الحرمين / القاهرة ، ١٤١٥هـ .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ/٩٢٢م) :

- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، دار التراث العربي ، بيروت ، ١٣٨٧هـ .

العز بن عبدالسلام ، عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الشافعي (ت :٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) :

- الإمـام في بيـان أدلـة الأحكـام ، تحقيـق : رضـوان مختـار بـن غريبـة ، بـيروت ، ١٩٨٧م.

- الفتـاوى ، تحقيـق : عبدالرحمـن عبدالفتـاح ، دار المعرفـة ، بيـروت – لبنـان ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

- ترغيـب أهـل الإسـلام في سـكنى الشـام ، تحقيـق: إيـاد خالـد الطبـاع ، دار الفكـر ، ١٩٩٨م .

- القواعـد الكـبرى الموسـوم بقواعـد الأحكـام في إصـلاح الأنـام ، تحقيـق : نزيـه كمـال حماد وعثمان جمعة ضميرية ، دار القلم . دمشق ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

- فوائد في مشكل القرآن ، تحقيق : رضوان علي الندوي ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

- بداية السول في تفضيل الرسول ، تحقيق : إياد خالد الطباع دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٥م .

- مجاز القرآن ، تحقيق : محمد مصطفى بن الحاج ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، طرابلس ، ١٩٩٢م .

- أحكام الجهاد وفضائله ، تحقيق : نزيه حماد ، دار الوفاء ، جدة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (ت : ٨٥٥ هـ /١٤٥١م) :

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥هـ/١١١١م) :

- إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .

الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت : ٧٧٠ /١٣٦٨م) :

- المصباح المنير ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، د.ت .

القلقشندي : أحمد بن علي (ت : ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) :

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

الكتاني ، أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي (ت : ٤٦٦هـ/١٠٧٤م) :

- ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق : عبدالله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤٠٩هـ .

الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت : ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

- فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق :إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

- عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ، نبيلة عبدالمنعم داود ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٨٤م .

الكرمي ، مرعي يوسف بن أبي بكر (ت : ١٠٣٣هـ/١٦٢٤م) :

- نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ، تحقيق : أميرة فهمي محمد دبابسة ، جامعة النجاح ، نابلس ، ٢٠٠٠م .

اللقيمي ، مصطفى أسعد (ت : ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) :

- لطايف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل ، تحقيق : خالد عبدالكريم الهمشري ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس - فلسطين ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت : ٥٠٧هـ/١١١٣ م) :

- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، د. ت .

المقدسـي ، شـمس الـدين أبـو عبـدالله محمـد بـن أحمـد (عـاش فـي القـرن الرابـع الهجري / العاشر الميلادي) :

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،١٤١١هـ/١٩٩١م .

المقريزي ، تقي الدين ، أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت : ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :

- السـلوك لمعرفـة دول الملـوك ، تحقيـق : محمـد عبـدالقادر عطـا ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، ١٤١٨هـ .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ.

المناوى ، الشيخ عبدالرؤوف بن علي بن زين العابدين (ت : ٩٥٢هـ/١٥٤٥م) :

- الكـواكب الدريـة في تراجـم السـادة الصـوفية ، تحـقيق : عبدالحميـد صـالح حمـدان ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

المنذري ، زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم (ت : ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) :

- التكملـة لوفيـات النقلـة ، تحقيـق بشـار عـواد معـروف ، مؤسسـة الرسـالة ، بـيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

النعيمي ، عبدالقادر بن محمد عمر بن محمد يوسف (ت : ٩٢٧هـ/١٥٢٠م) :

- الـدارس في تـاريخ المـدارس ، تحقيـق :إبـراهيم شمـس الـدين ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : ٧٣٣هـ /١٣٣٢م) :

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .

الواقدي ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (ت : ٢٠٧هـ/٨٢٣م)

- المغازي ، دار الأعلمي ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

اليافعي ، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت :٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) :

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ .

اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت : ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) :

- ذيل مرآة الزمان ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

بيبرس المنصوري ، ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصوري (ت : ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) :

- التحفة المملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١هـ ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق : دونالد س . ريتشاردز ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

- مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ ، تحقيق : عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة (ت : ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) :

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مطبعة وكالة المعارف التركية ، إسطنبول ، ١٩٤١م .

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت : ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) :

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى (ت : ٩٦٨هـ/١٥٦١م) :

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، در الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

عبداللطيف بن عبدالعزيز بن عبدالسلام (ت : ٦٩٥هـ/١٢٩٦م) :

- إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبدالسلام في مسألة الكلام ، طبع من نسخة محمد زاهد ، دار الأنوار ، مصر ١٣٧٠هـ .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٥م .

رابعاً : المراجع العربية :

إبراهيم شرف الدين علي :

- عظيمات لعبت بتاريخ العالم ، عظيمات غيرن وجه التاريخ ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٩٠م .

إبراهيم مصطفى وآخرون :

- المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، اسطنبول ، ١٩٨٩م .

إبراهيم ياسين الخطيب :

- القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبي ، دار المناهج ، الأردن ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

أحمد عطية الله :

- القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

أحمد أحمد بدوي :

- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت.

أحمد بن نافذ المحتسب :

- شخصيات إسلامية عرفها التاريخ ولن ينساها – نبذة عن حياتهم وأروع بطولاتهم – ، تقديم : سامي محمد حريز ، دار غيداء ، عمان – الأردن ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

أحمد عبدالرزاق :

- المرأة في مصر المملوكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

أحمد عبدالكريم سليمان :

- المغـول والمماليـك حـتى نهايـة عصـر الظـاهر بيـبرس (٦٤٨ – ٦٧٦هـ/١٢٥٠ – ١٢٧٧م) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .

أحمد مختار العبادي :

- في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٢م .

- قيـام دولـة المماليـك الأولى في مصـر والشـام ، دار النهضـة العربيـة ، بـيروت ، ١٩٦٩م .

إسماعيل باشا البغدادي :

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٥١م .

آسيا سليمان النقلي :

- دور الفقهـاء والعلمـاء المسلمـين في الشـرق الأدنى في الجهـاد ضـد الصـليبيين خـلال الحركة الصليبية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٢م .

أكرم الساطع وفؤاد الساطع :

- الدليل الأخضر للسياحة والآثار في سورية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥م .

أكرم حسن العلبي :

- الملـك المعظـم تـوران شـاه الأيـوبي بطـل معركـة المنصـورة (٦٤٨هـ) ، دار المـأمون للتراث ، دمشق ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

جمال بن محمد سالم :

- فقهـاء الشـام في مـواجهـة الغـزو الصليبيـي ، عـين للدراسـات والبحـوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ .

جوزيف بن نسيم يوسف :

– العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م .

– العدوان الصليبي على مصر ، دار النهضة ، بيروت ، ١٩٨١م .

حافظ بن محمد أنور :

– ولاية المرأة في الفقه الإسلامي ، دار بلنسية ، الريااض ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

حامد بن زيان غانم :

– الصراع السياسي بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

– صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك (الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

– العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

حسن بن أحمد البطاوي :

– أهل العمامة في مصر عصر سلاطين المماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .

حسن الباشا :

– الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

حسن شميساني :

- مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

حسين مؤنس :

- تاريخ موجز للفكر العربي ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

حياة بنت ناصر الحجي :

- السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين البحرية من سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م إلى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ، دراسة تاريخية وثائقية في وقائع الممارسات المختلفة السلطانية والأميرية ، لجنة التأليف والتعريب والنشر وجامعة الكويت ، ١٩٩٧م.

راغب السرجاني :

- قصة التتار من البداية إلى عين جالوت ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

رضوان الندوي :

- العز بن عبدالسلام (٥٧٧- ٦٦٠هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

رعد بنت محسن السامرائي :

- الفكر السياسي عند الإمام العز بن عبدالسلام ، ديوان الوقف السني ، العراق — بغداد ، ٢٠١٤م .

رفعت العوضي :

- النظـــام المـــالي الإســـلامي ، منشـــورات المعهـــد العـــالي للدراســـات الإســـلامية ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م .

رمضان ششن :

- نـــوادر المخطوطـــات العربيـــة في مكتبـــة تركيـــا ، دار الكتـــاب الجديـــد ، بـــيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

زبيدة بنت محمد عطا :

- الشـــرق الإســـلامي والـــدولة البيزنطيـــة زمـــن الأيـــوبيين ، دار الأمـــين ، القاهـــرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

سالم محمد الحميدة :

- الحروب الصليبية عهد النصر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٤م .

سعدون بن عباس نصر الله :

- رحيـــل الصـــليبيين عـــن الشـــرق في العصـــور الوســـطى ، دار النهضـــة العربيـــة ، بـــيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

سعيد أحمد برجاوي :

- الحروب الصليبية في المشرق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

سعيد بن عبدالفتاح عاشور :

- الحركـة الصـليبية صـفحات مشـرقة في تـاريخ الجهـاد الإسـلامي في العصـور الوسـطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

– أوربا في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٦م .

سعيد بن عبدالله البيشاوي :

– نابلس (٤٩٢ – ٦٩٠هـ/١٠٩٩ – ١٢٩١م) ، د.ن ، عمان ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

سليم بن عيد الهلالي :

– صفحات مطوية من حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ١٤١٠هـ .

السيد الباز العريني :

– الشرق الأدنى في العصور الوسطى(الأيوبيون) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

السيد عبدالعزيز سالم :

– تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م.

صفوان بن طه حسن :

– تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار الفكر ، الأردن ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

عباس العزاوي :

– تاريخ الضرائب العراقية ، شركة التجارة والطباعة ، بغداد ، ١٩٥٩م .

عبدالحليم عويس :

– السلوك من التبعية والفتنة إلى القياده والتمكين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م .

عبدالرحمن بن محمد مراد :

– عـز الـدين بـن عبدالسـلام سلطـان العلمـاء حياتـه وعصـره ، منشـورات المكتبـة العصرية ، صيدا – بيروت ، د.ت .

عبدالرؤوف فضل الله :

– لبنان دراسة جغرافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٢٠٠١م .

عبدالسلام بن مازن أبو خلف :

– العقيـدة الإسـلامية عنـد سـلطان العلمـاء العـز بـن عبدالسـلام ، دار النـور المبـين للدراسات والنشر ، عمان – الاردن ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م .

عبدالعزيز أبو فضة :

– قلعـــة الشـــقيف قلعـــة الصـــمود ، منشـــورات فلســـطين المحتلـــة ، بـــيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٩٨٢م .

عبدالعزيز البدري :

– الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، د.ت .

عبدالله بن إبراهيم الوهيبي :

– العز بن عبدالسلام حياته وآثاره ومنهجه في التفسير ، د.ن ، القاهرة ، ١٣٩٩م .

عبدالله بن سعيد الغامدي :

– جهـاد الممـاليك ضـد المغـول والصليبيـين ، مطبعـة جـامعة أم القـرى ، مكـة المكرمة ، ١٤١٠هـ .

عبدالله بن مصطفى المراغي :

- الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، نشر محمد أمين دمج وشركاه ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

عبدالمنعم ماجد :

- التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

عبدالمنعم الحنفي :

- معجم مصطلحات الصوفية ، بيروت ، دار السيرة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

عبدالمنعم الهاشمي :

- العز بن عبدالسلام سلطان العلماء ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

عبدالقادر أحمد بن مصطفى بدران :

- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال : الآثار الدمشقية و المعاهد العلمية ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

عرب دعكور :

- الدولة الأيوبية تاريخها السياسي والحضاري ، دار المواسم ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

عزمي بن عبد محمد أبو عليان :

- مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، دار النفائس ، الأردن – عمان ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

عصام محمد شبارو :

- قاضـي القضـاة في الإسـلام ، دار النهضـة العربيـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، بيروت ، ١٩٩٢م .

علي بن إبراهيم حسن :

- نسـاء لهـن في التـاريخ الإسـلامي نصـيب ، مكتبـة النهضـة المصـرية ، القـاهرة ، ١٩٨١م .

علي بن أحمد باكثير :

- وا إسلاماه ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، د.ت .

علي الجمبلاطي وأحمد محمد حسن :

- مـع القائـد الروحـي للشـعب سـلطان العلمـاء الإمـام العـز بـن عبدالسـلام ، مكتبـة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

علي الفقير :

- الإمام العز بن عبدالسلام وأثره فى الفقه الإسلامى ، د.ن ، د.م ، د.ت .

علي بن صالح المحيميد :

- الإمـارات الحدوديـة شمـال الشـام ودورهـا السياسـي في العصـر المملـوكي (٦٥٨ – ٩٢٢هـ/١٢٦٠ – ١٥١٦م) (إمارتـا آل فضـل ودلغـادر إنموذجـا) ، فهرسـة مكتبـة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

- المغـول في آسيـا الصغـرى ، فهـرسة مكتبـة الملـك فهـد الـوطنيـة ، الريـاض ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

علي بن صافي حسين :

- ابن دقيق العيد حياته وديوانه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

علي عبدالحليم محمود :

- الغـزو الصـليبي والعـالم الإسلامـي ، دار التوزيـع والنشـر الإسلاميـة ، القاهـرة ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .

علي بن محمد الصلابي :

- السلطـان سيـف الـدين قطـز ومعركـة عـين جالـوت ، مؤسسـة اقـرأ ، مصـر ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

- الشيـخ عـز الـدين بـن عبدالسـلام سلطـان العلمـاء وبائـع الأمـراء ، دار الأندلـس الجديدة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

- الأيوبيـون بعـد صـلاح الـدين الحمـلات الصليبيـة الرابعـة ، الخامسـة ، السادسـة ، السابعة ، دار المعرفة ، بيروت ،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

علي بن محمد الغامدي :

- بـلاد الشـام قبيـل الـغزو المغـولي (٥٨٩ – ٦٥٧هـ/١١٩٣ – ١٢٥٩م) ، مكتبـة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ .

عماد الدين خليل :

- عماد الدين زنكي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٢م .

عمر بن رضا كحالة :

- معجم المؤلفين ، المكتبة العربية ، دمشق ، ١٩٦١م .

عمر بن عبدالرحمن الساريسي :

– نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية (دراسة وتحليل) ، دار المنارة ، جدة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

فاروق بن عمر فوزي :

– الخلافة العباسية السقوط والإنهيار ، دار الشروق ، عمان – الأردن ، ١٩٩٨م .

فاضل بن جابر ضاحي وثامر بن نعمان مصطاف :

– الزواج السياسي في عصر المماليك (٦٤٨ – ٧٨٤هـ) ، دار الضياء للطباعة والنشر ، واسط ، ٢٠٠٧م .

فايد بن حماد عاشور :

– الجهاد الإسلامي ضد الصليبين في العصر الأيوبي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

فؤاد بن عبدالمعطي الصياد :

– المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠م .

فؤاد بن عبدالمنعم أحمد :

– أبو الحسن الماوردي وكتاب (نصيحة الملوك) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م .

قاسم بن عبده قاسم :

– عصر سلاطين المماليك ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

– في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، ٢٠٠٣م .

قاسم عبده قاسم وعلي السيد علي :

– الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري ، القاهرة ، عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ١٩٩٦م .

لولاف بن مصطفى الأتروشي :

– القضاء في مصر والشام في العهد الأيوبي ، دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان ، ٢٠٠٧م .

لؤي البواعنة :

– دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي(الصليبي) للمشرق الإسلامي ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٧م .

محمد بن أحمد دهمان :

– معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

محمد الأنطاكي :

– معركة المنصورة (٦٤٧ – ٦٤٨هـ/١٢٤٩ – ١٢٥٠م) ، دار الشرق العربي ، بيروت ، د.ت .

محمد التونجي :

– بلاد الشام إبان الغزو المغولي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

محمد الزحيلي :

– العز بن عبدالسلام سلطان العلماء وبائع الملوك الداعية المصلح القاضي الفقيه الأصولي المفسر ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٢هـ .

محمد العروسي المطوي :

– الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢م .

محمد بن عبدالله الشويعر :

– تـأثيرات الهـدن بـين المسـلمين والصـليبيين (٤٩٠ – ٦٩٠هـ/١٠٩٧ – ١٢٩١) ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

محمد بن جمال الدين سرور :

– دولـة بـني قـلاوون في مصـر الحالـة السياسـية والاقتصـادية في عهـدها بوجـه خـاص ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .

– الظـاهر بيـبرس وحضـارة مصـر في عصـره ، دار الكتـب المصـرية ، القـاهرة ، ١٩٣٨م .

محمد بن حسن عبدالله :

– عز الدين بن عبدالسلام بائع الملوك ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

محمد بن رجب البيومي :

– علماء في وجه الطغيان ، الدار القومية للنشر ، القاهرة ، د.ت .

محمد بن رشيد رضا :

– الخلافة ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

محمد بن سهيل طقوش :

– تـاريخ الأيـوبيين في مصـر وبـلاد الشـام وإقلـيم الجزيـرة ، دار النفـائس ، بـيروت ، ١٩٩٩م .

- تـــاريخ المماليـــك في مصـــر وبـــلاد الشـــام ، دار النفـــائس ، بـــيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

محمد شبارو :

- الســـلاطين في المشـــرق العـــربي معـــالم دورهـــم السياســـي والحضـــاري ، المماليـــك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، دار النهضـــة العربيـــة للطباعـــة والنشـــر ، بـــيروت ، ١٩٩٤م .

محمد بن عبدالرحمن المغراوي :

- موســـوعة مواقـــف الســـلف في العقيـــدة والمـــنهج والتربيـــة (أكثـــر مـــن ٩٠٠٠ موقـــف لأكثـــر مـــن ١٠٠٠ عـــالم علـــى مـــدى ١٥ قرنًـــا) ، المكتبـــة الإســـلامية للنشـــر والتوزيـــع بالقاهرة ، النبلاء للكتاب بمراكش ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

محمد بن عبدالله عنان :

- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، حسين عنان ، القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

محمد بن قنديل البقلي :

- التعريـــف بمصـــطلحات صـــبح الأعشـــى ، الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتـــاب ، القـــاهرة ، ١٩٨٣م .

محمد بن كرد علي :

- خطط الشام ، مكتبة النوري ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

محمود الحويري :

- تـــاريخ مصـــر في العصـــور الوســـطى : دراســـة في الأوضـــاع السياســـية والحضـــارية ، عـــين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ،٢٠٠٣م .

محمود شلبي :

- حياة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .

محمود بن محمد عرنوس :

- تاريخ القضاء في الإسلام ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

مصطفى الحناوي :

- عصر الحروب الصليبية الفرسان الإستبارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

مصطفى الشكعة :

- إسلام بلامذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

مصطفى بن عبدالكريم الخطيب :

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

منيرة الذيب :

- معجم أسماء المدن والقرى في بلاد الشام الجنوبية ((سوريا – الأردن)) دراسات لغوية تاريخية إحصائية جغرافية ، دار العرب للدراسات ودار نور للدراسات ، دمشق ، ٢٠١١م .

موضي بنت عبدالله السرحان :

- تنظيمات الصليبيين في مملكة بيت المقدس وأثرها على أوضاعهم في بلاد الشام ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

ناصر بن محمد علي الحازمي :

– الحيـــاة العلميـــة في دمشـــق في العصـــر الأيـــوبي (٥٦٩ – ٦٥٩هـ/١١٧٣ – ١٢٦٠م) ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

نبيلة بنت إبراهيم مقامي :

– فـرق الرهبـان الفرسـان في بـلاد الشـام في القـرنين الثـاني عشـر والثالـث عشـر ، مطبعـة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

نعمان بن محمود جبران :

– دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، الأردن ، ٢٠٠٠م .

هاشم بن جميل عبدالله :

– فقه الإمام سعيد بن المسيب ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٥هـ .

يوسف بن حسن غوانمة :

– إمـارة الكـرك الأيوبيـة : بحـث في العـلاقات بـين صـلاح الـدين وأرنـاط ودور الكـرك في الصراع الصليبي في الأراضي المقدسة ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٢م .

– معـاهدات الصـلح والسـلام بـين المسـلمين والفرنـج خطـاب جديـد في العجـز الإسلامـي والعـربي والمشـروع النهضـوي العـربي الوحـدوي ، دار الفكـر ، عمـان ، ١٩٩٥م .

محمد بن مصطفى زيادة :

– حملـة لـويس التاسـع علـى مصـر وهزيمتـه في المنصـورة ، المجلـس الأعلـى لرعايـة الفنـون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

خامساً : المصادر والمراجع المعربة :

انتوني بردج :

– تاريخ الحروب الصليبية ، نقلها للعربية : أحمد غسان ونبيل الجيرودي ، راجعه وقدم له : سهيل زكار ، دار قتيبة ، دمشق .

جوانفيل جان دي :

– مذكرات جوانفيل (القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام) ، ترجمة : حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

جوناثان رايلي سميث :

– الإستبارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠ – ١٣١٠م ، ترجمة : العميد الركن صبحي الجابي ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٨٩م.

ر . سي . سميل :

– الحروب الصليبية ، ترجمة : سامي هاشم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م .

روثلان :

– كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان ، ترجمة : أسامة زكي زيد ، مركز دلتا للطباعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩م .

رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت : ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) :

– تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمَّد سليم النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٩ /٢٠٠٠ م .

زيغريد هونكه :

– شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون و كمال دسوقي ، مراجعة : مارون بن عيسى الخوري ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٦٩م .

ستيفن رنسيمان :

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العريني ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

فوليفانغ مولر فينر :

– القلاع أيام الحروب الصليبية ، ترجمة : محمد بن وليد الجلاد ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م .

كارل بروكلمان :

– تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : محمود بن فهمي حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

كي لسترنج :

– بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

سادساً : الرسائل العلمية :

أسامة بن نجيب علقم :

- تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، كلية الآداب والعلوم ، الأردن – عمان ، ٢٠٠٥م .

إيهاب بن محمد رزق :

- الدور السياسي والثقافي لفقهاء الشافعية في مصر في عصر دولة المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤هـ/١٢٥٠ – ١٣٨٢م) ، رسالة ماجستير ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٦م .

بدر بن محمد الصميط :

- تفسير القرآن العظيم للإمام أبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (المتوفى سنة ٦٦٠هـ) من سورة مريم إلى آخر سورة الناس : تحقيق ودراسة وتعليق ، رسالة الدكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، ١٤٢٢هـ.

ثريا بنت محمد الغانمي :

- بيت المقدس في العصر الأيوبي (٥٨٣ – ٦٤٨هـ/١١٨٧ – ١٢٥٠م) رسالة دكتوراه ، كلية التربية بجدة ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

جمال بن محمد خليفة :

- هيئة علماء وفقها الشام دراسة في تكوينهم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي وأثره في مواجهة الغزو الصليبي (٤٩١ – ٦٩٠هـ/١٠٩٧ – ١٢٩١م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة الزقازيق ، كلية الآداب ، ٢٠٠٥م .

خالد بن محمد الحريري :

- قاضي القضاة ودوره في دولة المماليك البحرية (٦٥٨ – ٧٨٤هـ/١٢٦٠ – ١٣٨٢م) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

رشا بنت خليل أحمد علي :

- الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي (٥٦٧ – ٦٤٨هـ/١١٧١ – ١٢٥٠م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١٠م .

رياض بن صالح علي حشيش :

- الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (٤٩٢ –٦٩٠هـ/١٠٩٨– ١٢٩١م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية الآداب ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

رئيسة بنت عبدالفتاح طلب العزة :

- نابلس في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، كلية الآداب ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

زكي بن محمد جميل :

- مؤسسة الخلافة في العهد المملوكي (٦٥٩ – ٩٢٣هـ/١٢٦٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، ٢٠٠٤م .

سالم بن يونس محمد المولى :

- الأوضاع السياسية والعسكرية في مصر وبلاد الشام في عصر الملك المظفر قطز ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٤م .

سرور بن علي عبد النعيم :

- الدور السياسي لحصن شقيف آرنون في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، جامعة طنطا ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م .

سميرة المضيان :

- الغزو المغولي للعالم الإسلامي من خلال المصادر العربية المعاصرة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي دراسة نقدية مقارنة ، رسالة دكتوراه ، جامعة القصيم، كلية التربية للبنات ببريدة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

طلعت بن عكاشة عايد حسن :

- أثر الفتوى الدينية في قضايا المجتمع في مصر والشام في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية دار العلوم ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م .

عبدالفتاح بن عبدالله عاشور :

- جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (٤٩١ – ٦٩٢هـ/١٠٩٧ – ١٢٩٢م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، كلية الآداب ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

عبدالله بن سالم بافرج :

- تفسير القرآن العظيم للإمام عز الدين رحمه الله ت ٦٦٠هـ من أول سورة يونس إلى نهاية سورة الكهف دراسة وتحقيقاً وتعليقاً ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، ١٤٢٠هـ .

عبدالله بن صالح الخزيم :

– العز بن عبدالسلام شخصيته واحتسابه ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الدعوة والإعلام بالرياض ، ١٤٠٦هـ .

عبدالله بن فراج الشهري :

– دور العلماء المسلمين في حركة الجهاد الإسلامي ضد المغول (٦١٦ – ٧٢٠هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ .

عبدالرؤوف بن جبر القططي :

– السجون في مصر وبلاد الشام في الدولتين الأيوبية والمملوكية (٥٦٧ –٩٢٣هـ/ ١١٧١ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م .

عبدالمعز بن عصري محمد :

– الغزو المغولي لدمشق وآثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية (هولاكو ، محمود غازان ، تيمورلنك) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

عبير بنت أحمد المحاسنة :

– موقف العلماء والأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي (٥٦٩ – ٦٤٨هـ/١١٧٣ – ١٢٥٠م) ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

عماد بن بدر الدين :

– دراسة دبلوماتية في وثائق البيع من أملاك بيت المال في عصر المماليك الجراكسة ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٩٥م .

فريد بن وحيد صيدم :

- جهاد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وجهوده في توحيد مصر والشام ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م .

كمال بن صادق ياسين :

- القواعد الفقهية عند الإمام العز بن عبدالسلام جمعاً ودراسة وتطبيقاً ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٢٩هـ .

ليلى بنت محمد الثبيتي :

- آراء العز بن عبدالسلام العقدية (٥٧٧ -٦٦٠هـ) عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٣٠هـ .

ماجد بن مجدي الزهراني :

- جهود الإمام العز بن عبدالسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، المعهد العالي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قسم الحسبة ، ١٤٢٦هـ .

محمد بن إبراهيم الخليفه :

- العز بن عبدالسلام ومنهجه في الدعوة إلى الله ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ، كلية الدعوة بالمدينة المنورة سابقاً (جامعة طيبة حالياً) ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

محمد بن عبدالله عواده :

- دور شجر الدر في قيام دولة المماليك في مصر ، رسالة ماجستير ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، ١٩٨٦م .

نهى حسام الدين سيد :

- العز بن عبدالسلام ودور العلماء في عصر الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية (٥٧٧ – ٦٦٠هـ/١١٨٢ – ١٢٦٢م) ، رسالة دكتوراه ، جامعة حلوان ، كلية الآداب ، ٢٠٠٨م .

هالة بنت نواف الرفاعي :

- السجون في مصر في العصر المملوكي (٦٤٨ – ٩٢٣هـ/١٢٥٠ – ١٥١٧م) ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ،كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٨م .

هيفاء بنت سليم القشلق :

- الدور السياسي لشجرة الدر ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية الآداب ، السودان ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م .

يوسف بن محمد الشامسي :

- تفسير القرآن العظيم لعز الدين بن عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي المتوفى سنة٦٦٠هـ من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤١٩هـ.

سابعاً : الموسـوعات :

النـدوة العالميـة للشـباب الإسـلامي ، إشـراف وتخطـيط ومراجعـة : د.مـانع بـن حمـاد الجهـني ، الموسـوعة الميسـرة في الأديـان والمـذاهب والأحـزاب المعاصـرة ، دار النـدوة العالميـة للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ .

مجموعة من المؤلفين :

– الموسوعة الفلسطينية ، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق ، ١٩٨٤م .

محمود بن رزق سليم :

– موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

محمود شاكر :

– التاريخ الإسلامي (العهد المملوكي) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

ثامناً : المقالات والبحوث المنشورة والدوريات :

أحمد بن محمد عدوان :

- دور العلماء في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (٤٩١ – ٦٩٢هـ/١٠٩٧ – ١٢٩٢م) ، الجمعية التاريخية السعودية ، بحث محكم من الدراسات التاريخية والحضارية ، الإصدار الحادي عشر ، صفر ١٤٢٢هـ/ مايو ٢٠٠١م .

أسامة زيد :

- الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ٣٠ ، ١٩٨٢م .

ثامر بن نعمان مصطاف :

- دور المرأة في الحياة العامة في عصر المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤هـ/١٢٥٠ – ١٣٨٢م) ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، جامعة واسط ، العدد ٢٣ ، ٢٠١٣م.

عبدالباقى السيد عبدالهادى :

- ثورات الفقهاء فى مصر المملوكية ، بحث غير منشور تمت المشاركة به ضمن ندوة سيناء عبر العصور بالمجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، أبريل ٢٠١٥م .

عبدالعزيز صالح :

- نشأة بيت المال في الدولة الإسلامية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت ، العدد ٥٠ ، ١٩٩٨م .

عبدالقادر بن محمد العماري :

- العز بن عبدالسلام عالم لا يخاف إلا الله ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٣٣ ، جماد الاولى سنة ١٤٠٤هـ .

عبدالله الغامدي :

- دور المتطوعة في حركة الجهاد ضد الصليبين والمغول ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، المجلد الأول ، العدد ٢ ، مارس ١٩٩٤م ، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .

عبدالمجيد أبو الفتوح بدوي :

- الخلفاء العباسيون في ظل دولة المماليك ، حوليات كلية دار العلوم ، العدد ٨ ، ١٩٧٧م – ١٩٧٨م .

علي بن إبراهيم حسن :

- آراء في تاريخ دولة المماليك البحرية ، مجلة جامعة فؤاد ، المجلد الثاني ، ١٩٤٤م .

علي أحمد :

- القضاء في عصر المماليك ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٨٧ – ٨٨ ، أيلون – كانون أول ، ٢٠٠٤م .

علي بن محمد الشريف :

- شيخ الإسلام العز بن عبدالسلام حياته وآثاره (٥٧٧ – ٦٦٠هـ) ، مجلة كلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها ، ١٩٨٣م .

محمد الرحيل غرايبة :

- تعــدد منصــب قاضـــي القضـــاة في العصـــر المملـــوكي وآثـــاره (٦٦٣هـ/١٢٦٥م ـ ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م) ، حوليـــات كليـــة الشـــريعة والدراســـات الإســـلامية ، جامعـــة قطـــر العدد ١٣ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

محمد بن حسين محاسنة ومحمد بن سالم الطراونة :

- دور الظـــاهر بيـــبرس في إحيـــاء الخلافـــة العباســـية في القـــاهرة ، حوليـــات آداب عـــين شمس ، مصر ، المجلد ٣٠ ، ٢٠٠٢م .

محمد بن يونس فلح :

- الملـــك الصـــالح نجـــم الـــدين أيـــوب وعلاقتـــه بـــالقوى السياســـية (٦٣٨ – ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠ – ١٢٦٠م ، مجلـــة كليـــة العلـــوم الإســـلامية ، جامعـــة الموصـــل ، المجلـــد الســـابع ، العدد ١٣ ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م .

مرتضي بن حسن النقيب :

- عـــز الـــدين بـــن عبدالســـلام ومواقـــف مـــن السياســـة الأيوبيـــة والمملوكيـــة ، مجلـــة كليـــة الأداب ، جامعة بغداد ، العدد ٥٥ ، ٢٠٠١ .

يسري أحمد زيدان :

- دور المطوعـــة في هزيمـــة الصـــليبيين بالمنصـــورة ســـنة ٦٤٧هـ/١٢٥٠م ، مجلـــة كليـــة دار العلوم ، جامعة القاهرة ، مصر ، العدد ٦١ ، ٢٠١١م .

ملخص الدراسة باللغة العربية

يعد الإمام العز بن عبدالسلام أحد علماء السلف الذين كان لهم بصمة واضحة في التراث الإسلامي ، عاصر أواخر دولة الأيوبيين وأوائل دولة المماليك ، حيث كانت الدولة الإسلامية ممزقة بين الصليبيين من جهة والمغول من جهة أخرى فكثرت النزاعات والخلافات ، وقد قام العز بن عبدالسلام بدوره الدعوي إلى توحيد كلمة المسلمين فكان له دور سياسي كبير ، ولكن على الرغم من ذلك لم يحظ هذا الدور باهتمام كبير من الدارسين ، لذا اقتضت طبيعة الدراسة الموسومة بـــ (**دور العز بن عبدالسلام في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي**) أن تحتوي على مقدمة ، وتمهيدٍ ، وثلاثة فصول ، وخاتمة ، وملاحق ، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرسٍ للمحتويات .

فقد شملت المقدمة على تعريفٍ بالموضوع وأهميته ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، وخطة الدراسة ، وتحليلٍ لأهم مصادر الدراسة ومراجعها .

وجاء بعد ذلك التمهيد تحدثت فيه عن الحياة السياسية في عصر العز بن عبدالسلام ، وتلاه الفصل الأول الذي احتوى على ثلاثة مباحث كانت على النحو التالي :

المبحث الأول : تناولت فيه حياته من ناحية اسمه ونسبه ، ومولده ، ونشأته ، وطلبه للعلم ومناصبه وأخلاقه ووفاته .

المبحث الثاني : اختص بآثاره العلمية فذكرت فيه شيوخه وأثرهم فيه ، وتلاميذه وأثره فيهم ، ومؤلفاته .

المبحث الثالث : تطرقت إلى مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه .

أما الفصل الثاني فقد درس دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر الأيوبي ، وتضمن ثلاثة مباحث جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الفقهاء ، فقد تناول موقفه من مبتدعي الحنابلة ومن شيوع المنكرات والمظالم ومقاومته للخارجين على الشرعية بدعوى التصوف .

المبحث الثاني : موقفه السياسي تجاه الأيوبيين بالشام ، فخصصته بموقفه عندما تنازع الأخوان الملكان الأشرف والكامل ، ودوره حينما تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين .

المبحث الثالث : موقف العز بن عبدالسلام السياسي تجاه الأيوبيين بمصر ، تناولت فيه موقف العز بن عبدالسلام من السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي ، وموقفه مع أمراء المماليك ، ودوره مع وزير الدولة معين الدين ، واستنجاد السلطان الناصر داود به سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م ، ودوره في معركة المنصورة .

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان بعنوان دور العز بن عبدالسلام السياسي في العصر المملوكي ، ويتفرع منه ثلاثة مباحث ، الأول : معارضته لحكم شجرالدر ، والثاني : دور العز بن عبدالسلام مع السلطان قطز عندما أراد عزل المنصور علي ودوره الرائد في معركة عين جالوت .

أما المبحث الثالث والأخير من هذا الفصل : فقد خصصته للحديث عن دوره في عهد الظاهر بيبرس عند مبايعته له وكذلك موقفه من إحياء الخلافة العباسية .

وانتهت الدراسة بخاتمة أعقبت هذه الفصول السابقة ، واشتملت على أهم النتائج التي خرجتُ بها .

summary of the study in English language

.Al imam al ezz bin abd alslam one of salafi scholar . He made a great impact in Islamic heritage .He lived in the latest peried of the Ayyubid state and first peried of the Mamluk sultanate in which was the Islamic state torn apart between Mongols and Crusaders. There were a lot of dispute and conflict in the Islamic state . Al imam al ezz bin abd alslam called for united the Muslims and played a major role in that time . Scholars and students didn’t give al imam al ezz bin abd alslam all the attention he deserved . Therefore, I made a study on al imam al ezz bin abd alslam and his role in politics between the two times of the Ayyubid state and Mamluk sultanate .the study has introduction , preparation , three chapter , closure ,list of resources, references and a list of contents .The introduction is about the definition of the title, why it's important ,cause of chosen ,earlier studies ,study plan ,analysis of the recourses of the study and its references.

After the preparation I talked about the role Al imam al ezz bin abd alslam in politics .The first chapter has three major points:

1.the life of Al imam name , birth , coming of age , his study ,his titles , ethics and his death .

The second topic: Scientific singled out its effects I mentioned the elderly and their impact in it, and his disciples and impact them, and writings.

Section III: Turning to the scientific and scholarly stature it.

The second chapter has studied the role of Al-Ezz Bin Abdulsalam political in the Ayyubian period, and included three topics which are : First topic shed a light to the position of Al-Ezz Bin Abdulsalam toward political scholars, he has dealt with . Also, cover his position on the creators of the Hanbali. This chapter talks about the prevalence of evils, injustices and resistance to coming out on the pretext of legitimacy mysticism. Second topic descripe his political stance toward the Ayyubian Baham.

The third chapter and the latter was entitled role Al-Ezz Bin Abdulsalam political in the Mamluk era, and fork to the three sections, the first: his opposition to the rule of trees Durr, and second: his role with Sultan Qutuz when he wanted to isolate the Al-Mansur Ali and his leading role in the battle named Goliath.

The third and final section of this chapter: it has appropriated to talk about his role in the reign of Zahir Baybars when you pledge allegiance to him as well as his position on the revival of the Abbasid Caliphate.

The study followed the conclusion of these previous chapters, and included the most important results that came out as a contribution of the thesis.